أطروحة رسالة ماجستير بعنوان:

السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية في أفغانستان من عام 1979-2001

US Foreign Policy attitudes Towared Afghan Jihadist Organizations 1979-2001

إعداد:

مريم مصطفى صرصور

بإشراف:

د. عبد الرحمن الحج ابراهيم (مشرفا رئيسا)

د. رائد بدر (عضوا)

د. مراد شاهين (عضوا)

تاريخ المناقشة: 19/ 12/ 2019

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في

جامعة بيرزيت، فلسطين

السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية في أفغانستان
من عام 1979-2001

US Foreign Policy attitudes Towared Afghan Jihadist Organizations 1979-2001

إعداد:

مريم مصطفى صرصور

لجنة الإشراف والمناقشة

د. عبدالرحمن الحج إبراهيم: المشرف (الرئيس):.....

د. رائد بدر (عضوا).....

د. مراد شاهين (عضوا).....

تاريخ مناقشة الرسالة: 19 كانون الأول/ ديسمبر 2019

الإهداء

إلى من وضعني في طريق العلم والمعرفة أبي وأمي، أدامهما الله تعالى...

وإلى من وقف بجانبي من أجل وصولي لتحقيق حلمي في مزيد من العلم والتعلم،

زوجي العزيز، كذلك أبنائي لهم كل الحب...

وإلى أم زوجي الغالية لها الفضل الكبير...

ولا أنسى الأخوة الأعزاء، وكل من وقف إلى جانبي بكل إخلاص حتى إنهائي

هذا المشروع.

الشكر والتقدير

الشكر أولا وأخيرا لله تعالى على أن أعانني على إنجاز هذا المشروع...

وشكري الكبير لمعلمي ومشرفي الفاضل الدكتور عبد الرحمن على إيمانه

بقدرتي على إنجاز هذه الدراسية...

وللمشرفين الفاضلين لهما الشكر الجزيل ...

والشكر موصول لمعلمي الكريم الدكتور أحمد عزم،

لمساعدتي في تحديد فكرة الدراسة الأساسية...

وتقديري الكبير لأسرة برنامج الدراسات الدولية بشكل خاص، وبيرزيت بشكل عام، على مساندتهم ودعمهم للطلبة، وتسهيل الوصول إلى المادة العلمية المناسبة للبحث والعلم، والوقوف بجانب الطالب من أجل وصوله لهدفه المقصود من الدراسة...

فهرس المحتويات

الإهداء .....ج

الشكر والتقدير .....د

فهرس المحتويات .....ه

ملخص الدراسة .....ح

Abstract .....ط

1. المقدمة.....12

1-1. إشكالية الدراسة 16

1-2. أسئلة الدراسة.....16

1-3. أهمية الدراسة 17

1-4. منهجية الدراسة 17

1-5. حدود الدراسة.....18

1-6. فرضيات الدراسة 18

1-7. أقسام الدراسة.....19

1-8. مراجعة الأدبيات.....21

الفصل الثاني.....32

2. الإطار النظري للدراسة 32

2-1. مفهوم السياسة الخارجية 33

2-2. الواقعية السياسية في السياسة الخارجية الأمريكية.....38

2-2. أدوات السياسة الخارجية الأمريكية 41
2-3. التدخل العسكري تحت غطاء الديمقراطية وحقوق الإنسان 50
الفصل الثالث 56
3. غزو أفغانستان عام 1979 56
تمهيد 56
3-1 أفغانستان 56
3-2 غزو عام 1979 59
3-3 الولايات المتحدة والتدخل في أفغانستان أثناء الحرب 63
الفصل الرابع 68
4. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية 68
1979- 1990 68
4-1. التنظيمات الجهادية الأفغانية المحلية 69
4-2. تنظيم القاعدة 72
4-3. حركة طالبان 77
4-4. الوضع الإقليمي العام في الثمانينات 82
4-4-1. الثورة الإيرانية عام 1979 82
4-4-2. غزو أفغانستان عام 1979 85
4-4-3. حرب الخليج الأولى 90
4-5. الإدارة الأمريكية تجاه التنظيمات الأفغانية في الثمانينات 92
4-6. نتائج السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في الثمانينات 103

الفصل الخامس 110

5. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية 110

1990- 2001 110

5-1. الوضع الإقليمي العام في التسعينات 110

5-1-1. الحرب الأهلية الأفغانية 1992 111

5-1-2. حرب الخليج الثانية 117

5-1-3. قضية إقليم كشمير 123

5-2. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية في التسعينيات 130

5-2-1. التدخل الأمريكي في حرب الخليج الثانية 131

5-2-2. إدارة كلينتون 138

5-2-2-1. إدارة كلينتون وصعود طالبان 146

5-2-2-2. التنظيمات الأفغانية والتحول ضد الولايات المتحدة 149

5-2-3. إدارة بوش الابن 153

5-2-3-1. الحرب على الإرهاب 160

5-2-3-2. الحرب الفاضلة 168

5-3. إضاءات حول السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية 180

5-4. نتائج السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الأفغانية في التسعينيات 189

6. الخاتمة 195

المصادر والمراجع 199

ملخص الدراسة

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز عالم ثنائي القطبية بتفوق كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ذهبت هاتان القوتان العظميان إلى نوع جديد من الحروب فيما أطلق عليه الحرب الباردة، نتيجة لامتلاك كل منهما السلاح النووي الذي يستحيل فيه نجاة أي من القوتين وهو ما أطلق عليه (قوة الردع النووي). فتوجهت كل منهما أثناء الحرب الباردة نحو أسلوب الحرب بالوكالة في دول العالم الثالث، مستغلة الثورات والحروب الأهلية القائمة في تلك البلاد، بحيث تشارك القوى العظمى بالحرب بشكل غير مباشر من خلال دعم القوة التي تواليها بكل الوسائل العسكرية والمادية والتدريب وغيرها، الأمر الذي لا يضع عليها المساءلة القانونية بالتدخل المباشر بالحرب، في مقابل ذلك تحصل على ما تريده، وتكون مسيطرة على البلد بشكل غير مباشر، من خلال القوى المحلية الموجودة على الأرض.

فكانت أفغانستان الحالة الدراسية هنا شكلا من أشكال الحرب بالوكالة التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية، مستغلة فيها الحرب الأهلية عام 1979، ومن خلال جر قدم الروس للدخول في حرب مباشرة على أفغانستان لرد الدين القديم للاتحاد السوفيتي كما فعلت بهم في حرب فيتنام في عقد الخمسينيات، لتصبح أفغانستان ساحة القتال الدامية لقتال الروس والقضاء عليهم، خاصة أن فيتنام وأفغانستان تتشابه في التضاريس والجغرافية والشعب العنيد الذي لا يستسلم لمستعمر. تستعرض الدراسة هنا توجهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، والتحولات التي طرأت على شكل العلاقة بين الطرفين في كل مرحلة، وأن تلاقي

المصالح بينهما كان الدافع لعملية التقارب في العلاقة، وكيف انقلبت هذه العلاقة في مرحلة التسعينيات لعوامل تطرحها الدراسة في الفصول القادمة.

وتتكون الدراسة من قسمين رئيسين: الأول يبحث في السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية الأفغانية في مرحلة الثمانينيات، التي بدأت مع غزو السوفييت أفغانستان عام 1979، وشكل العلاقة التي كانت تربطها بهم، والعوامل التي دفعت لذلك، وأهم التنظيمات الجهادية الأفغانية. أما القسم الثاني فيناقش السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الأفغانية في مرحلة التعسينيات، وعوامل التحول في العلاقة وأسبابها، والنتائج التي ترتبت على هذه السياسة في كل مرحلة. بالإضافة إلى الطرح الأولي للدراسة من إطار نظري حول السياسة الخارجية والحروب بالوكالة والتدخل الأمريكي من منطلقات الديمقراطية وحقوق الإنسان. كذلك تمهيد حول أفغانستان الموقع والسكان وغزو الاتحاد السوفيتي لها عام 1979.

Abstract

World War II produced a bipolar international system dominated by two superpowers: the United States of America and the Soviet Union. The two preeminent powers are in constant ideological, economic and cultural struggle. Striving to impose their agendas on the other nations outside their territories, the two superpowers have employed every possible weapon and tool except the devastating nuclear arsenal. They have waged proxy wars in every corner of the world from Vietnam, to Cuba and they haven't concluded with Afghanistan (which is the topic of this study).

Afghanistan, our case study here, was one demonstration of proxy wars launched by the United States. Exploiting the 1979 civil war in country, the United States lured the Russians into a direct war on the afghan territory as a payback to the Russian intervention in the US-Vietnam war in 1950s. Afghanistan became a bloody battlefield to fight the Russians and defeat them, given the similar typography of Vietnam and Afghanistan, as well as the stubborn peoples of both nations that do not kowtow to invaders.

The study reviews the US foreign political attitudes with the Jihadist groups in Afghanistan during the 1980s and 1990s, and the variations in relations between the two sides in the different stages. The study sheds light on the fact that the common interests during the 1980s were behind the rapprochement between the two parties; conversely, this relationship was turned to hostility for different factors that will be discussed in the next chapters of the study.

The study is composed of two main parts: Part 1 shall discuss the United States' policies towards the Afghani jihadist movements during the stage of 1980s, which started with the Soviet invasion of South Asian country in 1979, and the form of relation between them, the factors that lead to this political approach and the key Afghan jihadist groups. On the other hand,

part 2 shall discuss the US policy towards the same groups during the 199s, the factors that underlined the transformation of their relations, and the consequences of this political attitude in each stage. Besides, the study provides a primary theoretical assumption on the concept of the United States' foreign policy and its tools, among which proxy war was the main one during the period covered by the study. The study also discusses the US intervention in other countries under the pretext of defending democracy and human rights. It also provides an introduction about Afghanistan in terms of location, population, and the soviet invasion of its territory on 1979.

1. المقدمة

كانت حرب فيتنام عام 1955 الوجه المباشر للنهج الجديد الذي اتبعته القوى العظمى في ظل الحرب الباردة، هذا النهج الذي يقوم على الحروب بالوكالة من خلال دعم القوى المقاتلة على الأرض ضد القوى المقابلة الموالية للطرف الأخر، فجرّ الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة للدخول في حرب فيتنام، التي تكبدت فيها خسارة لم تنسها إلى يومنا هذا؛ وهو ما لم تنسه الولايات المتحدة حتى تسنت لها فرصة رد الدين القديم للاتحاد السوفيتي بقيامه بحرب أفغانستان عام 1979 والوقوع في الفخ نفسه.

سيطرت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة النظام العالمي وفقا للأحادية القطبية التي أفرغها عالم ما بعد الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفيتي عام 1990، فذهبت تنتهج سياسة التدخلات الإنسانية، التي بدأتها في تسعينيات القرن الماضي، من خلال قيم الليبرالية التي تقوم على شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان التي لا تصب إلا في إطار المصلحة العليا الأمريكية، فقامت بحرب شاملة على الإرهاب العالمي، بغزو أفغانستان عام 2001، للقضاء على تنظيم القاعدة في أفغانستان، الذي قام بهجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001، كذلك غزو العراق عام 2003. وهو ما اختلف في عقد الثمانينيات، فكانت تريد من تدخلها في حرب أفغانستان عام 1979، من خلال الحرب بالوكالة القضاء على القوى العظمى آنذاك الاتحاد السوفيتي.

قامت الولايات المتحدة في أفغانستان بالحشد لحرب إسلامية ضد الاتحاد السوفيتي، فلم تكتف بدعم التنظيمات الجهادية المحلية، بل جمعت قوى إسلامية من مختلف دول العالم

الإسلامي، والعربي، والغربي، وقدمت لهم التدريب والتسليح، والمعونات المالية اللازمة لتسيير الحرب، فكانت التنظيمات الأفغانية إلى جانب باكستان الطرف المباشر بالحرب، أما أميركا فكانت الطرف غير المباشر فيها. التي نتج عنها انتصار الولايات المتحدة، وانهيار الاتحاد السوفيتي، فخرجت من أفغانستان تاركة البلد في فقر ودمار، ضاعفته الحرب الأهلية الدامية التي بدأت في بداية التسعينيات.

وكما جاء على لسان هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجية السابقة للولايات المتحدة في إدارة باراك أوباما، حول عدم وجود إستراتيجية أمريكية لمعالجة الحرب بالوكالة التي ساقتها في أفغانستان، ضمن حديثها عن تداعيات حرب أفغانستان عام 2001، فأكدت على الخطأ الذي ارتكبته الولايات المتحدة بتركها أفغانستان، تحت وطأة الفقر والدمار الذي خلفته سنوات من الحرب، كانت المشارك الرئيس فيها.[1]

ووضحت أيضا دور وجود التنظيمات الأفغانية على الحدود الباكستانية مع أفغانستان، الذي أضر بباكستان، ودفعها لتحوي مزيدا من الأشرار، وشبهت ذلك: "كان هذا الأمر يجلب المتاعب، مثل من يحفظ الثعابين السامة في فنائه الخلفي، متوقعا منها أن تلسع جيرانه فحسب."[2] ويمكن تطبيق مثال هيلاري على الولايات المتحدة الأمريكية، فمن خلال سياستها إزاء التنظيمات الأفغانية في الثمانينيات، من خلال التعليم والتدرب على الأسلحة الحديثة، الذي قدمته في مراكز التدريب بالولايات المتحدة، فهي لم تعلم بأن الصديق المصلحة الآنية الذي أمدته بقوتها وسلاحها سيكون عدوها بعد سنوات قليلة من انهيار الاتحاد السوفيتي،

[1] هيلاري كلينتون، مترجم: ميراي يونس، مذكرات هيلاري كلينتون خيارات صعبة (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015)، 153.

[2] المرجع السابق، 182.

أساس التهديد الأمريكي سابقا، وبعقد التسعينيات ظهرت تهديدات جديدة على أمن الولايات المتحدة بحسب كلينتون، (كالإرهاب العالمي، ودول محور الشر، والانتشار النووي).[3]

ومع ظهور العداء للولايات المتحدة من قبل بعض التنظيمات الجهادية الأفغانية متمثلة بتنظيم القاعدة، الذي كان أساس تشكيله الأفغان العرب، الذين دعمتهم، وسلحتهم، وقدمتهم للجهاد في أفغانستان في الثمانينيات، حاولت عدم التركيز على هذا العدو الجديد، بسبب اهتماماتها الاقتصادية في المنطقة، فدعمت بمساندة باكستان حركة طالبان، وامدتها بالمال والمساعدات الاقتصادية، مقابل هدفها النفطي في بحر قزوين، من خلال إقامة مشروع أنابيب يمر عبر أفغانستان، يمكنها من استغلال النفط والغاز الطبيعي الموجود في المنطقة.

مقابل ذلك، كانت حركة طالبان، تحتضن ابن لادن في الوقت الذي أعلن فيها العداء للولايات المتحدة، والذي قدمت فيه الولايات المتحدة المساعدة لأفغانستان، لكنها لم تكن ترى فيه العدو الحقيقي، الذي يمكن أن يشكل خطرا على أمنها القومي، مع وقوع حوادث كثيرة في فترة التسعينيات، مثل الهجوم على مركز التجارة الأمريكية عام 1993، وهجمات الرياض عام 1995، وهجمات الخبر عام 1996، وتفجيرات شرق إفريقيا عام 1998، وآخرها تفجير السفينة (كول) في ميناء اليمن عام 2000، لكن كل ذلك، لم يكن ليعطي الدور الخطير الذي يمكن أن يشكله مثل هذا التنظيم على أمن الولايات المتحدة، لكن هجمات 11 أيلول/ سبتمبر قلبت المعادلة بالنسبة للولايات المتحدة.

---

[3] المصطلحات الواردة في الدراسة لا تعبر عن رأي الكاتبة.

قدِمت الولايات المتحدة بحرب جديدة على أفغانستان عام 2001، وأصبحت الطرف المباشر في الحرب، مع اعتمادها على وكلاء داعمين من دول العالم أجمع، في حربها على الإرهاب (كما أسمتها)، بالإضافة إلى دعم هيئة الأمم المتحدة، إلى جانب تسليح وتدريب وتمويل قوى محلية، يقودها رؤساء الأحزاب الأفغانية القدامى، دون النظر الحقيقي لعواقب هذه الحرب عليها من جهة، وعلى أفغانستان التي لم تنس بعد آثار الحرب الماضية.

الولايات المتحدة لم تتعلم من دروس التاريخ السابقة للامبراطوريات، التي حاولت غزو أفغانستان، مثل الإمبراطورية البريطانية والاتحاد السوفيتي، فأفغانستان لا تقبل وجود الأجنبي على أرضها، لطبيعة نظام القبيلة والعشائر فيها، وهو ما يجعلها في صراعات داخلية باستمرار. وبعد حرب الثمانينيات تركت أفغانستان في ظل وجود التنظيمات الإسلامية المتطرفة، وأطماع باكستان التي تعلمت من دروس عقد الثمانينيات، باستغلالها التنظيمات الجهادية الأفغانية، للمشاركة بحروبها ضد الهند في التسعينيات. وبعد القضاء السريع على طالبان وتنظيم القاعدة، وحققت بذلك أهداف حملتها العسكرية، لكنها فعليا لم تقض عليها، بل قامت بتشتيتها لتنتقل من أفغانستان إلى دول العالم أجمع، ووجدت أفغانستان نفسها من جديد، في ظل صراع ونزاعات الأحزاب والقوى التي أمدتها بالمال والتدريب القوات الخاصة الأمريكية.

1-1.إشكالية الدراسة

اعتمدت الإدارات الأمريكية المختلفة في سياستها الخارجية لمواجهة الشيوعيين على الحروب بالوكالة في الثمانينيات من القرن الماضي، لدعم حلفائها الدائمين والعرضيين، وقد شكلت أفغانستان شكلا من هذه الحروب التي اعتمدتها القوى العظمى في تسيير الحرب الباردة من القرن الماضي، فدعمت الولايات المتحدة التنظيمات الجهادية الأفغانية في حربها ضد السوفييت عام 1979، الذي كان البيئة المناسبة لتطور ظاهرة التطرف والإرهاب العالم.

1-2.أسئلة الدراسة

تقوم الدراسة بالاجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

1-2-1. كيف أسهمت سياسة الإدارات الأمريكية المتلاحقة في صناعة وتطوير الإرهاب، وتجنيده لتبرير تدخلها في دول العالم؟

ومنه تتفرع الأسئلة الآتية:

1-2-2. هل استطاعت السياسة الخارجية الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية في أفغانستان تحقيق أهدافها؟

1-2-3. لماذا تعتبر أفغانستان منطقة مصالح حيوية للولايات المتحدة في سياستها الخارجية؟

1-2-4. كيف شكلت التنظيمات الجهادية الأفغانية أداة مهمة في السياسة الخارجية الأمريكية؟

1-3. أهمية الدراسة

تطرح الدراسة توجهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فهي تشكل مرحلة مهمة في فهم توجهات التطرف الإسلامي العالمي اليوم، خاصة أن حالة أفغانستان في الفترة محل الدراسة، ومع إلتقاء المصالح بين الطرفين للقضاء على الاتحاد السوفيتي، ثم مرحلة المصالح الاقتصادية والنفط في التسعينيات، اعتبرت أرضية لتطور ظاهرة التطرف الإسلامي العالمي، وهي السياسة التي بقيت مستمرة في عالم اليوم خاصة نموذج الحرب السورية المستمرة.

1-4.منهجية الدراسة

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي ، وكذلك على منهج تحليل السياسة الخارجية في البحث، من خلال مراجعة وتحليل وتفسير توجهات السياسة الخارجية الأمريكية، في الفترة منذ عام 1979 إلى عام 2001، وإسقاطها على حالة أفغانستان، باستخدامها التنظيمات الجهادية الأفغانية وكلاء حرب لها في ظل الحرب الباردة، وأصبح البعض منهم أعداءها في التسعينيات وبداية الألفية الثالثة. كذلك تستخدم المنهج التاريخي في عرض الأحداث التاريخية المهمة في الفترة محل الدراسة، التي شكلت أساس توجهات الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الخارجية، إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية.

1-5. حدود الدراسة

- الحدود المكانية: تأخذ الدراسة أفغانستان كحالة بحثية في حروبها عام 1979 و2001، من خلال طرح توجهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية التي شاركت في الحربين، ودور الحرب بالوكالة التي استخدمتها عام 1979 في تزايد ظاهرة الإرهاب العالمي، وكيف شكل اختلاف العلاقة في مرحلة التسعينيات توجهات السياسة الخارجية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في التسعينيات وبداية الألفية الثالثة.

- الحدود الزمانية: تشكل مرحلتين زمنيتين: الأولى تمتد منذ عام 1979- 1990 التي رسمها الغزو السوفيتي على أفغانستان، والحرب بالوكالة التي استخدمتها الولايات المتحدة من خلال التنظيمات الجهادية الأفغانية. والمرحلة الثانية، تمتد منذ عام 1990- 2001 التي ميزتها تحول العلاقة من قبل التنظيمات الجهادية الأفغانية، إزاء الولايات المتحدة، ومرحلة الإهمال النسبي لأفغانستان، مع بقائها ضمن القضايا الرئيسة والحيوية في السياسة الأمريكية؛ وحرب افغانستان عام 2001 التي كانت نتيجة لأحداث 11 أيلول/ سبتمبر.

1-6. فرضيات الدراسة

تقوم الدراسة على الفرضيات الآتية:

1-6-1. سياسة الولايات المتحدة منذ عام 1979 وحتى عام 2001 إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، أسهمت في خلق وتطوير ظاهرة التطرف والإرهاب العالمي.

1-6-2. عدم وجود إستراتيجية للولايات المتحدة في معالجة آثار حربها بالوكالة في أفغانستان، أسهم في انتشار ظاهرة الارهاب العالمي.

1-7. أقسام الدراسة

تقوم الدراسة على خمسة أقسام أساسية، إضافة إلى العرض الأول لخطة الدراسة، بمقدمة عن مفاهيم الدراسة ومنهجيتها وفرضياتها وأهميتها التي دعمت طرح البحث في استخدام الحروب بالوكالة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في حرب أفغانستان عام 1979 أدى إلى تشكيل تطرف وإرهاب عالمي، نتيجة لعدم وجود إستراتيجية لمعالجة أثار الحرب بالوكالة في أفغانستان.

الفصل الأول: عرض القسم الأول من الدراسة الذي يحتوي على الإهداء، والشكر، والفهرس، وملخص الدراسة، ومقدمة، ومشكلة الدراسة، والأسئلة، والفرضيات، والمنهجية، والحدود الزمانية والمكانية للدراسة، وأقسام الدراسة، ومراجعة الأدبيات.

الفصل الثاني: مداخل نظرية في تحليل السياسة الخارجية، كنظرية متخصصة في مجال دراسة السياسة الخارجية في العلاقات الدولية، كما استعرض أيضا السياسة الواقعية التي تحدد اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية، كذلك الأدوات التي شكلت السياسة الخارجية في الفترة التاريخية التي تناولتها الدراسة. أيضا النظر في الحروب بالوكالة، كإطار نظري أساسي في فهم إستراتيجية الولايات المتحدة في حروبها فترة الدراسة، من خلال تعريف

الحرب بالوكالة ونشأتها التاريخية، وأمثلة تاريخية لهذا النوع من الحروب، إضافة إلى البحث في دور التدخلات الأمريكية من منطلقات الديمقراطية وحقوق الإنسان في دول العالم الثالث.

الفصل الثالث: تمهيد تاريخي عن أفغانستان، الموقع والسكان والتاريخ، ثم الحديث حول الغزو السوفيتي لأفغانستان عام 1979، أسبابه وأهداف السوفييت من الغزو، والأدوار الإقليمية لدول المنطقة فيه، خاصة الدور الأمريكي الذي شكل الأساس في توجهات الحرب.

الفصل الرابع: وفيه تناولت الدراسة التنظيمات الجهادية الأفغانية في أفغانستان، في فترة الثمانينيات والتسعينيات، وقدم هذا القسم أهم القضايا الإقليمة في فترة الثورة الإيرانية وحرب الخليج الأولى، ثم عالجت غزو الاتحاد السوفيتي أفغانسان والموقف الأمريكي من ذلك، والدور الذي لعبته أمريكا قبل دخول الاتحاد السوفيتي أفغانستان، ثم التعريج على السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية في أفغانستان، مع تناول سياسة كارتر وريغان في التعامل مع هذه التنظيمات.

الفصل الخامس: تناولت الدراسة فيه السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية الأفغانية منذ عام 1990 حتى عام 2001، وعرضت فيه بعض القضايا الإقليمية التي شكلت الوضع العام في المنطقة، مثل الحرب الأهلية الأفغانية، وقضيةتقليم كشمير، وحرب الخليج الثانية. وسيعالج هذا القسم سياسة الرؤساء الأمريكيين تجاه التنظيمات الجهادية في هذه الفترة إدارة كلنتون وبوش الابن، وتحليل كيفية صعود طالبان الى سدة الحكم، وتعامل

أمريكا مع هذه الحركة، وتحول التنظيمات الجهادية الأفغانية ضد أمريكا، وتنتهي الدراسة بالحرب على الإرهاب والأهداف غير المعلنة لحروب أمريكا في العالم وأفغانستان.

وتنتهي الدراسة بخاتمة تجمل ما جاء في هذه الدراسة، من خلال توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية منذ عام 1979، حتى عام 2001، والنتائج التي ترتبت على هذه التوجهات، من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة، وإثبات فرضاياتها.

1-8. مراجعة الأدبيات

من أهم المؤلفات التي عملت على محاولة فهم السياسة الأمريكية، تجاه التنظيمات الجهادية :

- دراسة لمايكل شوير(Michael Scheuer) بعنوان: (الفوقية الإمبريالية الأمريكية لماذا يخسر الغربُ الحربَ على الإرهاب)، فالكاتب رجل سابق في الاستخبارات الأمريكية، ويحاول في هذا الكتاب حث الإدراة الأمريكية العمل على التغيير في سياساتها الخارجية، فأكد أن العجرفة في سياسات أمريكا، وإدارتها لعملياتها، والحملات العسكرية التي تقوم بها في العالم الإسلامي، سوف تجعله عالماً متطرفاً. كذلك بين الكاتب أن تدخل الولايات المتحدة في العديد من دول العالم، ومحاولتهم تطبيق القيم الغربية في أي مكان يختارونه عن طريق تجاهل تاريخ المناطق هي سبب الإرهاب، فالإنسان المتدرب على القتال لمدة تزيد على أكثر من عقد من الزمان، قادر أن يتحول إلى محارب في باقي حياته، لإنه

عشق هذه الطريق، وأصبح من السهل تحول المجاهدين الأفغان والعرب بعد الانتصار على الاتحاد السوفيتي إلى مقاتلين ضد الامبريالية الأمريكية.[4]

الحرب على أفغانستان كانت ضرورية، لكننا خسرناها بسبب عجرفتنا. فأولئك الذي فشلوا في إحلال السلام في أفغانستان بعد العام 1992، يكررون اليوم فشلهم وذلك بتشكيل هيئات حكومية... بثوب غربي، بما يتنافى وحضارة الأفغان القبلية والسياسية.[5]

فذهب الكاتب إلى فهم الأسباب الحقيقية، وراء تحول التنظيمات الجهادية الأفغانية، من صديق قريب للولايات المتحدة، كما كان أثناء الحرب الباردة، إلى تنظيمات إرهابية متطرفة خطيرة على أمنها، فهو يرى بأن سياسات الولايات المتحدة، هي التي ولدت هذا الكره للأمريكان، فقارن بين ردة فعل هذه التنظيمات على الغزو السوفيتي عام 1979، عندما أراد محاربة الدين الإسلامي في أفغانستان، ونشر قيم الشيوعية فيها، فلقيت مقاومة شرسة من قبل الجماعات الجهادية فيها، وبين الحالة الأمريكية، فيؤكد أنها لا تريد حرب دينية، لكن نتيجة لتدخل السياسة الامريكية في دول العالم الإسلامي، ومحاولتها تغيير نمط الحياة، وفصل الدين عن الدولة هو ما ولد التطرف ضدها.[6] فذهب الكاتب في تحليل السياسة الخارجية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، لكنه لم يتطرق إلى موضوع الحرب بالوكالة، التي يعتبر التطرف والإرهاب العالمي، نتيجة حتمية لمثل هكذا حروب، والتي تحاول الدراسة اثباته.

---

[4] مايكل شوير، مترجم: سمية محمد عبد ربه، الفوقية الإمبريالية الأمريكية لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005): 20.

[5] المرجع السابق.

[6] المرجع السابق، 41- 46.

– وفي دراسة لإبراهيم عبد الطالب، بعنوان (الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الأخيرة)، عرض فيها الغزوات الثلاثة لأفغانستان من قبل الأمبروطوريات العالمية، بدءاً بالغزو البريطاني الذي تم الإطاحة به من قبل الافغان، وتم قهر بريطانيا، وتخليها عن أفغانستان بقوة السلاح. والغزو السوفيتي عام 1979، وأخيرا غزو أمريكا عام 2001، خاصة أن أفغانستان لا تقبل الأجنبي على أرضها، وهو ما ظهر من تقهقر قوتين عظميين بريطانيا والسوفييت، وهو ما لم يشكل رادعا للولايات المتحدة في العصر الحديث.[7]

وتبرز أهمية الكتاب أنه تعرض إلى أحداث مهمة، تخدم فترة الدراسة في المنجهية التاريخية تحديدا، الفترة التاريخية للغزو السوفيتي عام 1979 في الفصل الثاني من الكتاب، بعنوان (الغزو السوفيتي لأفغانستان عام 1979)، فقد أظهر المؤلف، المميزات التاريخية التي تجذب الإمبراطوريات العالمية، للنظرة لها خاصة الموقع الإستراتيجي، الذي يجعلها ممرا لمختلف الحضارات الإنسانية والعالمية، وبين كيف عملت أفغانستان على خدمة مجريات الحرب الباردة، بين القطبين المتصارعين، من خلال قيام كل منهما الوصول إلى أهم النقاط التي تدمر الخصم، فقد رأى كارتر، أن أفغانستان مع الغزو السوفيتي، سوف تصبح شيوعية بامتياز،[8] فذهبت لإستراتيجية الحروب بالوكالة، من خلال دعم المجهادين في أفغانستان، بكل الوسائل الممكنة لمنع المد الشيوعي في البلد،

---

[7] إبراهيم عبد الطالب، الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الأخيرة (عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2010)، 33-45.

[8] المرجع السابق، 106.

حتى وصل إلى تجهيزهم بالصواريخ المضادة للطائرات، وتدريب المجاهدين على استخدامها ضد السوفييت.[9]

وأوضح في الفصل الثالث من الكتاب، بعنوان (الغزو الأمريكي لأفغانستان 2001)، سرد فيه الكاتب أحداث ما قبل الحرب، منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وبروز الجماعات الإسلامية، طالبان والقاعدة في أفغانستان، والحروب الأهلية التي دمرت البلد، بعد أن تركتها الولايات المتحدة في دمار وفقر. كذلك تحدث عن تحول علاقة المصلحة بين التنظيمات الجهادية الأفغانية والولايات المتحدة، بعدما دعت السعودية أمريكا للمشاركة في حرب الخليج الثانية ضد العراق، ولم ترض بنصيحة أسامة ابن لادن قائد تنظيم القاعدة، بجلب المقاتلين الذين شاركوا في حرب أفغانستان لمحاربة العراق، وهو ما أدى للبدء في مرحلة الاحتدام بين الأصدقاء القدامى.[10]

– وفي عمل لمازن الحسيني، جمع فيه مقالات، ودراسات أجنبية مترجمة، في كتاب بعنوان (الحرب الأمريكية ضد الإرهاب خلفيات وأبعاد ودراسات ورؤى)، تفسر بعض المقالات الأسباب الحقيقية وراء 11 أيلول/ سبتمبر، والحرب على الإرهاب، وأن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامي بشكل عام، والجماعات المتشددة بشكل خاص، كانت السبب المباشر وراء الهجمات في عام 2001، وأن المصالح الأمريكية بقيت مسيطرة على السياسة الأمريكية وفي حربها على الإرهاب، فكانت ضمن أهداف سياستها الخارجية.[11]

---

[9] المرجع السابق، 147– 148.

[10] المرجع السابق، 166– 176.

[11] مازن الحسيني، الحرب الأمريكية ضد الإرهاب خلفيات وأبعاد ودراسات ورؤى (رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع والمركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، 2002)، 36– 39.

عرض الكاتب دراسة لبول سويزي(Paul Sueezy)، وهاري ماجدوف(Harry Magdoff)، بعنوان (بعد الهجوم.. ضد الإرهاب)، أكد الكاتبان أن الإرهاب يولد إرهاباً مضاداً، فأمريكا قامت بدعم الجماعات الجهادية في أفغانستان ضد الغزو السوفيتي الشيوعي، وهو ما أدى إلى إرتداد الإرهاب عليها كما في هجمات عام 2001 على امريكا، وهذا من نتائج التحول الجماعات الاسلامية، بعد حرب الخليج الاولى، وشعورهم بالظلم القائم عليهم من قبل أمريكا، وانقيادهم تحت تنظيم القاعدة، بقيادة أسامة ابن لادن، وهذا ما ستطرحه الدراسة في الفصل الخامس، في كيفية تحول هذه الجماعات الإسلامية من الصديق إلى العدو، وكيف استفادت أمريكا منهم، ووظفتهم في نجاح مصالحها لاحقاً .[12] وأضاف الكاتبين:

> أخذت الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة، في السنوات التي مرت منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، تبحث عن بديل للحرب الباردة، يمكن أن يبرر أطماعها الإمبراطورية، فجرى إعداد خيارات مختلفة، حرب ضد الإرهاب، صراع ضد "الدول المارقة،" صدام الحضارات... حرب ضد تجارة المخدرات الكونية، والتدخل لأغراض إنسانية– لكن ينظر إليها كلها الآن، على أنها غير مرضية، وان كانت كافية للإبقاء على الميزانية العسكرية، دون تقليص كبير بعد الحرب الباردة.[13]

فالولايات المتحدة لم تكن ترى في حرب أفغانستان عام 2001، سوى أنها الغطاء الذي يمكن من خلاله تمرير مختلف خياراتها التي طرحها الكاتبين، من حرب على الإرهاب،

---

[12] المرجع السابق، 43.

[13] المرجع السابق، 47.

ودول محور الشر وغيرها، فهي لم تكن إلا مسميات تتدخل بها أمريكا في دول العالم، وتحديدا دول العالم الثالث ذات الثروات الطبيعية.

- وفي مقالة بعنوان (حرب بلا حدود) للكاتبة الين مايكسينس وود(Ellen M. Wood)، أكدت أن إستراتيجية الولايات المتحدة في سياساتها الخارجية، تقوم على الهجوم الشامل باستخدام تكنولوجيا متقدمة، فسياسة الحرب لأمريكا مع أهداف ونتائج محددة غاية في حد ذاتها، والهدف هو السيطرة الرأسمالية الاقتصادية على العالم، وليس الاستعمار الجغرافي، في ظل إمبريالية العولمة الجديدة.[14] فالولايات المتحدة تذهب في سياستها الخارجية لتكون أساس تحركاتها من منطلق المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى، لذلك كانت حربها على الإرهاب دون أهداف، أو مبرر قوي لذلك.
- كذلك عرض الكاتب الحسيني مجموعة من المقالات والدراسات، التي تؤكد على الأهمية البترولية في غزوها لأفغانستان، وليس من أجل إرهاب تنظيم القاعدة أو طالبان بذاته، فالموقع الجغرافي لأفغانستان، التي تقع في قلب المصالح القومية الأمريكية الدائمة، لأن منطقة آسيا الوسطى ستشكل 80% من بترول العالم مع حلول عام 2050، وستكون أفغانستان الطريق التي سيتم مد أنابيب نقل النفط فيها، من آسيا الوسطى إلى الغرب.[15] لذلك، فلا يمكن إغفال قضية النفط عند دراسة سياسة أمريكا تجاه التنظيمات الجهادية الأفغانية، فهي قضية حاسمة، وتشكل إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية، خاصة عند النظر للموقف الأمريكي الذي تغير تجاه التنظيمات

---

[14] المرجع السابق، 63- 64.

[15] المرجع السابق، 88.

الجهادية في بعض الفترات، لكن السياسة بقيت هي نفسها طوال الفترة محل الدراسة، فمع 11 أيلول/ سبتمبر، ذهبت لحرب ضد تنظيمات إرهابية كانت صديقة الأمس مثل طالبان والقاعدة، وعملت في الحرب مع تنظيمات كانت تعتبرها فاشلة وغير عملية، مثل أمراء الحرب قوات حلف الشمال.

- وفي سياق مشابه جاء كتاب كين بوث(Ken Booth)، وتيموثي ديون(Tiomthy Dion) بعنوان (عوالم متصادمة الإرهاب ومستقبل النظام العالمي)، الذي عرض فيه الكاتبين سقوط نظرية صدام الحضارات، لصموئيل هنتنغتون في الصراع بين الغرب والإسلام، وأن أسباب هجمات 2001 كانت نتيجة حتمية للسياسات الخارجية للولايات المتحدة حول العالم، وخاصة العالم الإسلامي، في ظل سياستها الانتقائية في اختيار دول العالم الخيرة ودول العالم الشريرة، التي تتماشى وسياسة المصالح الأمريكية.[16] فهذا الكتاب مهم في الدراسة، من أجل إثبات دور السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، في التطرف العالمي ضدها، فوضح الكتاب أن هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، لم تكن إلا نتيجة الغطرسة في السياسة الأمريكية الخارجية فقط، وسياسة التدخل التي لم تجلب إلا مزيد من التصادم والصراع العالمي.
- وجاء كتاب محمود الممداني بعنوان (المسلم الصالح والمسلم الطالح)، الذي أكد فيه على ضرورة التفرقة بين الإسلام السياسي، والإسلام الراديكالي المتطرف المتمثل في تنظيم

[16] كين بوث وتيموثي ديون، مترجم: صلاح عبد الحق، عوالم متصادمة الإرهاب ومستقبل النظام العالمي (ابو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث ، الاستراتيجية 2005).9

القاعدة، والإسلام السياسي المعتدل، المتمثل بالإخوان المسلمين في مصر.[17] ووضح الكاتب أن الحرب الباردة كانت أساس التطرف الإرهابي، الذي وصلت له التنظيمات الجهادية الأفغانية في مرحلة التسعينيات، كما أكد على دور الحرب بالوكالة في الفترة محل الدراسة، فكانت الحرب بالوكالة الأمريكية في الثمانينيات عبارة عن نزاع ضئيل الحدة، لكن مع قدوم الرئيس بوش الابن، أعلن عن حرب مباشرة عالية الحدة، في ظل التعاون الدولي العام له في حربه الشاملة ضد الإرهاب، مبتدئا في أفغانستان والعراق.[18] كما شكل هذا الكتاب أهمية في أجزاء من الدراسة مثل الغزو السوفيتي، وحركة طالبان، وتنظيم القاعدة.

- وفي كتاب أود آرن وستاد (Odd A. Westad)، بعنوان (الحرب الباردة الكونية)، تحدث الكاتب في دراسته في الفصل الثامن بعنوان (إيران وأفغانستان)، في فترة الثمانينايت من القرن الماضي، عرض فيه حرب أفغانستان، ودخول الولايات المتحدة فيها كطرف خفي، والعلاقات التي كانت تربط أمريكا بشاه إيران، ودور الثورة الإيرانية في تغيير علاقاتها الدولية، وتحديدا مع الولايات المتحدة، وأثر الثورة في تدخل الولايات المتحدة في حرب أفغانستان عام 1979. وتحدث كذلك عن نهاية الحرب الباردة، وتربع الولايات المتحدة على عرش العالم، وأوضح الكاتب، بأن تدخل السياسة الخارجية للولايات المتحدة في العالم، في الحرب العالمية الثانية لحماية مصالحها، ومنذ ذلك الحين أصبح نتائج تدخلها في السياسة الخارجية، بدلاً من كونه قوة خير، أصبحت قوة دمرت الكثير من الدول، والمجتمعات وتركتها مصاحبة للكثير من الكوارث، ثم أوضح الكاتب في دراسته، استسلام

---

[17] محمود الممداني، مترجم: فخري لبيب، المسلم الصالح والمسلم الطالح (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، 226.

[18] المرجع السابق، 243.

الشيوعية في أوروبا الشرقية وانهيار الاتحاد السوفيتي، ولو بشكل جزئي، انعكس ذلك على التدخل الأمريكي في دول المنطقة خصوصاً في دول آسيا.[19]

وبين، أن الانتصار الكبير الذي حققته أمريكا، من خلال الحرب الباردة، شعرت بأنه لا من قوة تهدد التفوق الأمريكي العالمي، إلا أنه لم يكن في الحسبان أن لكل فعل رد فعل، فخلال التسعينيات من القرن الماضي، ونتائج التدخل العنيف في سياسة الدول، كانت الهجمات الإسلامية التي دعمتها أمريكا سابقاً، على أبراجها عام 2001. ويوضح الكاتب أيضا في نهاية دراسته، أن الحرب الباردة التي أشعلتها أمريكا في نهاية القرن الماضي، بعد أن كان ربع سكان العالم يعيشون بمستوى متقدم، لكن التدخلات الجديدة الأمريكية وفرض سياسة الدولة الواحدة، أصبح يعيش سدس سكان العالم بمستوى معيشي متقدم، وأن النسبة آخذة في التضاؤل.[20]

وخدم كتاب وستاد، هذه الدراسة، بإظهاره التحدي الإسلامي الذي ظهر في إيران وأفغانستان في نهاية القرن الماضي، حيث كان هذا النمو الإسلامي صاعداً موازيا، وبرز الكثير من الطلاب والمفكرين، وإيجاد ما يسمى بالإسلام السياسي، الذين حاربوا الاستعمار منذ بداية القرن العشرين، باحثين عن دولة حديثة تشبه أفكارها تعاليم النبي (صلى الله عليه وسلم)، مع شروع زعمائهم بالاصلاح كما في الإصلاح الأوروبي في القرن السادس عشر، والعودة إلى الدين، والحكم بالشريعة الإسلامية، وإيجاد خلافة جديدة تحل محل الدولة الاإسلامية التي دمرها الاستعمار، فكان الإسلاميون منظمين بشكل خفي ويأملون أن يصبحوا قوة

---

[19] أود آرن وستاد، مترجم : مي مقلد، الحرب الباردة الكونية (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، 527.

[20] المرجع السابق، 717.

سياسية، خصوصاً بعد انتصار إسرائيل في حروبها ضد العرب، فما كان من أمريكا إلا أن أرادت توظيف ذلك المد الإسلامي في إنجاح سياستها بهؤلاء الإسلاميين ضد الخطر الشيوعي المتمثل في الاتحاد السوفيتي.[21] وهذا الكتاب ركز على فترة الحرب الباردة فقط، فيما يخص توجهات السياسة الأمريكية إزاء الإسلام السياسي، ولم يركز على فترة التسعينيات التي تعالجها الدراسة هنا أيضا.

كما نوجد كتاب لنعوم تشومسكي بعنوان (في تفسير مذهب بوش)، تحدث فيه الكاتب حول دور المخابرات الأمريكية في نشوء حركة طالبان في التسعينيات من القرن الماضي، لتحقيق أهدافها الاقتصادية بمد خط الأنابيب من أرضها إلى آسيا الوسطى.[22]

كما أشار الكاتب إلى أن سياسة الولايات المتحدة في خلق أعداء جدد كما تراهم الولايات المتحدة (دول محور الشر، والإرهاب، والدول الراعية للإرهاب)، هو ما يخلق الإرهاب والتطرف ضدها، نتيجة لسياستها في دول العالم الثالث. وكيف أن التشابه في إدارة كل من ريغان وبوش الابن، دفع لتكون السياسات مشابهة للولايات المتحدة إزاء العالم الخارجية بشكل عام، والتنظيمات الأفغانية بشكل خاص، رغم الاختلاف في العلاقة في فترة كل منهما إزاء التنظيمات الأفغانية من الصديق في عهد ريغان إلى العدو في عهد بوش، إلا ان

---

[21] المرجع السابق، 544.

[22] نعوم تشومسكي، مترجم: لبنى محفوظ، في تفسير مذهب بوش (القاهرة: المجلس القومي للترجمة، 2005)، 214.

سياستها التي تقوم على الفوقية والمصلحة القومية الأمريكية بالدرجة الأولى، هي ما شكل التشابه بين الإدارتين.[23]

تعمل هذه الدراسات المختلفة في تطوير موضوع الدراسة الأساسي، حول توجهات السياسة الأمريكية المختلفة، إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية منذ عام 1979–2001، فموضوع الدراسة تفرد عن هذه الكتب، في كونها تخصصت في معالجة الإدارات الأمريكية المتعاقبة في الفترة محل الدراسة، في توجهاتها إزاء التنظيمات الجهادية التي شكلت نواة الجهاد الأفغان في الثمانينيات، وكذلك شكلت القوة المؤثرة على مسرح العلاقات الدولية في مرحلة التسعينيات، وكيف أن هذه التوجهات الأمريكية دفعت بهذه التنظيمات لتكوين تنظيمات تعمل ضد الولايات المتحدة وسياستها العالمية، وتدفعها نحو التطرف والإرهاب العالمي، الذي لم يقتصر على الولايات المتحدة، بل شمل دول العالم أجمع.

كذلك ركزت الدراسة حول أثر الحروب بالوكالة التي كانت ضمن السياسات الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، خاصة في مرحلة الثمانينيات، وهو ما لم يتطرق له أي من هذه الدراسات والكتب، إلا أنها قامت في بعض منها بعرض موضوع الحروب بالوكالة بشكل عرضي وليس بشكل أساسي في موضوع الإرهاب العالمي، وهو ما يشكل أهمية للدراسة، خاصة أن موضوع الإرهاب العالمي الذي قامت لأجله حرب على الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة، لم يزل على قائمة جدول سياسات الدول الخارجية، فهو موضوع يتجدد باستمرار

[23] المرجع السابق، 89– 90.

في ظل الوضع الدولي الراهن، ويشكل الإرهاب معظم معضلات الدول جميعا والولايات المتحدة الدولة العظمى الوحيدة لم تجد مناصا منه.

بالإضافة إلى أن الدراسة أفردت موضوعا عن الدراسات السابقة، في تخصصها بموضوع دور السياسة الأمريكة التي استخدمتها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، في الفترة محل الدراسة، كانت السبب وراء ظاهرة الإرهاب العالمي، وهو الموضوع الذي ذكر بشكل عرضي في الدراسات التي عرضت.

الفصل الثاني

2. الإطار النظري للدراسة

تناولت الدراسة في هذا القسم الإطار النظري العام للسياسة الخارجية، وإسقاطها على السياسة الخارجية الأمريكية، وأهم المداخل الأساسية، هي: تحليل مفهوم السياسة الخارجية، ونظريات العلاقات الدولية في السياسة الخارجية، وأدوات السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة محل الدراسة. وسيتناول هذا القسم الحروب بالوكالة، كأهم أدوات

السياسة الخارجية، مفهومها، والنشأة التاريخية للحروب بالوكالة، وبعض الأمثلة على الحروب بالوكالة خاصة ما يرتبط بالسياسة الخارجية الأمريكية. فإن كثرة استخدام السياسة الخارجية الأمريكية للحروب بالوكالة، أسهم في انتشار التطرف والإرهاب العالمي، متمثلا في تنظيم القاعدة في أفغانستان موضوع الدراسة، وتنظيمات أخرى منشقة عنه حول العالم. كذلك عرض موضوع تدخلات الولايات المتحدة في دول العالم، تحت غطاء الديمقراطية وحقوق الإنسان.

2-1. مفهوم السياسة الخارجية

تتعدد التعريفات التي جاءت في تفسير مفهوم السياسة الخارجية للدول، وهو ما يعكس التعقيد في ظاهرة السياسة الخارجية، وصعوبة التوصل إلى مجموعة الأبعاد، التي تندرج في إطارها، والعلاقة بينها، فالسياسة الخارجية، لا تتحدد طبقا لتشريعات ملزمة، كما في السياسة الداخلية للدول.[24]

تعرّف السياسة الخارجية: بأنها سياسة الدولة الخارجية، تحدد فيها مسلكها تجاه الدول الأخرى، من خلال برامج ومبادئ الغاية منها، تحقيق أفضل النتائج بطريقة سلمية، دون الحاجة إلى الوصول لحالة الحرب. لكن الذي ينتقد فيه هذا التعريف، إغفاله للجانب العسكري، كأداة مهمة من أدوات السياسة الخارجية، والتركيز على الجوانب السلمية.[25]

---

[24] محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998): 11.

[25] أحمد النعيمي، السياسة الخارجية (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2008): 19.

يرى فيرنس وسنايدر، السياسة الخارجية، بأنها: "منهج للعمل، أو مجموعة من القواعد، أو كلاهما، تم اختياره للتعامل مع مشكلة، أو واقعة معينة، حدثت فعلا أو تحدث حاليا، أو يتوقع حدوثها في المستقبل."[26] فجاء هذا المفهوم يرادف بين السياسة الخارجية وبين قواعد العمل والأساليب المتبعة للتعامل مع المشكلات. لكن ما يؤخذ على هذا التعريف أنه لا يفرق بين السياسة الخارجية وغيرها من السياسات، فالسياسة الداخلية، هي أيضا مجموعة من القواعد التي تستعمل للسلوك والاختيار.[27]

وقد عبر هنري كيسنجر رئيس خارجية إدارة الرئيس السابق للولايات المتحدة ريتشارد نيكسون، عندما طلب منه الأخير رأيه في السياسة الخارجية، بأن "السياسة الخارجية يجب أن تتركز على بعض المبادئ الأساسية ذات النفع القومي، يسمح لها بالبقاء عبر التغيرات الحكومية."[28]

أما نيكسون فالسياسة الخارجية بالنسبة له بحسب كيسنجر، تعتبر مجالا خاصا في حال المراهنة على الأمن والمصلحة القومية، وتطوير العالم الحر، وإجراء العدل دون الحاجة إلى ذرائع، مهما كانت الممارسات التقليدية، أو عكسها. كما أن نيكسون في بعض الحالات ترك مصلحته تعلو على القرارات المتخذة في السياسة الخارجية.[29]

ويذهب حامد ربيع في تعرّيفه، بأنها مجموعة الصور للنشاط الخارجي، حتى لو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية، ونشاط الجماعات بشكل حضري، أو تعبير الأفراد بشكل ذاتي

---

[26] سليم، تحليل السياسة، 7.

[27] المرجع السابق، 8.

[28] هنري كيسنجر، مترجم: عاطف أحمد عمران، هنري كيسنجر مذكّرات، الجزء الأول (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2005)، 34.

[29] المرجع السابق، 46.

للحركة الخارجية، وكل ذلك يندرج ضمن الباب الواسع الذي يطلق عليه السياسة الخارجية. وهذا التعريف يذهب إلى وضع كل نشاط خارجي، ضمن مفهوم السياسة الخارجية، لكن ليس بالضرورة أن يتضمن كل نشاط خارجي سياسة خارجية.[30]

ولتفادي النقد في المرادفة بين الأنشطة الخارجية والسياسة الخارجية ذهب بعض الدارسين في تعريفهم السياسة الخارجية إلى تحديد المقصود بالأنشطة وهي السلوكات والتصرفات، ومثال ذلك، تشارلز هيرمان الذي عرّفها بأنها "السلوكات الرسمية المتميزة، التي يتبعها صانعو القرار الرسميون في الحكومة، أو من يمثلونهم، والتي يقصدون بها التأثير في سلوك الوحدات الدولية الخارجية."[31] وعرفها كذلك مازن رمضان، بأنها السلوك السياسي الخارجي من قبل صانعي القرار بشكل مؤثر وهادف.[32] فهذه التعريفات أخرجتها من العمومية في تحديد السلوك والنشاطات الخارجية للدول، إلى جانب النشاط الخارجي السياسي الرسمي فقط.

كما وضح تشارلز كجلى (Charles W. Kegley)، ويوجين ويتكوف Eugene R. (Wittkopf)، بأن السياسة الخارجية تندفع من طريق إلى آخر استجابة لتطورات خارجية، وتغيرات خارجية كذلك، من خلال السياسيين الرسميين الذين يديرونها، وهو حال السياسة الخارجية الأمريكية، فهي تدار من خلال القادة الرسميين، بالإضافة إلى الرأي العام

---

[30] سليم، تحليل السياسة ، 7.

[31] المرجع السابق، 9.

[32] المرجع السابق.

الأمريكي الداخلي، وفي هذا التعريف أضاف كل من كجلى وويتكوف إلى السياسية الخارجية للدول، أهمية السياسة الداخلية في التأثير على القادة السياسيين.[33]

وهو ما أشار له كيسنجر في أن السياسة الخارجية لا تستغني عن الاتجاهات الجديدة في السياسة الداخلية، التي يحددها التطور التشريعي، والمبادرات الأساسية يمكن النظر فيها لطرح منهج جديد، أما المبادرات الأساسية الخارجية فتستوجب استعدادا مهما، الأمر الذي لا تظهر نتائجه إلا بعد أشهر أو سنين. وللنجاح بالسياسة الخارجية يجب النظر في القدرات التي تتفوق علينا، وتحسين الفوارق، وارتباطات القوى المتبادلة، وعدم الارتباط هذا يولد ردة فعل عكسية، ويجبر رجال السياسة على استخدام مصالحهم الخاصة، وتحمل ضغوط مختلفة، ويصبح وزير الخارجية تابعا لمكاتبه، ويتأثر الرئيس بتنظيمات حكومته، ويكون الاثنان عرضة لأن يصبحا سجيني الأحداث. وهذه الأسباب دفعت السياسة الخارجية الأمريكية إلى البحث عن وسائل جيدة لمنع بقائها في حلقة مفرغة، من التدخل الدائم في أمور الدول، أو الانعزالية، والتوجه نحو التوسع والسعي للمصلحة القومية.[34]

ومن أكثر التعريفات شمولية للسياسة الخارجية، تعريف روزناو، الذي وضح بأنها منهج للعمل يستخدمه الممثلون الرسميون عن المجتمع القومي، من أجل اقرار أو تغيير موقف معين في المجتمع الدولي، بما يتوافق والأهداف المحددة سلفا.[35]

---

[33] تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف، مترجم: عبد الوهاب علوب، السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية (رؤى وشواهد) (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 2004)، 13-14.

[34] كيسنجر، هنري كيسنجر، 108.

[35] سليم، تحليل السياسة 11.

ركز محمد السيد سليم في تفسيره لمفهوم السياسة الخارجية، على الخصائص الأساسية لعملية السياسة الخارجية والأبعاد الممثلة لتلك السياسة، فالسياسة الخارجية للدولة، تتفاوت بحسب من يتم التعامل معهم، والقضايا التي يتم مناقشتها، فقد تسير الدولة وفقة سياسة خارجية تعاونية مع دولة في قضية من القضايا، وسياسة صراعية حول قضية أخرى مع الدولة ذاتها. وعرّف السياسة الخارجية، بأنها "برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية، من بين مجموعة البدائل البرامجية المتاحة، تحقيقا لأهداف محددة في المحيط الخارجي."[36]

وضمن تعريف السيد سليم للسياسة الخارجية، تصنيفه لها من خلال مجموعة من الخصائص، فالسياسة الخارجية تتطرق إلى سياسة وحدة دولية واحدة ذات أهداف واحدة إزاء المحيط الخارجي، الذي يميزها عن العلاقات الدولية، كما أنها سياسة علنية لبرنامج العمل الخارجي من صانعي السياسة، أيضا هي ظاهرة برنامجيه مركبة ومتعددة الأبعاد، تضمن أبعادا ذات طبيعة عامة، مثل التوجهات، والأدوار، والإستراتيجيات، وأبعاد ذات طبيعة محددة، مثل القرارات، والسلوكات، والسياسة الخارجية توجه للمحيط الخارجي للدول، وهو ما يميزها عن السياسة الداخلية، الذي لا ينفي وجود ترابط وتشابك بين السياسة الداخلية والخارجية. [37]

فمجموعة الخصائص سالفة الذكر، وغيرها، هي ما يحدد الظاهرة البحثية، بأنها ضمن أبحاث السياسة الخارجية، والدراسة هنا تبحث في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء

---

[36] المرجع السابق، 11-12.

[37] المرجع السابق، 67-68.

التنظيمات الجهادية الأفغانية في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، فهي تدرس التوجهات الخارجية لصانعي القرار الأمريكي تجاه التنظيمات الجهادية في الفترة محل الدراسة، وهي في صلب دراسات السياسة الخارجية.

ومن خلال التعريفات السابقة، تُعرّف الباحثة السياسة الخارجية، بأنها عبارة عن القواعد، والآليات، والبرامج، والأهداف، والعديد من الأبعاد الخارجية لدولة معينة، التي يقوم بها صانعو القرار الرسميون، في سياستهم الخارجية إزاء العالم.

2-2. الواقعية السياسية في السياسة الخارجية الأمريكية

جاء منظور الواقعية في العلاقات الدولية ضمن فرضية أن القوة والرغبة في الهيمنة هي ما تحكم العلاقات في النظام الدولي، وهي أساس في علاقات الدول، فتذهب لتحقيق أهدافها في سياستها الخارجية بكل الوسائل، دون إعطاء أهمية للجوانب القانونية والأخلاقية. وهو ما أكد عليه منظرو الواقعية منذ حرب بيلوبونيز بين أثينا وإسبارطة منذ عام 404 ق.م، أمثال هوبز، ومينغ تسي، وميكافيلي، فتحدث الأخير مثلا عن دور القوة بالسياسة في عصره، وأن الحاكم يجب أن يعتمد على معايير أخلاقية تختلف عن التي يتبناها الفرد العادي، لضمان أمن الدولة وبقائها، والسياسة عنده هي تصارع على المصالح.[38] فتذهب السياسة الخارجية الأمريكية نحو السياسة الواقعية في علاقاتها الخارجية، رغم تبنيها للمنظور الليبرالي، فهي تتبنى القيم الليبرالية كفتح الأسواق العالمية، والديموقراطية، وحقوق الانسان.

[38] النعيمي، السياسة الخارجية، 90- 91.

ولا تعطي السياسة الخارجية الأمريكية أهمية للأخلاق والقانون، وهو ما انتقده منذ زمن جورج كينان سفير الولايات المتحدة في موسكو عام 1952، أحد القادة الواقعيين في السياسة الدولية، وعمل على سياسة الحد من الشيوعية، فترة الحرب الباردة، فانتقد المنهج القانوني والأخلاقي في المشكلات الدولية، والقانون الدولي لا يصلح عنده لتسوية المشكلات، وكان ينتقد بشدة السياسة الخارجية الأمريكية الأخلاقية والقانونية السابقة، في عهد الرئيس هاري ترومان، ويركز على القوة والمصلحة في العلاقات الدولية، والمصلحة هي التي تتمحور في إطارها القوة، التي بدورها تؤثر في فكرة السيطرة.[39]

ثم ظهرت الواقعية الجديدة في ثمانينيات القرن الماضي، التي جاءت امتدادا للواقعية التقليدية، ومن أهم روادها كينيث والتز، وستيفن كريزنر، وجورج مودلكسى وغيرهم، فأكدت على فكرة الصراع الدولي السياسي للسيطرة، بالإضافة إلى جانب العلاقات الاقتصادية التي شكلت الفارق بينها وبين الواقعية التقليدية، فقد انتقدت الواقعية الجديدة كلا من الليبرالية، والواقعية التقليدية، في إخفاق كل منها بإدراك ضرورة فهم العلاقة البنيوية، أو الارتباط السببي بين الوسائل والأهداف، التي تؤدي إلى السيطرة أو ضمورها، والقدرة على تكوين الأهداف، والمصالح لدى الدول.[40]

ومن الملاحظ، أن السياسة الخارجية الأمريكية أقرب ما تكون لقيم الواقعية الجديدة، التي ذهبت للربط بين الجانب الاقتصادي في فتح الأسواق الحرة على العالم الخارجي والخصخصة من جهة، وبين قيم الواقعية التقليدية في المصلحة، والقوة والأهداف في

[39] إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسة الدولية دراسة في الأصول والنظريات (الكويت: منشوارت ذات السلاسل، 1993)، 19.

[40] المرجع السابق، 104- 105.

العلاقات الخارجية من جهة ثانية، وهو ما يشكل ازدواجية في سياسة الولايات المتحدة، فهي ظاهريا تدعو إلى الليبرالية، وفتح السوق في العلاقات الدولية، في مقابل ذلك، لم تخرج السياسة الخارجية مع دول العالم، عن قيم الواقعية التقليدية في السيطرة والمصلحة، وهو ما يفسر العلاقة التي ربطتها مع التنظيمات الجهادية الأفغانية في الثمانينيات، فلم تنفك الولايات المتحدة في ذلك الوقت، عن دعم هذه التنظيمات مقابل مصلحتها العليا بتدمير أركان الشيوعية للاتحاد السوفيتي، كذلك السياسة نفسها في المراحل اللاحقة.

وحاول مجموعة من المنظرين الواقعيين الجدد إيجاد منظور متخصص في مجال السياسة الخارجية، مثل الواقعية الهجومية، والواقعية الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة، وتعتبر الأخيرة التوجه الأساس في هذه الدراسات، فركزت الواقعية الكلاسيكية الجديدة، على إيجاد تقارب وسط يجمع القيم الداخلية والخارجية للدولة، التي أكدت أن مصادر السياسة الخارجية هي نتاج عن السياسية الداخلية، سواء البنية الاقتصادية، والاجتماعية، والقومية وغيرها.[41] لكن هذا الإطار النظري لم يصل بعد إلى مستوى نظرية منهجية في دراسات السياسة الخارجية.

وتبقى السياسة الخارجية الأمريكية ضمن سياسة واقعية بامتياز إلى يومنا هذا، فهي تتدخل في القتل، والضرب، والخراب، والتدمير في مختلف دول العالم، من منطلق الهيمنة التي ركزت عليها الواقعية أيضا، وهو ما شكل أساس دعمها وتوجيهها للجهاد الأفغاني في الثمانينيات، ومع انتهاء الحرب في مرحلة التسعينيات وبداية الهيمنة الأمريكية على العالم،

---

[41]Gideon Rose, Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy (London: *Cambridge University Press, 2010), 145-146.*

ازداد التخوف الأمريكي من أي خطر قد يعيق هذه الهيمنة، التي اصبح يشك فيها، في ظل الهجمات الإرهابية التي وقعت على أرضها عام 2001، التي بقيت ضمن نفس السياسة، بالنسبة لتوجهاتها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية.

2-2. أدوات السياسة الخارجية الأمريكية

تميزت السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة محل الدراسة بأدوات، أفردتها عن المراحل الأخرى في السياسة الخارجية، وبحسب ما جاء به أستاذ العلوم السياسية عبد المنعم المشّاط، فإن أدوات السياسة الأمريكية الخارجية في فترة الحرب الباردة حتى عام 2001 هي:[42] القوة العسكرية، والأعمال العنفية، والانقلابات العسكرية، والتحول نحو القوة الناعمة، والدبلوماسية الجديدة، وأهم أداة ميزت هذه الفترة هي الحروب بالوكالة.

2-2-1 القوة العسكرية

تتفوق الولايات المتحدة في مجال القوة العسكرية خاصة القوى النووية التي تعد الدولة الأولى التي استخدمتها في القرن الماضي، فمنذ أن استخدمت قدراتها النووية ضد اليابان بضربها هيروشيما ونجازاكي عام 1945، الأمر الذي أنهت فيه الحرب العالمية الثانية، أصبحت القوة العسكرية الأمريكية إما رادعة للآخرين، أو قوة غازية، أو فاصلة في الصراعات والنزاعات الدولية. فأثناء الحرب الباردة عملت الولايات المتحدة في توظيف توازن الرعب

[42] عبد المنعم المشّاط، "تحولات السياسة الخارجية الأمريكية وتأثيرها في العلاقات الدولية،" السياسة الدولية، عدد 200، مج50 (أبريل 2015): 94- 97.

النووي لردع الاتحاد السوفياتي، الأمرالذي مكنها من توقيع ثلاث اتفاقيات لتخفيض الترسانة النووية لدى الطرفين، وهي (ستارت، وسالت1، وسالت2).

ففي ظل إدارة الرئيس ريغان، عمل على توظيف الخوف من التفوق النووي الأمريكي من ناحية، وعدم قدرة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية، على المنافسة في الحصول ما يريده ، لذا تمكنت أمريكا عام 1982 من إطلاق مبادرة الدفاع الإستراتيجي لتحقيق التفوق النووي على السوفييت، وإجهاده اقتصاديا، وهي المبادرة التي دفعت بالاتحاد السوفيتي للرضوخ لشروط اتفاقية ستارت، وزيادة كبيرة في الدفاع صادق عليها الكونجرس بشكل لم يسبق له مثيل في الولايات المتحدة.

وفي الجانب العسكري تعد وكالة المخابرات المركزية التي أنشأت عام 1947، من أكثر الأجهزة عملا في هذا الجانب، خاصة أن مهمتها جمع المعلومات التي يمكن على أساسها توجيه القوى السياسية، والعسكرية لحكومة الولايات المتحدة، حول قضية من القضايا الأساسية في السياسة الخارجية.[43] فالمخابرات المركزية اعتبرت أساس تحرك القوة العسكرية الأمريكية فترة الثمانينيات، وتحديدا في حرب أفغانستان عام 1979، من خلال العلاقة الكبيرة التي كانت بين قادة الوكالة، والتنسيق مع القادة العرب والمجاهدين الأفغان، كذلك وجودهم المباشر في أفغانستان والاشتراك في مجريات الحرب، كما ستعرضه الدراسة فيما بعد.

---

[43] بروستر ديني، مترجم: ودودة عبد الرحمن بدران، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1991)، 128-129.

2-2-2 الأعمال العنيفة والانقلابات العسكرية

ذهبت الولايات المتحدة نحو سياسة التدخل، بعكس ما جاءت به المادة الثانية في الفقرة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة، الذي يحرم على الدول التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وذلك من خلال تدخلها في الشئون الداخلية للدول الصغيرة، باستخدام أساليب ووسائل غير أخلاقية كأعمال الخطف، والقتل، والاغتيال، وشق الجيوش الوطنية، وتشجيع الانقلابات العسكرية، مثل كوبا وأنغولا والكونغو وأفغانستان وغيرها، متسترة بقيم الديمقراطية، وتوجهات حقوق الإنسان التي غلفت سياستها الخارجية بغلافها إلى يومنا هذا.

وسياسة التدخلات، بدأت العمل بها الولايات المتحدة في بداية القرن الماضي بشكل جلي، بعدما وجدت أنها الطريقة الأفضل من سياسة الاستعمار، التي ظلت مسيطرة على العالم في ذلك الوقت، فهي سياسة تستطيع بها وضع يدها على الدول الضعيفة، دون الحاجة لحملة عسكرية شاملة، واستيلاء على الأرض كما كان في السابق. فالمهم لديها الوصول إلى الثروات والمواد الخام، الموجودة في الدول الضعيفة، بأقل التكاليف التي كانت تفرضها التدخلات العسكرية المباشرة، وهي السياسة التي انتهجها أيضا الاتحاد السوفيتي، بكسب تأييد الدول الفكري والعاطفي، وهو ما سيوصلها إلى تحقيق المكاسب المادية على الأرض فيما بعد.

2-2-3 التحول نحو القوة الناعمة

توجهت إدارة الرئيس ريغان، نحو توظيف مصادر القوة الكامنة في النظام السياسي الأمريكي، وهو ما كان موجدوا في عقد الستينيات، وذلك بدمج السياسة الداخلية بمكوناتها الفكرية، والتجارية، والقيمية، والفنية من ناحية، والسياسة الخارجية من ناحية أخرى، فعملت السياسة الخارجية الأمريكية على نشر الثقافة والقيم الليبرالية الأمريكية في جسم الاتحاد السوفيتي الشيوعي، وتغير الصورة النمطية عن الحرب الباردة، فانتشرت محلات الأكلات السريعة، والترويج للملابس الأمريكية، لدرجة وصلت لنشر نمط الحياة الأمريكية المتعلق بالموسيقى، والفنون، والأفلام، فكانت هذه الأداة مهمة، لتوطئة التفوق الأحادي الأمريكي بعد ذلك.

وتعتبر وسائل الإعلام من أهم أدوات القوة الناعمة التي ترتكز عليها السياسة الخارجية الأمريكية، خاصة عملها أثناء الحرب الباردة، ودورها في التأثير على الجمهور الأمريكي، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تبنى الإعلام الأمريكي فرضية المواجهة النووية مع الاتحاد السوفيتي، بأن الولايات المتحدة تواجه عدوا لا يرحم، بالإضافة إلى أنها المصدر الأول للمعلومات، لدى الرأي العام الأمريكي فترة الحرب الباردة وما بعدها.[44]

فالقوة الناعمة، أداة خطيرة شكلت مبعثا مهم في توجهات السياسة الأمريكية الخارجية، إزاء العالم الخارجي وأفغانستان بشكل خاص، وتحديدا في مرحلة ما بعد الحرب الثانية عام 2001، فجاءت للبلد من منطلقات حقوق الإنسان والديمقراطية، وتطوير المجتمع الأفغاني

[44] المرجع السابق، 145-146.

نحو الحياة الأمريكية، التي لم تأت للشعب الأفغاني إلا بمزيد من القتل والتشتت والفقر، كما ستعرضه الدراسة.

2-2-4 الدبلوماسية الجديدة

عملت الولايات المتحدة على تطوير أسس وقواعد دبلوماسيتها التي انتقلت من الدبلوماسية الرسمية إلى الدبلوماسية الشعبية، وهذا ما يطلق عليه دبلوماسية تحويلية، وهذه الدبلوماسية امتداد لما كان يطلق عليه خاصة في ظل إدارة الصراعات الدبلوماسية للأبواب الخلفية، أو الدبلوماسية الموازية، وقد تم الاعتماد عليها في المراحل اللاحقة للسياسة الخارجية الأمريكية. وهي الدبلوماسية التي اعتمدت لاستمرار حالة التوازن بين القوتين العظميين، مع محاولة السياسة الخارجية الأمريكية المحافظة على مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط من خلال حلفائها الخليج، بتوثيق العلاقات مع إيران، والسعودية، وإسرائيل، فستحدث الرئيس نيكسون مبدأ العمودين المتساندين مع إيران والسعودية، لمنع أي تقدم للاتحاد السوفيتي في منطقة نفوذها النفطية، واستمر هذا المبدأ حتى سقوط نظام الشاه في إيران عام 1979.[45] وعملت الدبلوماسية الجديدة في استمرار التوازن بين القطبين المتصارعين، ودون محاولة الإشارة لأي طرف بالقوة النووية لديه، ومع التنافس على مناطق النفوذ، لم تستطع أي منهما الاقدام على الاستخدام المباشر للقوة العسكرية ضد بعضهما، فمع إقدام الاتحاد السوفيتي لغزو افغانستان عام 1979، إلا أن الولايات المتحدة لم تستطع الدخول بالحرب بشكل

[45] المشّاط، "تحولات السياسة،" 96.

مباشرة، لكنها عمدت للدخول كطرف ثالث في الحرب، تجنبا للمواجهة النووية المحتملة والمباشرة. وبقيت مرحلة توازن الرعب إلى أن انسحب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان عام 1989، وبدأ حملات الإصلاح السياسي الداخلي وسياسة الانفتاح التي كانت من أسباب انهياره عام 1991.

2-2-5 الحروب بالوكالة

نتيجة لعدم قدرة الولايات المتحدة على الذهاب إلى حرب شاملة ومباشرة مع الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة، بسبب السلاح النووي وقوة الردع، وبعد حل أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962 بصورة ودية بينهما، استندت الولايات المتحدة على الحروب بالوكالة لتحقيق التوازن الدولي، ففي هذه المرحلة شهد العالم الثالث حروبا أهلية ودولية، وكلها تخضع لقوانين القوتين العظميين، التي لم تهدأ إلا بعد القضاء على الاتحاد السوفيتي، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالأحادية القطبية العالمية.

ومن منطلق الأهمية للحروب بالوكالة في الدراسة نتيجة للدور الذي لعبته في فترة الثمانينيات، باعتبارها من أهم أدوات السياسة الخارجية في تلك الفترة، الذي ذهب ببعض الكتّاب لوضع إطار نظري لها، فعرّفها مثلا الكاتب أندرو مومفورد(Andrew Mumford)، بأنها نزاعات يدخل فيها طرف ثالث بشكل غير مباشر، من أجل التأثير على النتيجة الإستراتيجية لصالح فصيلها المفضل، وهي عامل وثيق الصلة بالطبيعة المحتملة للصراع في المستقبل. وهي أيضا حسب مومفورد: " ممثل دولة أو جهة غير دولة خارج ديناميكية

الصراع القائم، والوكلاء المختارون، هم قناة لأسلحة المتبرع وتدريبه والتمويل كذلك." وهي أيضا، الاستبدال المنطقي للدول التي تسعى إلى تعزيز أهدافها الإستراتيجية الخاصة، لكنها تتجنب في الوقت نفسه الدخول في حرب مباشرة دموية ومكلفة.[46]

ووصف العالم السياسي كارل دويتش (Karl Deutsch) الحروب بالوكالة عام 1964، بأنها، "صراع دولي بين قوتين أجنبيتين، تتحاربان على أرض بلد ثالث، مقتنعة على أنها صراع حول قضية داخلية في ذلك البلد، وباستخدام بعض القوة والموارد في ذلك البلد كوسيلة لتحقيق الأهداف ... والإستراتيجيات الأجنبية."[47]

لكن ما يؤخذ على تعريف ديوتش تركيزه على الدولة، وتجاهل الفاعلين من غير الدول، الذين يمكن أن يلعبوا دور الوكيل الحربي، مثل المتمردين والتنظيمات المختلفة، وتؤدي إلى إضفاء الطابع الدولي على الحرب بالوكالة، فمثلا كان للفواعل من غير الدول دور مهم في الحروب بالوكالة، أثناء الحرب الباردة، كدعم الولايات المتحدة غير المباشر للتنظيمات الجهادية الأفغانية، كوكيل حربي في حرب أفغانستان عام 1979 ضد الاتحاد السوفيتي.[48] وهناك الكثير من الأمثلة للحروب بالوكالة الأمريكية في هذه الفترة، كأنغولا، ونيكاراغوا، وحرب الخليج الأولى وغيرها.[49]

---

[46]Andrew Mumford, "Proxy Warfare and the future of conflict," The Rusi Journal, 28 apr 2013, 40- 46.

[47]I bid.

[48]I bid.

[49] تدخل الولايات المتحدة في الحرب الأهلية في نيكاراغوا عام 1982 بشكل غير مباشر، من خلال تزويد شركة "كونتراس" الوكيل الحربي لها بتكنولوجيا عسكرية باهضة الثمن، وترتيبات مادية ولوجستية واستراتيجية لمساعدتهم على قتال الطرف الموالي للاتحاد السوفيتي، إذ أن الصراع في نيكاراغوا ارتبط بشكل مباشر في صراعات الحرب الباردة بين القوتين العظمتين. (Sarah Cassel, "A Proxy War or A Struggle for National Liberation: The Ideological

وعرّفت الكاتبة لوريتا نابوليوني (Loretta Napoleoni) الحروب بالوكالة، "بأنها مصطلح يطلق على حرب يخوضها طرف ثالث، نيابة عن قوى عالمية عظمى، ومثال ذلك ما حصل في الحرب الفيتنامية في أواخر الستينيات من القرن الماضي."[50] وتفرق الكاتبة بين حرب الوكالة قديما وما هي عليه اليوم، فأكدت أن الحروب بالوكالة فترة الحرب الباردة تميزت في أن خيار التمويل كان بيد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة فقط، لكن الحروب بالوكالة اليوم تزايد فيها أعداد الممولين في مختلف أنحاء العالم، خاصة ضمن ما يطلق عليه الربيع العربي. لكن ما لم يتغير على الحروب بالوكالة في الحرب الباردة واليوم الصعوبة المتزايدة للتوصل إلى حلول سلمية للنزاعات التي تشكلها الأطراف المنهمكة في الحروب بالوكالة، وهو ما ينطبق تماما على الحروب بالوكالة القديمة والحديثة، لا سيما تضارب المصالح بين الممولين.[51]

وتوضح الكاتبة نافيا ميهتا (Navya Mehta) الحرب بالوكالة، في أنها صراع بين بلدين، يشترك فيها طرف ثالث بشكل غير مباشر في القتال، والطرف الثالث فيها، يعمل على توجيه الصراع من خلال وسائل الدعم الأخرى غير الحرب المباشرة.[52] وتعرّف الكاتبة أيضا الحرب بالوكالة، بأنه صراع بين بلدين تشترك فيها أمة ثالثة، بشكل خفي في القتال، وهي تعتمد على البلدين اللذين يستخدمان الصراع الخارجي للهجوم على الأرض، أو مصالح البلد

Motivations and a Human Rights Considerations of the United States- Contra Alliance," SIT Digital Collections, 2012, 4.)

[50] سامر كروم. الدولة الإسلامية "داعش" الدولة الإسلامية "وإعادة ترسيم حدود الشرق الأوسط" (خلدية: دار الوراق للنشر، 2015): 164.

[51] المرجع السابق، 51-52.

[52]Navya Mehta, "Preventing Proxy Wars in the Middel East," Disarmament and International Security Committee (DISEC- UNGA 1), 20-23 October 2016.

المعارض لكل منهما، "والوكيل: هو وكيل، أو منظمة أمرت بالتصرف لصالح شخص، أو جهة أخرى، وفي الحروب بالوكالة يشير الوكيل إلى المنظمة التي يستخدمها البلد، للقيام بالحرب ضد البلد المعارض."[53]

فيما اعتبر سالم دندن الحروب بالوكالة مواجهة بين قوتين عظميين عن طريق استخدام عناصر بديلة للمواجهة المباشرة، وغالبا كانت هذه البدائل دولا صغيرة، أو فواعل من غير الدول وكلاء للقوى العظمى مثل استخدام التنظيمات الجهادية الأفغانية في عقد الثمانينيات، وكان السبب المباشر للحرب بالوكالة اختراع السلاح النووي، الذي لا مجال فيه إلا دمار جميع الأطراف،[54] وبالتالي استخدام وكيل حربي يقلل من خطر نشوب حرب نووية شاملة ومدمرة بين القوى العظمى.

كما أنه يمكن للدول الكبرى، توكيل وكلاء إضافة إلى الوكيل الأول المباشر في النزاع، كما فعل الاتحاد السوفيتي، عندما أوكل لكوبا التدخل العسكري في الحرب الأهلية في أنغولا كوكيل له، وذلك لكي يتمكن من التغلب على الإدانة القانونية المحتملة دوليا.[55]

وبناء على ما تقدم تعرف الباحثة الحرب بالوكالة، بأنها: دخول طرف ثالث غير مباشر، لخوض حرب من خلال قوة محلية من قبل قوى كبرى، خوفا من حرب نووية شاملة مدمرة، مع وجود علاقة غير متكافئة بين أطراف هذه الحرب، لكي يتم تبادل الخدمات العسكرية والأسلحة والحماية. وهو التعريف الذي ينطبق على الحالة الدراسة في البحث، فالولايات

---

[53]I bid.

[54]Salem B. Dandan, "On Proxy War," Danish Political Science, Association Annual Meeting, 25-26 October, University of Copenhagen.

[55]I bid.

المتحدة استخدمت التنظيمات الجهادية الأفغانية، لتسيير الحرب الباردة الدائرة بينها وبين الاتحاد السوفيتي.

2-3. التدخل العسكري تحت غطاء الديمقراطية وحقوق الإنسان

تحدث المراسل الدبلوماسي لجريدة نيويورك تايمز، نيل لويس عن أن رؤية العالم يستنسخ الديمقراطية الأمريكية هي أساس ومحور السياسة الخارجية الأمريكية،[56] فمنذ عهد الرئيس كارتر، بدأت سياسات الاهتمام بمبادئ الديمقراطية والحرية الأمريكية، وجاء ريغان ومن تلاه بمزيد من التركيز، في مجال نشر الديمقراطية، وحقوق الإنسان حول العالم.

وبحسب الرؤية الأمريكية لعملية التدخل العسكرية من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان، يرى فريق المحافظين الجدد الذي ظهر في ظل إدارة ريغان، وعلا صيتهم مع إدارة الرئيس بوش الابن أن مشروعية التدخل لديهم، ليست بما إذا كان يتوافق مع المبادئ والقوانين الدولية التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة، والاتفاقيات والأعراف الدولية، وإنما يكون التدخل محدثا تغيير في الأوضاع السياسية، والاقتصادية الداخلية نحو الأحسن أو الأسوأ، فإذا كان التدخل تحسن في أوضاع حقوق المرأة والإنسان، وتقبل التعددية الفكرية والسياسية، وإدارة المرافق والخدمات الاقتصادية والاجتماعية، فيصفون ذلك التدخل بالتقدمي، بغض النظر إذا

---

[56] نردين الميمي، "الإعلام وصنع السياسة الخارجية الأمريكية "الحرة أنموذجا،" مجلة تسامح، عدد 31 (كانون أول 2010): 83- 100.

كان يتناسب مع قوانين الأمم المتحدة التي تكرس مبادئ السيادة الوطنية، وعدم التدخل في شئون الدول الداخلية.[57]

لذلك ذهب هؤلاء إلى إسقاط طالبان في أفغانستان، ونظام صدام في العراق، وقبلهم ميلوسوفيتش في صربيا، وهو ما اعتبروه تدخلا تقدميا مهما، فهو أصلح المجتمع السياسي وطور حقوق الإنسان والمرأة في هذه البلاد، وبالتالي إزالة هذه الأنظمة الفاسدة، كان ضرورة لوقوفها ضد الحرية، والديمقراطية الأمريكية المنشودة.[58] التي لم تدخل بلد بهذه الأفكار، إلا تركته في دمار وفقر، ودفعها نحو مزيد من التخلف، لأن الولايات المتحدة تأتي بهذه الأفكار من خلال الحروب والقتل والدمار.

وقد فسروا أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، من منطلقات (صراع الحضارات) وفق نظرية صموئيل هنتنغتون، أي أنها حرب على الديمقراطية والحرية الأمريكية، وطريقة حياتها، وهو ما أقدم على طرحه الإعلام وأوساط الرأي الأمريكية، وهو التفسير الذي وضع الإسلام كديانة أعداء للحضارة الديمقراطية الغربية، ووضعوا حركات التحرر، والمقاومة الوطنية جميعها في كفة الإرهاب الإسلامي.[59]

فبتبنيها سياسة تقوم على ضرورة المشاركة العالمية في قيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان الغربية، بالإضافة إلى نشر الحياة اليومية الأمريكية بين شعوب العالم، وهي النظرة التي تجد صعوبة في المجتمعات الأخرى، خاصة في ظل الاختلافات الدينية، والاجتماعية، والثقافية،

---

[57] مصطفى علوى، "السياسة الخارجية الأمريكية وهيكل النظام الدولي،" مجلة السياسة الدولية، عدد 153، مجلد 38 (يوليو 2003): 66- 79.

[58] المرجع السابق.

[59] هيثم الكيلاني، "على هامش الحرب الأمريكية على أفغانستان،" مجلة دراسات شرق أوسطية، مجلد 6، عدد 18 (شتاء 2001- 2002): 87- 101.

والتقاليد الموروثة، يجعل من الصعب إغراق الشعوب بالقيم الغربية، خاصة أن من قام بـ11 أيلول/ سبتمبر عاشوا في الغرب، لكنها لم تنجح في السيطرة عليهم، بل دفعت نحو نفورهم أكثر فأكثر، فالتنظيمات المتطرفة أمثال القاعدة، لم تكن سياسة الولايات المتحدة المتمثلة في العراق، وفلسطين، والخليج ما يزعجهم منها فقط، كذلك القيم الغربية التي تعمل لفرضها بالقوة على دول العالم الإسلامي.[60] فما شكل توجها حاسما ضدها، كانت سياساتها الانتقائية وفقا لمصالحها القومية، وتدخلاتها المستمرة في دول العالم الإسلامي.

وكان من نتائج السياسة الأمريكية الديمقراطية في أفغانستان حسب هيلاري كلينتون، إعطاء المرأة الأفغانية حقوقها، فتصف حركة طالبان بمجموعة متطرفة "ذات وجهات نظر من العصور الوسطى، بقيادة رجل دين متشدد هو الملّا عمر، وفرضوا قيودا شديدة على النساء باسم الإسلام، فأجبرن على الاحتجاب عن الأنظار، وارتداء البرقع الذي يغطيهن تماما من الرأس حتى القدم."[61] متناسية أن من أعطى القوى والسلطة للملّا عمر، ليس إلا السياسات الأمريكة التي تجند من تريد، في الوقت الذي تريد، ثم تتركه دون محاولة للنظر لما سينتجد عن مثل هذه التوجهات.

وفي هذا السياق يصف الصحفي بانكاج ميشرا (Pankaj Mishra) حالة أفغانستان بعد الحرب، في أن البلد بعد أن تم القضاء على طالبان، انفتحت على القيم الغربية في مختلف مجالات الحياة، فالفتيات الأفغانيات يلبسن بناطيل الجينز الضيقة ووجههن مكشوف، والسينما تعرض الأفلام الإباحية، وصوت الموسيقى تضج في أسواق كابول، كأنها أحد

---

[60] شوير، عوالم متصادمة ، 41- 45.

[61] كلينتون، مذكرات هيلاري، 138.

أحياء الهند، مع وجود القوات الدولية الذي أعطى مزيد من الحداثة لأفغانستان وفقا للمفهوم الغربي؛ وأكد أن الولايات المتحدة ذهبت لأفغانستان لتحقيق مصالح إستراتيجية مهمة مباشرة وغير مباشرة، كان أولها القضاء على الإرهاب الذي يحمل في طياته الكثير من السموم الأمريكية، لبلد مثل أفغانستان، سواء من قضية البترول إلى انتشار المخدرات والجريمة.[62]

وبتناقض مع ما عرضته هيلاري كلينتون، بينت الدكتورة جلال إحدى المشاركات في الانتخابات التي قادتها الولايات المتحدة في أفغانستان، التي حصل فيها حامد كرزاي على السلطة بمساندة غربية، على الغش في الانتخابات التي راقبتها الولايات المتحدة، من خلال تسجيل أسماء مشاركين أكثر من مرة لصالح كرزاي، ودعمت الأخير بالكثير من الدولارات لحملته الانتخابية، ولم يقدموا أي دعم لها، خاصة أنهم جاؤوا بمبادئ عن حقوق المرأة والديمقراطية، التي دخلت بها لورا بوش، وشيري بلير أفغانستان في أواخر عام 2001، وتم منعها من المشاركة في القرار السياسي؛ كما وضحت أن حكومة كرزاي يسيطر عليها أمراء الحرب، الذين ليس لهم من التدريب والتأهيل العلمي، اللازم للعملية السياسية والديمقراطية في البلد.[63]

فحقوق المرأة التي تريدها الولايات المتحدة في أفغانستان، هو الانفتاح على القيم الغربية والفكرية، وليس وضع المرأة الأفغانية ضمن المجتمع الأفغاني، كجزء رئيسي في الحياة

---

[62] بانكاج ميشر، مترجم: بثينة الناصري، ""أفغانستان" الدولة الفاشلة،" مجلة الكتب وجهات نظر، مجلد 7، عدد 80 (أيلول/ سبتمبر 2007): 25.

[63] المرجع السابق، 26.

الأفغانية بجميع الميادين، ودورها المهم في اتخاذ القرار السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، وغيرها في البلد.

وبالنظر للوضع الأفغاني بعد الحرب فلا يوجد تغيير على الأرض، فعمليات القتل والاغتيالات مستمرة، والفقر والجوع واللاجئين في تزايد مستمر، إضافة إلى أن البلد يحكمه أمراء الحرب، الذين انهكوا البلد في الحرب الأهلية عام 1992، وهم إلى الآن يشكلون عامل عدم الاستقرار في أفغانستان، فهي السياسة الأمريكية المستمرة في التدخل بما يتناسب والمصالح الأمريكية، وليس حقوق الإنسان والديمقراطية، فعندما ينتهي عامل المصلحة المؤقت، تزيل يدها من أجل مزيد من إراقة الدماء، والقتل، والتشريد في بلد ضعيف انهكته الحروب، لعقود طويلة كأفغانستان.

مما تقدم، يمكن اعتبار الأساس الذي شكل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية في الفترة محل الدراسة، فهي أولا التخوف من حرب نووية شاملة بين القوى العظمى التي كانت تسيطر على العالم، فدفع كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، للتوجه نحو الحروب بالوكالة، من خلال الحروب الأهلية، لدى دول العالم الضعيفة، ونشر كل منها لقيمها الأيديولوجية، والسياسية حول العالم، وهو ما لم تخرج عنه الولايات المتحدة، في إدارتها لحرب أفغانستان عام 1979، وثانيا عامل المصلحة والأمن القومي الذي يسيطر على السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، ففي فترة التسعينيات وعام 2001، كانت توجهاتها إزاء التنظيمات الأفغانية يتماشى مع مصالحها،

وهو ما دفعها لتذهب في القضاء على الإرهاب، ونشر قيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، التي لم تحمل إلا الشعارات للشعب الأفغاني، الذي عاش ويعيش ويلات الحروب، منذ التدخل الأجنبي في شئونه الداخلية.

الفصل الثالث

3. غزو أفغانستان عام 1979

تمهيد

يتناول هذا القسم من الدراسة، توطئة حول أفغانستان، وأهميتها الجغرافية، والتاريخية، ومعرفة الأجواء العامة قبل حرب عام 1979، ثم استعراض التدخل المباشر للاتحاد السوفيتي في أفغانستان عام 1979 والأجواء الدولية. فيهدف هذا القسم إلى توضيح الوضع العام الافغاني، من أجل فهم السياسة الأمريكية في توجهاتها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في الفترة محل الدراسة.

3-1 أفغانستان

تقع أفغانستان في نقطة الوسط بين آسيا الوسطى، وآسيا الجنوبية والشرق الأوسط، ولها حدود طويلة مع الاتحاد السوفيتي سابقا وإيران وباكستان وحدود مع الصين،[64] وتبلغ مساحة أفغانستان 650 ألف كيلو مترا مربعا، وهي محاطة بالبرّ بشكل كامل، وتضم سلسلة من الجبال، مثل جبال هيندوكوش، التي تقطع البلاد على شكل قطر مائل من ارتفاعات تصل إلى سبعة آلاف متر، وأكثر في الشمال الشرقي، لتتلاشى بعد ذلك في الصحاري المحاذية لحدود إيران وباكستان.[65]

---

[64] حنا صالح، أفغانستان الثورة (بيروت: دار الفارابي، 1980)، 23.

[65] المرجع السابق.

المجتمع الأفغاني مجتمع متعدد الأعراق واللغات، ومفتت، ويعاني انشقاقات كبيرة، ولم تشهد أفغانستان قيام أمة بالمعنى الحقيقي إلا منذ فترة قصيرة، مع بقاء الولاء القبلي والاثني والعرقي، وهو ما دفع بالدولة الأفغانية الناشئة عام 1973 إلى الإبقاء على هذه القوميات القبلية، ولم تدخلها في الدولة، وتتعامل معها من خلال رؤساء القبائل فقط.[66]

والسكان الأفغان خليط من قبائل متعددة، وأكبر هذه القبائل (البشتو أو البشتون)، وسميت باسم (دراني) أيضا، وسكنت هذه القبيلة مدينة كابول، وما حولها من المدن الكبرى، وهناك قبائل (الغلزيون) المنشقة عن البشتو، وهم موجودون بصورة رئيسية، في جنوب وشرق قندهار وباكنيا وننكارهر، وهناك قبائل صغيرة من أصول إيرانية ينتشرون في شمال أفغانستان، كذلك توجد قبيلة (الأزابيكة، وتشاهرايماك، وهزارة)، وأغلبها تتكلم اللغة التركية؛ وحياة هذه القبائل تقوم على تربية الماشية والزراعة والاعمال الأخرى.[67]

أفغانستان إحدى البلدان القليلة التي لم تخضع للحكم الاستعماري في فترة التوسع الاستعماري الرأسمالي، وهو ما أبقى على بنيتها الاقتصادية والاجتماعية فترة طويلة، فقد قاوم ملوك وأمراء أفغانستان الاستعمار، وخاضوا نضالات كثيرة ضد محاولات الاستعمار الإنجليزي للسيطرة عليها.[68]

فتعاملت بريطانيا بتكبر مع الشعب الأفغاني أثناء سيطرتها على البلد، فمن كان بريطانيا يعيش في كابول يتعامل باحتقار تجاه السكان الأفغان، وهو ما دفع السكان للثورة عليهم في

---

[66] محمد شاكر، أفغانستان (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1974)، 20– 21.

[67] إحسان حقي، أفغانستان نشأتها وكفاحها (دمشق: دار الفكر، 2003)، 25– 27.

[68] صالح، أفغانستان الثورة، 22.

أيلول عام 1879، قتل فيها مبعوث بريطانيا، والعشرات من البريطانيين.[69] ومع تزايد الخسائر المتلاحقة للبريطانيين على الأرض دفعها للانسحاب منها في صيف عام 1881، وهو الغزو الذي لم ترده بريطانيا أن يكون مباشرا، لكن الدور الذي لعبته روسيا لتوريط بريطانيا في الحرب للانتقام منها. كما أن الشعب الأفغان تاريخيا منع الغزاة من البقاء طويلا على أرضه، كما هو الحال بالنسبة للدول الثانية مثل اليمن والسعودية وغيرها.[70] وهو الحال الذي وقعت في عام 1979، عندما جرت قدمها الولايات المتحدة لغزو أفغانستان.

فطبيعة الشعب الأفغاني عشائرية لا تستسلم لعملية بناء الأمة والمؤسسات العسكرية التقليدية، فهي تؤمن برباط القبيلة والعائلة والدين؛[71] ورغم النظام الجمهوري الذي سيطر على البلد في السبعينيات، إلا أن الطبيعة القبلية كانت تغلب دائما على أي نشاط سياسي للبلد، وهو السبب الذي أوقعها في حروب أهلية دامية، وعرضها لغزوات الإمبراطوريات الثلاث، فنتيجة لوجود الكثير من القبائل المسيطرة على البلد، تجعل من رئيسها وحكومته لا يشكلون أهمية في وضع البلد الداخلي، بقدر ما يكونون يمثلونها في الخارج فقط.

وهو ما أجبر المستعمر الإنجليزي على الاعتراف باستقلالها قبل الدول الأخرى عام 1921، بعد ضعف الامبراطورية البريطانية، مع ذلك بقي نفوذ وسيطرة للمستعمر في أفغانستان، فجلاء الجيوش لا يعنى زوال الاستعمار، ولا يغير شيئا في الأوضاع بل هي الحالة التي كان يريدها المستعمر، فلا يكلفهم الجنود والحملات العسكرية، التي تحتاج لقوة اقتصادية

---

[69] عبد الطالب، الغزو الأجنبي، 54.

[70] المرجع السابق، 61- 62.

[71] المرجع السابق، 86.

كبيرة، مع بقاء أطماعهم وما يريدون مستمرا.[72] ويكون بقاؤها من خلال الحكومات التي وضعتها في البلد، التي تتماشى مع السياسة البريطانية.

وبعد زوال بريطانيا كانت روسيا المؤهل الوحيد لتسلم المكان البريطاني في أفغانستان، لكن روسيا كانت منشغلة بالثورة الشيوعية، وكان من نتائجها انفصال بعض الأقاليم عنها، خاصة القريبة من أفغانستان، وبعد استقرار الحكم الشيوعي، أصبح من ضمن أهداف السياسة الخارجية الروسية، إعادة بسط سيطرتها على الأقاليم المنفصلة، وأقاليم جديدة كذلك، من أجل المد الشيوعي الذي يجب أن يصل إلى أقاليم كثيرة حول العالم، فقامت بإنشاء (الحزب الديمقراطي) في أفغانستان عام 1932، لكن نفوذه بقي محصورا على الجماعة الموالية له فقط، نتيجة لقوة الأغلبية الإسلامية في أفغانستان.[73]

ولم تفهم أي من القوى العظمى الثلاث بريطانيا والاتحاد السوفيتي وأمريكا أن أفغانستان عصية عن الغزو من القوى الأجنبية، فلم تستطع هذه القوى بسط سيطرتها على البلد لفترات طويلة، لأنها بلد قبلي وعشائري لا يسهُل اختراقه، وفي ظل تعدد أجناسه وأعراقه كذلك.

3-2 غزو عام 1979

لم تحاول أفغانستان منذ أن أخذت استقلالها من بريطانيا الخروج عن الحياد في أي صراع دولي، وبقيت تحاول البقاء في ظل الحياد فترة الحرب الباردة، من أجل الحصول على

---

[72] شاكر، أفغانستان، 86.

[73] المرجع السابق، 87.

المساعدات، والقروض من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، لكن المساعدات الروسية بقيت هي الأكبر، والتي كانت تصل للأفغان قبل قيامها بالغزو عام 1979، فقد وصلت نسبة مساعداتها 65%، أما الولايات المتحدة فكانت نسبة مساعداتها 20% فقط.[74]

اخترق الاتحاد السوفيتي أفغانستان عسكريا قبل عام 1979، نتيجة لضعف القوات المسلحة الأفغانية، ووجود الانشقاقات في الصفوف الوطنية، التي تحولت لحروب أهلية مستمرة فيها، فمثلا دخل 200 ضابط عسكري سوفيتي في الجيش الأفغاني، بقيادة محمد رضا شاه، من أجل العمل لوصول محمد داود للسلطة، كما ذهب الاتحاد السوفيتي للقيام بالعديد من الإجراءات من أجل تعميق السيطرة السياسية، والثقافية، والاقتصادية على البلد، قبل القيام بالغزو الفعلي للبلد.[75]

وهدف الاتحاد السوفيتي من غزو عام 1979، من منطلقات الأهمية الكبرى لأفغانستان، للقوى العظمى منذ آلاف السنيين، فهي منفذ المياه الدفيئة للمحيط الهندي، الذي تطلعت له روسيا قديما وحديثا، أضافة إلى غناها بالثروات الطبيعية غير المستفاد منها من قبل دولة أفغانستان، كذلك فإن الهدف التوسعي للاتحاد السوفيتي الذي نظرت له القوى الاستعمارية القديمة والحديثة.[76]

وقد وضعت روسيا تبريراتها لغزو أفغانستان، ضمن ما أطلقت عليه (مساعدة أخوية)، وهو التعبير الخفي للاحتلال والاستعمار، الذي أعاد إلى الأذهان صور احتلاله للمجر عام

---

[74] المرجع السابق، 90.

[75] وكر الجواسيس 29، تدخلات أميركا، 18- 21.

[76] المرجع السابق، 16.

1956، وتشيكوسلوفاكيا عام 1968.[77] فكما في احتلالاتها السابقة أدعت روسيا، أن الحرب جاءت نتيجة لوجود (ثورة مضادة) مدعومة من الغرب، تريد إسقاط الحكومة الديمقراطية في أفغانستان،[78] إضافة إلى الطلب الرسمي من أجل تقديم المساعدة الروسية للحكومة الأفغانية القائمة، كذلك معاهدة الصداقة الموقعة بين البلدين عام 1978، تعطي المجال للتدخل الروسي المباشر في أفغانستان في حال تعرضت لهجوم خارجي.[79]

مساء 27 كانون الأول/ ديسمبر عام 1979، أعلن في إذاعة كابول انقلاب بابراك كارمل على حكومة حفيظ الله أمين، بمساعدة من الجيش الروسي، وفي اليوم التالي تم إعدام أمين، دون ذكر تفاصيل عملية الإعدام.[80] وكان هذا التاريخ البداية الرسمية للدخول الروسي أفغانستان المعلن عنه، فدخل مئة ألف جندي بمعداتهم من الأسلحة والدبابات والطائرات.[81]

أنهى السردار محمد داود خان في انقلابه على ابن عمه الملك ظاهر شاه عام 1973، الحكم الملكي في أفغانستان، الذي سيطرت عليه الأسرة الدرانية، التابعة للملك الأول أحمد شاه دراني عام 1736، الذي حررها من الخضوع للسيطرة الإيرانية والهندية في ذلك الوقت، وحكمت هذه الأسرة أفغانستان قرنين من الزمن، وبذلك تم تأسيس الحكم الجمهوري في البلاد.[82]

---

[77] رالف ماجنوس، مترجم: صليب بطرس، مشكلة أفغانستان: قضايا، خيارات، سياسات (القاهرة: مكتبة الوعي العربي، 1985)، 50.

[78] المرجع السابق، 23.

[79] ناصر الدين شاه (عضو الثورة)، أفغانستان والغزو الشيوعي (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 1995)، 51.

[80] المرجع السابق، 52.

[81] الجواسيس 29، تدخلات أميركا، 102.

[82] حقي، أفغانستان، 152.

ظهرت مقاومة أفغانية قبل الغزو السوفيتي بسنوات، فالحروب الأهلية الأفغانية الداخلية التي كانت بمساندة روسية، وانقلاب عام 1973، الذي واجه مقاومة من بعض الأفغان، لكنها لم تكن كبيرة بعد، والفترة ما بين عام 1973– 1978 التي تميزت بالعصر الجمهوري في البلاد، ثم انقلابات عام الذي أدى 1978 إلى الغزو السوفيتي، كلها مراحل كانت المقاومة فيها تتزايد يوما بعد يوم، نتيجة لتزايد العامل السياسي في البلاد، والاهتمامات القومية والسياسية الأفغانية، وأهمية دور الإسلام كعامل مهم وباعث للمقاومة.[83]

فقد لقيت روسيا والحكومة الشيوعية الأفغانية مواجهة فورية من قبل المجاهدين الأفغان، ففي شباط عام 1980 أشتد العنف بين المقاومة من جهة، والحكومة الأفغانية والروسية من جهة أخرى، فخرجت المظاهرات والاحتجاجات من أول يوم للغزو، وتنامت هذه الاحتجاجات حتى وصلت إلى الصدام المباشر، واستخدام السلاح ضد المقاومين نتج عنها أعداد كبيرة من القتلى بين المتظاهرين.[84]

لكن المجاهدين الأفغان كانوا مشتتين ومفرقين، نتيجة لكثرة الأحزاب السياسية وتعدد القادة، وحاولت أن تجتمع تحت راية واحدة، باسم (الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان)، لكنها لم تعمل تحت هذا التجمع، فكان كل حزب، أو جماعة تعمل بمفردها، فيتحدث مثلا أحد أعضاء الثورة الأفغانية، ناصر الدين شاه حول حال المجاهدين آنذاك، فأكد على روح الأنانية، وحب الظهور والشهرة التي كانت بين المجاهدين الأفغان.[85]

---

[83] ماجنوس، مشكلة أفغانستان، 98.

[84] الدين شاه، أفغانستان والغزو، 64.

[85] المرجع السابق، 75– 76.

شكلت أطراف الحرب الجيش الروسي، والحكومة الأفغانية الديمقراطية من جهة، والتنظيمات الجهادية الأفغانية من جهة ثانية، لكن الأخيرة لم تكن لتتمكن من أن تربح الحرب إلا من خلال تلقيها المساعدات المباشرة وغير المباشرة من مختلف دول العالم على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. فقد شكل الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة والسعودية لباكستان من أجل مساندة المجاهدين الأفغان في الحرب الأساس الإستراتيجي لانتصارهم في الحرب ضد قوى عظمى كالاتحاد السوفيتي، فكانت باكستان المحرك المهم للحركة، والتمويل، وفتح الطرق للمجاهدين، كذلك فتحت الهجرة والعمل لديها للأفغانيين.[86]

اتجهت الهند والصين وإيران نحو الرضوخ للميول الأمريكية في الحرب، أما الدول الإسلامية فكانت السعودية المحرك الأساسي لها تجاه الحرب، ففتحت الأخيرة أبواب الجهاد العالمي من أجل أفغانستان، وكانت تناشد الشباب العربي، من أجل التوجه لقتال عدو الدين الإسلامي، وهو ما ساعد في تعميم القضية الأفغانية على الساحة العالمية.[87] فقد عملت الولايات المتحدة، لتدويل قضية أفغانستان، من أجل قطع الطريق على الاتحاد السوفيتي، للسيطرة على منطقة مهمة لها في وسط آسيا، فشكلت أفغانستان أولوية في إدارة كارتر، وكانت ذات أهمية في البرنامج الانتخابي لإدارة ريغان.[88]

3-3 الولايات المتحدة والتدخل في أفغانستان أثناء الحرب

---

[86] كمال الهلباوي، "أفغانستان: محاولة للفهم،" مجلة قراءات سياسية، عدد 1 (شتاء 1993): 131- 146.

[87] المرجع السابق.

[88] ماجنوس، مشكلة أفغانستان، 207- 208.

عندما سئل مستشار الأمن القومي بريجنسكي في إدارة كارتر في أواخر التسعينيات عما إذا كان نادما لتقديم الدعم للمجاهدين الأفغان الأصوليين، بالتسليح والتدريب والتمويل، أكد "أيهما الأهم في تاريخ العالم... ظهور طالبان، أم سقوط الاتحاد السوفيتي؟، وأيهما الأكثر قيمة للعالم: تحمل نتائج حماقات مجموعة أصولية تعود أفكارها وممارساتها إلى القرون الوسطى، أم تحرير أوروبا الوسطى من الشيوعية وإنهاء الحرب الباردة؟."[89]

ردة فعل حكومة كارتر على هذا الحدث أكبر من أي حدث أخر دولي آنذاك، بما في ذلك احتلال السفارة الأمريكية في إيران، بعد الثورة الإيرانية، فقد بنى كارتر سياسة خارجية جديدة، تقوم على عدم الوفاق الأمريكي– السوفيتي نتيجة لغزو أفغانستان، وكان هدف الأمريكان عدم وقوع أفغانستان ضمن المجال الحيوي السوفيتي، أو أي دولة أخرى.[90]

وإلى جانب بعض الإجراءات العلنية للأمريكان ضد السوفيت، مثل مقاطعة الألعاب الأولومبية في موسكو، وفرض حظر على شحنات القمح الأمريكية لهم، قررت إدارة كارتر قبل الغزو الفعلي العمل الجاد لمساعدة حركة التمرد ضد حكومة أفغانستان المدعومة من الاتحاد السوفيتي بقيادة أمين، التي سرعان ما أسقطت بدعم من السوفييت أنفسهم، فأصبحت حركة التمرد هذه حركة مقاومة ضد الاتحاد السوفيتي، مدعومة من الأمريكان لمنع التدخل الأجنبي الخارجي في أفغانستان، وإلى جانب الدعم العملي، فقد أقرنته بعمل سياسي يقوم على إدانة الغزو السوفيتي في كل الأوقات والمحافل الدولية، وأكدت بأهمية المساعدات الباكستانية التي لم تعد تتمتع بدولة محايدة بينها وبين الاتحاد السوفيتي، وعلى الرغم من

---

[89] نبيل شرف الدين، بن لادن طالبان.. الأفغان العرب والأممية الأصولية (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002)، 194.

[90] ماجنوس، مشكلة أفغانستان، 219.

عدم الاعتراف المباشر للولايات المتحدة بالمساعدات للمقاومة الأفغانية، لكن من خلال قرارات الولايات المتحدة العلنية ضد الاتحاد السوفيتي، والحشد الدولي الذي قادته، كان يظهر التدخل الأمريكي في حرب أفغانستان، ذلك أن أنها لا يمكنها التصريح العلني بالدعم المباشر للمجاهدين، [91] خاصة أنها لا تريد إثارة روسيا في ظل استمرار الحرب الباردة، التي لم يدم الوفاق فيها كثيرا، والتخوف من حرب نووية تدمر الأطراف كافة.

حاولت الولايات المتحدة إظهار تمسكها بالحلول السلمية في موضوع أفغانستان، فمثلا حاولت الضغط على باكستان والسعودية وإيران والمجاهدين الأفغان لقبول الحل السلمي، وتهيئة رأي عالمي يدعم الحل السلمي في أفغانستان،[92] فأيدت مثلا مفاوضات الأمم المتحدة وسيلة لتحقيق تسوية سلمية للقضية الأفغانية، وهو ما أكد عليه وزير خارجيتها آنذاك شولتز في أيار/ مايو عام 1984، بضرورة تحقيق تسوية سلمية في القضية الأفغانية متفاوض عليها وتؤيدها الولايات المتحدة، وأظهر أنها لا تقبل السيادة السوفياتية على الأرض الأفغانية، وضرورة خروجها من المنطقة. الذي سيحقق مصالح الولايات المتحدة، وأصدقائها الداعمين للجهاد الأفغاني.[93] وفي ذلك تضع الولايات المتحدة نفسها الوصي الشرعي للجهاد الأفغاني، فالحل السلمي يجب أن توافق عليه، دون محاولة لوضع الطرف المباشر في الحرب ضمن هذه الحلول، وهي نظرة الهيمنة التي بقيت الولايات المتحدة تنظر بها على غيرها من دول العالم وإلى يومنا هذا، على اعتبار انها صاحبة القرار في كل القضايا العالمية.

---

[91] المرجع السابق، 220– 221.

[92] الهلباوي، "أفغانستان: محاولة."

[93] ماجنوس، مشكلة أفغانستان، 213– 214.

كانت تبريرات أمريكا في تدخلها بالقضية الأفغانية من منطلقات (حماية الاستقرار) في المنطقة، اللعبة والشعار المهم في تدخلها بأي منطقة في العالم، وبالنسبة لهذا الشعار فهو لا يسهم في خلق مناخ ملائم لتطوير الإمكانيات الاقتصادية والصناعية للدول واستقلالها، فعلى العكس من ذلك، فهو يخلق الجو المناسب لتحقيق المصالح الأمريكية حول العالم، ونهب المصادر الطبيعية للدول الضعيفة.

فأفغانستان تشكل أهمية استراتيجية لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة، فباكستان المعتمدة بشكل تام على الأمريكان، وإيران في ظل نظام الشاه شرطي المنطقة، والدول النفطية في الخليج العربي مزود النفط الأول للأمريكان، وبالتالي وجود الاتحاد السوفيتي في هذه المنطقة يشكل تهديدا على استقرار العلاقات مع هذه الدول، مع العلم أن أفغانستان لا تمثل أهمية اقتصادية بحد ذاتها للولايات المتحدة سوى أنها ممر لنفط بحر قزوين في آسيا الوسطى. وفي ظل الهزائم التي لحقت بالأمريكان في تلك الفترة، متمثلة بالثورة الإيرانية وخسارة الحليف الإيراني، والانقلاب على نظام تراقي، الذي كان يميل للغرب، وثورة نيكاراغوا، وبالتالي خسارة أفغانستان سيزيد من الهزائم، ويضعف المصالح الأمريكية في المنطقة.[94]

والسياسة التي أكدت عليها الوثيقة، التي أرسلت من قبل وزارة الخارجية الأمريكية، للسفارة الأمريكية في كابول 1 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1978، وجاء فيها:

نرى ما ترون أن مصالحنا تأتي بالدرجة الأولى، ونأخذ بعين الاعتبار التقرب من جمهورية أفغانستان الديمقراطية، وسننظر إلى أفغانستان مضمومة أو مدعومة من

[94] وكر الجواسيس 29، تدخلات أميركا، 30- 31.

قبل الاتحاد السوفيتي، كتهديد جدي للسلام والاستقرار في المنطقة. نعتقد أن هذا الخوف حقيقي في باكستان وإيران بشكل خاص.[95]

وبعد الانسحاب السوفيتي من أفغانستان أواخر عام 1988، أهملت الولايات المتحدة القضية الأفغانية، وتركت البلد في ظل الأثار الكارثية التي خلفتها الحرب، وهو ما دفع أمراء الحرب الأفغانية من المجاهدين القدامى، للدخول في صراعات وحروب أهلية دموية على السلطة، قاضين على ما تبقى وراء الغزو السوفيتي، وهي الصراعات التي أفرزت حركة طالبان فيما بعد.[96]

فعندما وصلت مصالح الولايات المتحدة الذروة في أفغانستان، بالقضاء على الاتحاد السوفيتي الهدف الأسمى لسياستها الخارجية، اهملت القضية الأفغانية، وقطعت المساعدات عن باكستان، التي كانت تقدم المعونة للمجاهدين، وتركت البلد في دمار وفقر شديد، وصراعات دموية بين القادة المجاهدين على السلطة، بالإضافة إلى ما بقي لديم من وسائل مادية ومعنوية من الحرب السابقة، للبدء في حرب جديد ضد صديق الغد الولايات المتحدة الأمريكية.

---

[95] المرجع السابق، 81.

[96] أحمد سليم البرصان، "أزمة العلاقات الباكستانية الأمريكية والحرب بالوكالة،" مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 60 (صيف 2012): 61- 83.

الفصل الرابع

4. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية

1990 -1979

يستعرض هذا القسم من الدراسة أبرز التنظيمات الجهادية الأفغانية، التي شكلت مرحلة الثمانينات أثناء الغزو الروسي على أفغانستان، كذلك التنظيمات التي تشكلت نتيجة لهذه الحرب في المرحلة اللاحقة في التسعينيات؛ ويبحث أيضا في الوضع الإقليمي الذي كانت عليه المنطقة الحدودية لأفغانستان، والأحداث الدولية المرتبطة في موضوع الدراسة، التي شكلت اتجاهات السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الأفغانية في هذه المرحلة؛ وبحث كذلك في السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في هذه الفترة، من خلال النظر في إدارة كل من كارتر وريغان، والنتائج المترتبة على هذه السياسة سواء بالنسبة للحرب ومجرياتها، وشكل العلاقة التي كانت تربط كل من الولايات المتحدة والتنظيمات الجهادية الأفغانية.

تواجدت المقاومة الأفغانية قبل دخول السوفييت أفغانستان عام 1979، فقد ظهرت أحزاب مقاومة لوجودهم، والحكومة الأفغانية الموالية له، لكنها لم تكن بالمستوى المطلوب، ومع دخول السوفييت أفغانستان، وتزايد الدعم الخارجي لها، دفع نحو تشكل أحزاب، وحركات، وتنظيمات أفغانية جديدة، مشاركة في ساحة القتال، وأهما: التنظيمات الجهادية الأفغانية المحلية، وتنظيم القاعدة، وحركة طالبان.

4-1. التنظيمات الجهادية الأفغانية المحلية

اشتدّ الجهاد في أفغانستان مباشرة، بعد دخول السوفييت البلاد، وتزايده الدعوة له بشكل كبير، وكان الجهاد في البداية أفغانيا بامتياز، وقاده علماء ومثقفون معروفون بنشاطهم في الحركات الإسلامية بأفغانستان، خاصة في الجامعات منذ عقد السبعينيات، أمثال عبد رب الرسول سياف، وقلب الدين حكمتيار، وبرهان الدين رباني وغيرهم، وقد عملوا على تنظيم صفوفهم بعد الغزو مباشرة وتشكيل قواعد لها، من خلال عملهم ما بين الحدود الأفغانية-الباكستانية، نتيجة لطردهم من قبل حكومة كابول.[97]

بدأ الجهاد الأفغاني بطيئا في بداية سنوات الثمانينيات، فلم يكن المجاهدون قد نظموا أنفسهم بعد في قاعدتهم الباكستانية في بيشاور، نتيجة لتنامي الخلافات السياسية بين الأحزاب والتنظيمات الجهادية، وتحديدا على الرئاسة، في مقابل ذلك جاء الاتحاد السوفيتي مباشرة، بقوات كبيرة ومزودة بأحدث الدبابات والطائرات الحربية، بالإضافة إلى قوات حكومة كابول التابعة لهم. لكن سرعان ما تزايدت قوة المجاهدين الأفغان، بعدما تلاقت مصالح المجاهدين الأفغان في تحرير بلادهم، بمصالح باكستان الدولة الحدودية، التي تتأثر بأمن جيرانها، ومصالح الولايات المتحدة في منع موسكو من الوصول إلى المياه الدفيئة في بحر العرب، فدعمت المجاهدين منذ السنوات الأولى للغزو، بالمال والسلاح عبر باكستان، كذلك الدول العربية التي بادرت في دعم المجاهدين الأفغان، وعلى رأسها السعودية التي كانت تخشى

---

[97] كمال الطويل، القاعدة وأخواتها قصة الجهاديين العرب (بيروت: دار الساقي، 2007): 13.

من المد الشيوعي، بأن يؤثر على أنظمة حكمها الملكية الإسلامية.[98] ومن أهم التنظيمات الأفغانية المحلية في هذه المرحلة:

4-1-1. الجماعة الإسلامية

تأسست الجماعة الإسلامية عام 1972 في كابول، من قبل رئيسها(برهان الدين رباني)، الذي كان يعمل محاضرا في علوم الشريعة بجامعة كابول، وكان رباني متأثرا بحركة الإخوان المسلمين في مصر، ومقدرتهم على اكتساب المؤيدين لحركتهم، وعملت الجماعة على وضع نظام سياسي واقتصادي، واجتماعي، وقضائي على أسس إسلامية، مع مراعاة القيم والتقاليد، والممارسات التي تحكم الأفغان، فكان بذلك براغماتيا معتدلا؛ وكان من أهم مساعديه العسكريين أحمد شاه مسعود، الذي كان طالبا في جامعة كابول، وقد لعب مسعود دورا مهما في مقاومة الاحتلال السوفيتي، خاصة مقاومته في منطقة وادي بانجشير شمال شرقي كابول، وكون إدارة مدنية في هذه المنطقة عندما سقطت حكومة كابول الشيوعية في آذار/ مارس عام 1992.[99]

4-1-2. الحزب الإسلامي

كان قائد الحزب الإسلامي (قلب الدين حكمتيار) الذي أنشأه عام 1979، عندما وقع انشقاق داخل الجماعة الإسلامية سابقة الذكر، وحكمتيار طالب يدرس الهندسة في جامعة كابول،

---

[98] المرجع السابق، 14- 15.

[99] شرف الدين، بن لادن، 274- 275.ا

أثناء فترة تكوينه للحزب، ينتمي للكندوز في شمال أفغانستان من قبائل الباشتون، وتبنّى النظام التنظيمي السوفيتي في تشكيل حركته، الذي يعتمد على نظام الخلايا، ويحكمها نظام هرمي في السلطة، وكان يختار القادة بعناية وبفترة اختبارية معينة، ويؤمن بإحداث تغير جذري على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بهدف تكوين دولة إسلامية. ولم يكن له قادة في البداية، واعتمد على مخيمات اللجوء في ولاية ناجارهار شرق باكستان، ويتم تجنيد أتباعه في كندوز، ويؤمن بالعلم كأداة للتغيير المنشود بالنسبة له.[100]

4-1-3. الاتحاد الإسلامي (سياف)

كون (عبد ربه الرسول سياف) حزب الاتحاد الإسلامي حينما كان يعمل محاضرا لعلوم الشريعة في جامعة كابول، وهو يتحدث اللغة العربية بطلاقة، عمل نائبا لرباني في الجماعة الإسلامية ثم سجن عام 1978، وتم الافراج عنه بموجب عفو بعد الغزو السوفيتي، ثم هرب لباكستان وكون الاتحاد الإسلامي، وكان لحزبه ارتباط بعدد من الدول العربية خاصة الخليج العربي، بسبب تقارب أيديولوجية حزبه مع المدرسة السلفية السنية، ولم يكن له اتباع خارج العاصمة كابول، ويعاد بشدة الأقلية الشيعية في أفغانستان.[101]

وكان ضمن الأحزاب المحلية الأفغانية منظمات شيعية مثل حزب منظمة النصرة أسس عام 1980، وحزب حرس الجهاد أسس عام 1984، كما وجدت بعض الجماعات السنية المستقلة مثل جماعة (الدعوة إلى القرآن والسنة) للشيخ جميل الرحمن، كذلك كانت حاضرة

---

[100] المرجع السابق، 275- 276.

[101] المرجع السابق.

جماعات وقادة علمانيين. وقد اعتبرت التنظيمات الجهادية الأفغانية المحلية الأساس في تشكيل وتوجيه المقاومة ضد السوفيتي، منذ أول يوم دخل به السوفييت البلاد، إلى اليوم الأخير لهم في أفغانستان.[102]

4-2. تنظيم القاعدة

كان أسامة بن لادن من أوائل من دخل أفغانستان من المجاهدين العرب، منذ الأسابيع الأولى للغزو السوفيتي، وتتلمذ على يد عبدالله عزام، من خلال المحاضرات التي كان يلقيها في السعودية دعما للقضية الأفغانية، والدعوة للجهاد فيها، واقتصر عمله في البداية، على جمع التبرعات والمساعدات، والانطلاق بها إلى الحدود الباكستانية- الأفغانية، لمساندة المجاهدين، واللاجئين الأفغان، لكن منذ عام 1982 قرر ابن لادن الدخول إلى أفغانستان، والاطلاع على حال المعسكرات الأفغانية الجهادية، ووضع المجاهدين، وجبهات القتال.[103]

بعد عام 1986 تزايدت الانتصارات التي حققها المجاهدون الأفغان والأفغان العرب، و(معركة جاجي) كانت الفارق في إظهار ملامح انتصار المجاهدين، وما أكد هزيمة السوفييت الاتفاق الموقع في جنيف أيلول/ سبتمبر عام 1988، الذي يقضي بالانسحاب السوفيتي من أفغانستان في أهم قراراته، وسرعان ما تم تنفيذه في شباط/ فبراير عام 1989، فرحل الروس السوفيتي تاركين وراءهم حكومة شيوعية قوية، كانت لا تزال تُحكم قبضتها على العاصمة كابول، وفي ظل هذه الأجواء أسس ابن لادن تنظيمه الخاص، والخارج من

---

[102] الهلباوي، "أفغانستان: محاولة."

[103] شرف الدين، بن لادن، 47.

رحم مكتب الخدمات، وما كان يطلق عليه (بيت الأنصار)، الذي تحول إلى (القاعدة)، ولم يكن ذائع الصيت في ذلك الوقت بعد.[104] وهو الاتفاق الذي رفضته التنظيمات الأفغانية، بسبب تجاهله لها كأحد أطراف الحرب الرئيسية، وهو ما شكل بداية لا يمكن تجاهلها، في طريق الكره والتحول ضد الولايات المتحدة في مرحلة التسعينيات، بالإضافة إلى حرب الخليج الثانية .

أسست القاعدة في نهاية الثمانينيات عام 1988 بعدما لاحظ ابن لادن كثرة أعداد المجاهدين العرب الملتحقين بالجهاد الأفغاني، ونتيجة لكثرة الإصابات والشهداء في صفوفهم، ولم يكن يتم تسجيل من يصاب أو يقتل من المجاهدين، وهو ما سبب إحراجا لابن لادن، عندما يسأل أهالي المصابين والشهداء عن أبنائهم، ولم يكن لديهم المعلومات الدقيقة عن أحوال هؤلاء المجاهدين، وهو ما دفع ابن لادن إلى قرار ترتيب سجلات للمجاهدين العرب، وتوسعت فكرة السجلات لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان بترتيب ابن لادن وجماعته، ويشمل ترتيب السجلات اسم الشخص، وتاريخ وصوله والتحاقه في بيت الأنصار، الذي كان موازيا لمكتب الخدمات، وكذلك تاريخ التحاق الشخص بمعسكرات التدريب، لذلك احتاج اطلاق اسم على هذه السجلات، فأطلق عليها (سجل القاعدة)، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار، ومعسكرات التدريب والجبهات.[105]

---

[104] الطويل، القاعدة وأخواتها، 30.

[105] المرجع السابق، 31.

كان الأمير الأول للقاعدة في أول ظهورها أواخر عام 1988 أبو أيوب العراقي، الذي اغتيل في منطقة القبائل بعد توليه الإمارة بفترة قصير، وهو ما بينه الأفغاني الليبي نعمان بن عثمان (أبو تمامه)، وأكد على ذلك السوداني أبو الفضل أيضا. وأهم الأشخاص الذين قاموا على تأسيس القاعدة: أبو أيوب العراقي، وأسامة ابن لادن، وأبو عبيدة البنشيري، والدكتور فضل المصري، والدكتور عبد المعز أيمن الظواهري، وأبو فرج اليمني، وأبو جعفر المصري، وأبو مصعب السوري، وعز الدين، وكان من هؤلاء خمسة مصريين يحيطون بابن لادن، وهو ما أزعج المجاهدين من الخليج، فلم يكن يسمح لهم بالوصول لابن لادن إلا عن طريقهم، خاصة أيمن الظواهري والدكتور فضل الأمير، الذين أعادوا إحياء جماعة الجهاد المصرية بقيادة فضل الأمير، وبعد تنحيه أخذ مكانه الظواهري عام 1993، ثم توحد ابن لادن والظواهري بعد ذلك، وضموا مجموعة الجهاد في تنظيم القاعدة.[106]

ففي عام 1992 كان قد وصل إلى أفغنستان خمسة وثلاثون مسلما من خمس وأربعين دولة إسلامية، للمشاركة في الجهاد الأفغاني، من مختلف دول العالم العربي والإسلامي، وهي الحالة الوحيدة في تلك الفترة، التي التقى فيها المسلم العربي مع المسلم من غير العربي، أمثال المجاهدين الأفغان المحليين، ومن عاش في الغرب من المسلمين، وشمال شرق إفريقيا وغيرهم، وهو ما يعني تجمع كبير لقوات جهادية إسلامية متشددة في بعض منها.[107]

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات شعرت التنظيمات الجهادية التي قمعت في الكثير من الدول العربية، بوجود فرصة لهم في أفغانستان، لإعداد مقاتلين وتدريبهم وإعادتهم إلى

---

[106] المرجع السابق، 35.

[107] عبد الطالب، الغزو الأجنبي، 163.

بلدانهم من أجل تحقيق مشاريعهم الجهادية. فالمجاهدون المصريون مثلا بدأ وصولهم منذ أوائل الثمانينيات ومنهم أيمن الظواهري، الذي هرب للسعودية خوفا من ملاحقة الحكومة المصرية له، ولأن السعودية كانت تفتح أبوابها أمام من يرغب في الالتحاق بالجهاد الأفغاني، فكانت هدف كل مجاهد يريد الوصول لأفغانستان.[108]

والمجاهدون السوريون الذين شهدوا مجازر حماة وهي أبشع ما واجهه هؤلاء لم يكن أمامهم من طريق سوى أفغانستان. والمجاهدون الليبون لم يكونوا بأحسن حظا فلم يستطيعوا قلب نظام معمر القذافي، حيث سجن وقتل وطرد هؤلاء المجاهدين، فكانت أفغانستان السبيل الوحيد لهم، كغيرهم من المجاهدين في الدول العربية الأخرى.[109]

وحول فكرة تصدير الجهاد الأفغاني لدول العالم الإسلامي في تنظيم القاعدة، يؤكد الإسلامي عمر عبد الحكيم (أبو مصعب)، الذي جاء لأفغانستان عام 1988 بعد تجربته المريرة في معارك حماة من قبل الحكومة السورية ضد الإخوان المسلمين، فأوضح أبو مصعب، أن ابن لادن أسس القاعدة لأهداف الجهاد في أفغانستان وخارجها، خاصة في منطقة اليمن الجنوبية ضد الحكومة الشيوعية، التي انتهت عام 1994، بتوحيد اليمن الشمالي لقطري البلاد. كذلك جاءت رواية جمال أحمد الفضل (أبي بكر السوداني) الذي انشق عن القاعدة في منتصف التسعينيات بعد اختلاسه أموالا منها، ورغم التشكيك في روايته، لكنه أكد أن ابن لادن، كان

---

[108] الطويل، القاعدة وأخواتها، 38.

[109] المرجع السابق، 42.

يريد من القاعدة، قلب الأنظمة العربية، وإقامة (الخلافة) الإسلامية، كبديل عن هذه الأنظمة.[110]

مع وجود تشكيك لهذه الرواية من قبل البعض، لكن ظهور القاعدة في الكثير من دول العالم، والانشقاقات التي حصلت فيها، مع الأحداث على الأرض من تغيير في بعض الأنظمة لا ينفي هذه الرواية، خاصة أن تنظيم القاعدة بعد حرب عام 2001، تشتت في دول العالم المختلفة ومنها العربية، وأصبح لديه الكثير من التنظيمات.

في عام 1990 نتيجة لاجتياح العراق الكويت فيما عرف بحرب الخليج الثانية، عرض ابن لادن على ملك السعودية بأنه على استعداد هو ومن شارك في حرب أفغانستان من المجاهدين العرب، مواجهة العراق وحماية المملكة، لكن السعودية تجاهلت ذلك، وخافت من ظهور قوى شعبية مناوئة على الأرض، وطلبت المساعدة من أمريكا، وهو ما أزعج ابن لادن، لدخول قوات أجنبية على أرض الحرمين، وبقائها حتى بعد انتهاء الحرب، الذي كان البداية في دخوله بمواجهة مع السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، من خلال القيام بمجموعة من العمليات ضدها، فترة التسعينيات وبداية الألفية الثانية، وأعلن وجوب الدفاع عن أرض الإسلام ضد المعتدي الأجنبي.[111]

بعد انهيار حكم نجيب الله وتهاوي كابل في يد المجاهدين عام 1992، ذهب المجاهدون الأفغان نحو تدمير ما سلم من بلادهم من المحتل السوفيتي، لذلك وجد الأفغان العرب بأنه لا مكان لهم في البلاد، نتيجة لتزايد الصراعات والحروب الأهلية المستمرة داخل أفغانستان،

---

[110] المرجع السابق، 31- 33.

[111] حقي، أفغانستان، 268.

فعرضت السودان عليهم استضافتهم على أرضها، خاصة في ظل حكم عمر البشير وحسن الترابي المنفتحين على المعارضة الإسلامية، فكانت السودان ذات الموقع الإستراتيجي لتنظيم القاعدة، بسبب قربها من الدول التي يستهدفها أصحاب التنظيم سواءالمصريون أو الجزائريون أو الليبيون، وحتى الخليج من قبل ابن لادن. ومع عام 1993 حلت السودان محل الحدود الباكستانية– الأفغانية، للأفغان العرب خاصة من اتجه نحو تنظيم القاعدة.[112] لكن ما قام به تنظيم القاعدة داخل السودان، جعلته ضيفا ثقيلا عليهم، ونتيجة للضغوط الدولية على السودان بضرورة إخراجهم من أرضها، الأمر الذي دفع بابن لادن وأيمن الظواهري لطرق باب المجاهدين الأفغان من جديد عام 1996، والتي فتحت أبواب أفغانستان لهم نتيجة للصداقات والتحالفات التي بنوها أيام الجهاد ضد السوفيتي.[113] فكانت حرب الخليج الثانية السبب الأساسي لتغير سياسة ابن لادن في التعامل مع الولايات المتحدة، مما دفعه لتشكيل تنظيم قوي شكل تهديدا للقوة العظمى الأمريكية، بعد مرحلة من الوفاق في الثمانينيات.

4-3. حركة طالبان

كانت أفغانستان بعد انتهاء الحكومة الشيوعية تعاني من صراعات كبيرة على السلطة، ولم يكن لحركة طالبان وجود سياسي يذكر إلا بعد عام 1996، لكن سرعان ما سطع نجمها بعد أن انطلقت من معقلها في قندهار جنوب أفغانستان محققة انتصارات كبيرة على معظم

---

[112] الطويل، القاعدة وأخواتها، 134.

[113] المرجع السابق، 274.

الجماعات الأفغانية، ولم تمر سوى سنوات قليلة حتى كانت المسيطر على معظم أفغانستان باستثناء الجزء الشمالي من البلاد، كان أسامة ابن لادن من أوائل من عاد إلى أفغانستان بعدما طردتهم السودان، وقام بعقد تحالفات مع حركة طالبان، وكان عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري) عمل إلى جانب ابن لادن مع طالبان، المدرب في معسكرات التجنيد للقاعدة في مطلع التسعينيات.[114] ومع أن طالبان قد سيطرت على 90% من دولة أفغانستان، بقيادة الملا عمر القيادي في (حركة الانقلاب الإسلامي)، لكنها لم تستطع نزع الاعتراف الدولي بها، وبقيت الأمم المتحدة تعترف بحكومة الرئيس رباني حكومة شرعية لأفغانستان.[115]

تعود جذور (طالبان) إلى مطلع الثمانينيات على يد السلطان أمير، الذي درب طلاب المدارس الدينية، وهو ضابط في المخابرات الباكستانية، تلقى فنون القتال في براغ، وكان أبرز من وضع نواة حركة طالبان فيما بعد، وقد استفاد بشكل غير مباشر من المساعدات التي قدمتها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، للتنظيمات الجهادية الأفغانية، بهدف التسلح والتدريب لمواجهة السوفييت، والمساعدات العربية التي قدمت لهم للهدف نفسه، وقد وصل عدد الطلاب المقاتلين عام 1992، لأكثر من ألف طالب، لإسقاط نظام كابول الشيوعي، ثم عاد معظم الطلاب إلى مدارسهم بعد ذلك.[116]

لكن البدايات الحقيقية لحركة طالبان تعود لعام 1994، وهي الفترة التي كانت تعاني فيها باكستان من صعوبات مالية واقتصادية كبيرة، نتيجة لتوقف المساعدات الأمريكية لباكستان،

---

[114] المرجع السابق، 274.

[115] المرجع السابق، 280.

[116] شرف الدين، بن لادن طالبان، 265.

وفي ظل اعتماد أفغانستان على المساعدات الباكستانية، لذلك عملت إسلام آباد لإيجاد مصادر مالية بديلة، فقامت بإعادة فتح طريق الحرير (كاراتشى) الذي يمر عبر أفغانستان إلى آسيا الوسطى، وكان الفاصل الحدودي يسيطر عليه أمراء الحرب، وفي تشرين الأول/ أكتوبر من عام 1994 هاجم قطاع الطرق في أفغانستان قافلة باكستانية محملة بالأدوية والغذاء، موجهة إلى تركمستان عبر قندهار جنوب أفغانستان، لكن حركة طالبان بقيادة الملا عمر عملت على تحرير القافلة، مما أدى إلى تحرير قندهار بأكملها، ومنها توجهت الحركة نحو تحرير معظم أفغانستان من أمراء الحرب، فكانت هذه الحادثة عاملا مساعدا لمزيد من الدعم الباكستاني للحركة.[117]

تنتمي حركة طالبان إلى قبائل الباشتون التي تشكل الأغلبية السكانية الأفغانية، ولها امتداد عرقي في باكستان، وتاريخيا سيطرت على الحياة السياسية الأفغانية. وليس لطالبان برنامج سياسي محدد، بل تكتفي بالدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، دونما اجتهاد، أو خبرة سياسية وإدارية، وتعتمد بشكل أساسي على العصابات، وأهم الدول التي دعمت طالبان، باكستان والسعودية والولايات المتحدة، أما روسيا وإيران فتعارض هذه الحركة، ولهما علاقات بقوى محلية أفغانية أخرى، أما الهند فيوصف سلوكها بالمراقب اليقظ، لأنه لا يوجد أمر متعلق بباكستان، إلا ويعتبر مهما للهند.[118]

كان نجاح حركة طالبان منذ قيامها نتيجة لاهتمام الأفغان بها، ويعود ذلك لفقدانهم الأمل والثقة في المجاهدين الأفغان، الذين قاوموا ضد الاحتلال السوفيتي، بالإضافة إلى الدعم

---

[117] المرجع السابق، 266.

[118] المرجع السابق، 273- 274.

المهم لحركة طالبان الإقليمي والدولي، المتمثل في باكستان والولايات المتحدة والسعودية، سياسيا واقتصاديا واستخباراتيا، لا يمكن إنكار أن الحركة كانت إفرازا طبيعيا للحالة المأساوية، التي تركت عليها أفغانستان بعد الغزو السوفيتي، وانهيار حكومة أفغانستان التابعة له، نتيجة للصراعات والحروب الأهلية بين المجاهدين الأفغان على السلطة، وهو ما وضع البلد في حالة من الحروب المستمرة.[119]

فالحركة جاءت كنتاج تعاون استخباراتي أمريكي وسعودي وباكستاني، في منتصف تسعينيات القرن الماضي، من خلال تقديم هذه الأجهزة المعونة والدعم والمساعدة الكاملة، لتتمكن من السيطرة على أرض بشكل سريع، ويضع علامات تعجب حول السرعة والقوة التي وصلت لها الحركة في سنوات قليلة فقط.[120]

وفي ظل انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان يجب أن يكون عامل وحدة آسيوية، ويعيد إحياء اتصال الثقافات والأعراق الأثنية المتشابهة، لكن ذلك كان عامل تفرقة وتعزيز الصراعات الإقليمية، كذلك دفع نحو تغير الوضع في آسيا الوسطى، التي أعادت أفغانستان إلى حلبة الصراع من جديد بين اللاعبين الدوليين، ذلك أن أفغانستان الممر الطبيعي الوحيد للوصول إلى احتياطيات النفط والغاز من آسيا الوسطى للأسواق العالمية. ونتيجة لهذه المصالح الإقليمية والدولية إزاء أفغانستان، كانت علاقات طالبان بالدول ودعمها، يختلف من دولة إلى أخرى، فمصالح إسلام آباد تختلف عن روسيا وطهران ودول الخليج، فمثلا دول الخليج العربي البعيدة جغرافيا عن أفغانستان كان لديها مصالح اقتصادية وأيديولوجية لمساندة

---

[119] المرجع السابق، 261.

[120] تشومسكي، في تفسير، 77.

طالبان، لكن إيران التي ترتبط بحدود جغرافية مع أفغانستان كان يدفعها أن تقف على الحياد بين أطراف الصراع الأفغاني الداخلي، لأن علاقتها بأفغانستان يجب أن تبقى في إطار المصالح الحيوية لها في المنطقة.[121]

دعمت الولايات المتحدة حركة طالبان، من أجل احتواء أبرز مصادر الإرهاب الدولي، التي أصبحت من أدبيات السياسة الخارجية الأمريكية، في عقد ما بعد الحرب الباردة، والعمل على تقليص مصادر المخدرات القادمة من أفغانستان، والتخلص من ظاهرة (الأفغان العرب) الذين أصبحوا يشكلون تهديدا وخطرا على الولايات المتحدة وحلفائها من العرب، مع أنها كانت تشكل مصدر الدعم والمساعدة لهذه الجماعات في عقد الثمانينيات، وكما أرادت من دعم طالبان احتواء إيران ومراقبتها في ظل برنامجها النووي، الذي تعمل على تطويره، فالولايات المتحدة مستعدة لتقبل حكم أصولي كطالبان في أفغانستان، لكنها لا تسمح بحكم يهدد مصالحها الحيوية ونزعة الهيمنة العالمية لديها، خاصة أن طالبان يمكن أن تسمح بإنفاذ مشروع خط الأنابيب الأمريكي، للوصول لنفط وغاز آسيا الوسطى.[122]

مما سبق، يتبين مدى أهمية عامل المصلحة الذي يحكم علاقات الدول بعضها ببعض، وهو العامل الذي يشكل السياسة الخارجية الأمريكية، في وضعها لإستراتيجياتها العالمية إزاء غيرها من الدول، فسياسة المصلحة في تحقيق الأهداف الأمريكية العالمية، هو الذي دفعها للتدخل في القضية الأفغانية عام 1979، بجانب التنظيمات الجهادية الأفغانية، سواء أكان ذلك في إدارة كارتر، أو ريغان، وفي عقد التسعينيات، عندما ذهبت المصلحة الأمريكية نحو

---

[121] شرف الدين، بن لادن طالبان ، 264.

[122] المرجع السابق، 285- 287.

دعم حركة طالبان لأهداف اقتصادية. فالقضاء على الاتحاد السوفيتي كان أساس أهداف سياستها الخارجية، وعندما تحقق هدفها بانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، بعد انتهاء حرب أفغانستان، انهت بذلك دعمها للمجاهدين الأفغان، فتركت البلد في خضم حروب أهلية وصراعات على السلطة، مع انهيار في مختلف جوانب الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في أفغانستان.

4-4. الوضع الإقليمي العام في الثمانينات

تميزت هذه الفترة من الدراسة بمجموعة أحداث دولية، التي شكلت توجهات سياسة الولايات المتحدة، إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، وهي الثورة الإيرانية عام 1979، وغزو أفغانستان في نفس العام، وحرب الخليج الأولى عام 1981.

4-4-1. الثورة الإيرانية عام 1979

كانت أحداث عام 1979 نقطة مهمة في تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية، فالثورة الإيرانية التي جاءت بنظام الخميني المعادي وعزل نظام الشاه الموالي لها، ثم أزمة احتلال السفارة الأمريكية في طهران، والتمكن من أخذ دبلوماسيين رهائن في 4 تشرين الثاني/ أكتوبر من نفس العام، وفي ظل نظام ثنائي القطبية العالمي، كان ما يشكل خسارة للولايات المتحدة عامل ربح للاتحاد السوفيتي. فقد شكلت الثورة خسارة أهم حليف للولايات المتحدة وحلفائها

من دول الخليج العربي، الذي يعني سهولة دخول السوفييت في أهم منطقة منتجة للبترول في العالم، بعد أن أصبح جزء منها معارضا للأمريكان.[123]

ففي تقرير مرسل من شاه إيران، للسفارة الأمريكية في طهران لوزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن في 2 أيلول/ سبتمبر 1978، جاء فيه "أنه في الوقت الذي يرى القليل لكسبه من تدليل النظام الأفغاني الجديد، سنستمر قدما مع رغبات الحكومة الأمريكية في هذه المسالة،" وتابع "أنه يجب إبلاغه مسبقا، إذا كانت الحكومة الأمريكية سترغب بتغير سياستها."[124] فالحكومات الإيرانية والأمريكية، كانت على تعاون تام في كل القضايا الإقليمية، وتحديدا أفغانستان، التي كان تشكل أهمية في السياسة الخارجية الأمريكية في هذه الفترة.

أصابت الثورة الإيرانية إدارة كارتر بالصدمة، لخسارتها حليفا إستراتيجيا في منطقة الشرق الأوسط النفطية، واعتبرت أقوى نكسة واجهتها إدارته، خاصة أنه ومن سبقه من رؤوساء الولايات المتحدة قام ببناء علاقات قوية مع نظام الشاه، ففي عام 1972 قدّم الرئيس نيكسون عروضه لشراء ما يريده الشاه من الأسلحة التقليدية وغيرها، وعينه شُرطي منطقة الخليج العربي(الفارسي). وقد وصف مستشار الأمن القومي لكارتر برجنينسكي سقوط الشاه بقوله: "كان سقوط الشاه كارثيا على الصعيد الإستراتيجي للولايات المتحدة؛ وعلى الصعيد السياسي، لكارتر نفسه."[125]

فكانت إيران بالنسبة لأمريكا أهم من إسرائيل التي كان الشاه نفسه يعمل على توطيد العلاقة بها، من أجل عمل حلف لمقاومة الراديكالية العربية في الشرق الأوسط، وهو ما شكل

---

[123] المرجع السابق، 170.

[124] وكر الجواسيس 29، تدخلات أميركا، 77.

[125] غسان غصن، أمريكا الإسلام السياسي صراع الحضارات أم صراع المصالح؟ (بيروت: دار النهار للنشر، 1998)، 26.

غضبا داخليا ضد الشاه، خاصة آيه الله الخوميني، الذي كان يعارض بشدة العلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل.[126] فالموقع الإستراتيجي لإيران الذي أعطاها أهمية للولايات المتحدة لتكون حليفها الإستراتيجي قبل ثورة الخوميني، فهي تشكل ممرا مهما للبترول من بحر قزوين، وبعد خساراتها إيران، كانت أفغانستان البديل بالنسبة، لمد خط أنبيب بترول على أراضيها.

وشكلت أزمة الرهائن التي استمرت لمدة 444 يوما، أكثر من مجرد كونها اختبارا سياسيا بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، فقد هاجم حوالي ثلاثة آلاف طالب إيراني السفارة الأمريكية في طهران وأخذوا 90 رهينة، وقاموا بالافراج عن النساء وحراس المارين السود، وبقي لديهم 52 دبلواسيا.[127]

كان مسئولو إدارة كارتر مهتمين بشكل خاص بالمضاعفات الأمنية للثورة الإيرانية، واحتمالية امتدادها إلى دول الخليج المجاورة، فالجانب الأمني استحوذ على حسابات السياسة الخارجية الأمريكية منه على الجانب الثقافي، وقد ألمح كارتر في حديثه لهاملتون جوردان، رئيس هيئة الموظفين في البيت الأبيض، بأن على المسئولين في الولايات المتحدة وقف "التحدث عن الفروقات الثقافية وحماقة الخميني،" والاستعاضة عن ذلك بشرح العواقب الخطيرة لتصرفات الرئاسة الإيرانية.[128]

ففي كانون الأول/ ديسمبر 1978 انهارت حكومة الشاه، وصعد الخوميني إلى سدة الحكم بشكل تام في شباط/ فبراير من العام الذي يله، من خلال المظاهرات الكبيرة في (يوم

---

[126] وستاد، الحرب البادرة، 532.

[127] الممداني، المسلم الصالح، 177.

[128] المرجع السابق، 85.

عاشوراء)،[129] المهم بالنسبة للشيعة، وهو ما أعطى شعورا لدى الولايات المتحدة، بإمكانية مقاومة القوى العظمى، والحداثة الغربية التي تنادي بها، من قبل دول العالم الثالث.[130]

أوضحت الثورة الإيرانية للسياسة الخارجية الأمريكية نوعين من الإسلام السياسي، الأول النموذج الثوري، والثاني النموذج النخبوي، ويمثل النموذج الثوري إيران، التي كانت تضع ضمن تصوراتها، تنظيم حركات اجتماعية وإسلامية، والمشاركة في الرأي العام لإقامة دولة إسلامية مستقلة. أما النموذج النخبوي، فهي الأنظمة الإسلامية الموالية للولايات المتحدة، مثل السعودية وباكستان والإمارات ومصر، وهذا النموذج غير مقتنع بالمشاركة الشيعية السياسية؛ وذهبت الولايات المتحدة نحو سياسة (احتواء) إيران لكي تمنعها من المشاركة، وفي نفس الوقت عدم إثارتها ضد سياستها في العالم.[131]

ويتحدث (جيمس بل) أستاذ أنظمة الحكم في جامعة تكساس حول الثورة الإيرانية، في أن "وعي حكام الدول المجاورة لها، أبعد من وعي الغرب، وكذلك فهمهم لها أعمق من فهم المحللين الغربيين، فبعض دول المنطقة تعمل على ابعاد هذه الثورة، رغم أن هذه الثورة وجدت لتبقى،" مؤكدا أن عامل بقائها ليس لأنها ثورة إيجابية، لكن ممارسات الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة وحول العالم، هي التي تهيء الظروف لمثل هذه الثورات.[132]

4-4-2. غزو أفغانستان عام 1979

---

[129] (عاشوراء: هو يوم يستذكر فيه الشيعة استشهاد الإمام الحسين في القرن السابع الميلادي، وتوجد لديهم الطقوس الدينية الخاصة لهذا اليوم، من الضرب واللطم وغيرها)، وستاد، الحرب الباردة، 539.

[130] وستاد، الحرب الباردة، 510.

[131] الممداني، المسلم الصالح، 178.

[132] سعيد الجزائري، ملف الثمانينات عن حرب المخابرات (دمشق: دار دمشق للنشر والتوزيع، 1989)، 156- 157.

أرادت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية التخلص من التهديد الإيراني الذي جاءت به الثورة الإيرانية، والتي كان من أهم مبادئها تصدير ثورتها لدول الخليج والعالم الإسلامي أجمع، فكانت المملكة السعودية تخشى من راديكالية الخوميني أن تصل لأبواب مملكتها، وكانت الولايات المتحدة تعمل على إيقاع السوفييت في فخ أفغانستان، كما أوقعها من قبل في فيتنام، نتيجة للتقارب السوفيتي مع إيران في تلك الفترة، ولتحقيق هذه الأهداف، ذهبت كل منهما لتشجيع (الجهاد العام) للطائفة الإسلامية السنية، بحيث أصبحت قضية (الجهاد الأفغاني) في عقد الثمانينيات القضية الأسمى، التي دعمتها ل قوة عالمية عظمى الولايات المتحدة الأمريكية، ودولة إسلامية قوية اقتصاديا كالمملكة السعودية، ودولة إقليمية هي باكستان.[133]

فجاء في تقرير مرسل من قبل السفارة الأمريكية في كابول إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن، حول المساعدات الإنسانية التي كانت تقدمها الولايات المتحدة لأفغانسان قبل غزو السوفيتي، "فإننا نأمل بقوة أن يستمر دعم أهدافنا في أفغانستان عبر برنامج مساعدة، يعتبره النظام الجديد ذي معنى، ومساعدا وعلينا أيضا أن نحدد بدقة في هذه اللعبة، ما إذا كان ذلك ممكنا." وفي رد من قبل وزارة الخارجية الأمريكية على هذا التقرير في 2 حزيران/ يونيو 1979، أكد التقرير:[134]

أن من مصلحة الحكومة الأمريكية ومصالح الاستقرار الإقليمي في المنطقة، استمرار المساعدات الأمريكية لأفغانستان، خاصة مشروع خط الأنابيب، وحتى لو لم يعط النظام

---

[133] كيبل، جهاد– انتشار، 171.

[134] وكر الجواسيس 29، تدخلات أميركا، 138.

الأفغاني الحالي أهمية للمساعدة الأمريكية، فهناك أشخاص خارج الحكومة يقدرون المساعدة الأمريكية... والحفاظ على هذه المساعدات، سيعطي الحكومة الأمريكية القدرة على الرد بشكل أسرع، على أي تطورات إيجابية على الساحة الأفغانية السياسية الداخلية.

من ذلك يستشف مدى الدور الذي لعبته أمريكا قبل دخول السوفيتت أفغانستان، ورغم عدم تقارب الحكومة الأفغانية والولايات المتحدة، لكنها عملت لتبقى موجودة في المنطقة، خاصة أنها كانت تعرف، أن السوفييت سيقدم على خطوة الحرب عاجلا أم أجلا.

استجاب السوفييت لنداء الإغاثة الذي قدمته الحكومة الأفغانية لهم بناءً على اتفاقية التعاون والصداقة الموقعة بينهما، وفي ظل المصالح القوية لدى الروس بالوصول للمياه الدافئة، في الشرق الأوسط عبر أفغانستان، وهو الشيء الذي لن ترضى به الولايات المتحدة، ما يعني قرب روسا من منطقة الخليج العربي، منطقة المصالح الحيويه، ومصدر البترول للغرب.[135]

غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان مَثَل الأساس الاستراتيجي في السياسة الخارجية الأمريكية على اعتبار أنه امتداد للحرب الباردة، وكان المسئولون الأمريكيون يرون في الصدام مع السوفييت، في المرتبة الأعلى لأولوياتها، من الخطر الإسلامي الجديد المتمثل بايران، ولا يمكن المقارنة بينها، خاصة أن الحرب الباردة مستحوذة على تفكير الولايات المتحدة منذ عقد الأربعينيات، وهو ما دفع بالرئيس كارتر للبدء مباشرة بتعبئة مقاومة إسلامية ضد السوفييت، ويؤكد برجنينسكي قوله:[136]

---

[135] المرجع السابق، 173.

[136] غصن، أمريكا والإسلام، 87.

إنه يمكن احتواء الشيوعية السوفيتية حاليا، لتجنب الصدام مع ايران الإسلامية الموالية للسوفييت، وخاصة منع حدوث مجابهة عسكرية أمريكية- إيرانية، وبدا لي أن الأمر الأكثر أهمية الآن، هو إقامة ائتلاف إسلامي مضاد للسوفتيت.

تشكل الانبعاث للتعامل مع الدين لدى مستشارى كارتر، من خلال ما استخدمه السوفييت في الخمسينيات والستينيات، فيما عرف (بانبعاث القوميات العربية) العلمانية، التي مثلها جمال عبد الناصر الرئيس المصري آنذاك، ومن هذا المنطلق، خرجت إدارة كارتر، بإمكانية استخدام الإسلام السياسي الراديكالي، كسلاح لتحقيق النصر في الحرب الباردة، خاصة أن السياسة المباشرة للولايات المتحدة في ذلك الوقت، كانت محاولة احتواء السوفييت قدر الإمكان.[137] وبالتالي، كان لا بد من وجود وكيل حربي لها في أفغانستان، دون الحاجة لمشاركتها المباشرة في الحرب، وهذا يعني الذهاب لحرب نووية، وهو ما عملت لتجنبه طوال فترة الحرب الباردة.

عملت إدارة كارتر منذ البداية على مواجهة المد الشيوعي في دول العالم الثالث، فكانت سياسته تتصف بالانفصام تجاه هذه الدول: فبينما تقوم بتقديم المساعدات والقروض لهذه الدول، كانت تعي بأهمية نشر قيم الحداثة الأمريكية، حتى تكون قادرة على ردع الانتشار الكبير للشيوعية في أوساط هذه الدول.[138]

خاصة أن نخب دول العالم الثالث كانوا يبحثون عن شكل جديد وواضح من أجل دولهم ومجتمعاتهم، فكانت هذه مهمة علماء الاجتماع الغربيين، خاصة أن نموذج الحداثة الغربي،

---

[137] المرجع السابق، 87- 88.

[138] وستاد، الحرب الباردة، 535.

قد أثبت نجاحه على النموذج الشيوعي، وهو ما أكد عليه علماء الحداثة الأمريكية أمثال عالم الاجتماع بجامعة هارفارد تالكوت بارسونز (Talcatt Parsons)، فأكد أن الانتقال نحو المجتمع الصناعي، لا يتحقق إلا بالتغيير في القيم السياسية والثقافية في المجتمع.[139] لكن نموذج الحداثة الغربي أثبت فشله كذلك، في الكثير من دول العالم، والحالة العراقية والأفغانية خير دليل على ذلك، ويعود السبب في ذلك، للسياسة الأمريكية المتبعة في هذه الدول، لتطبيق نموذجها باستخدام القوة في دول العالم الثالث.

إدارة الرئيس ريغان، كانت ترى الانبعاث الإسلامي الراديكالي في شخصية إيران، لذلك، لم تفضل التعامل مع المسلمين هناك، وبقيت سياسة ريغان، ضمن سياسة كارتر في دعم المجاهدين الأفغان، ووضع العداء فقط للإسلام الراديكالي الإيراني وأتباعه في لبنان، أما العدو الحقيقي بالنسبة لريغان فكان الاتحاد السوفيتي والشيوعية، وهو ما ظهر من خلال توجه الكونغرس مع ريغان، للدعم المباشر للتنظيمات الجهادية، بمختلف الوسائل، من خلال وكيلها الحربي الثاني باكستان.[140] وكان ذلك ضمن سياسة الانحسار التي اتصفت به إدارة ريغان، الذي لم يكن لديه أي أهمية للمستويات التفاوضية والسلمية، وكان همه إغراق السوفييت بالدماء، وسد دين فيتنام.[141]

وعلى مستوى آخر كانت التنظيمات الجهادية الأفغانية قد قامت قبل أن يظهر لها قيادة مركزية موحدة، أو هيكل تنظيمي معين، ولم تخضع أبدا لأي قيادة موحدة، وبقيت المقاومة الارتجالية هي السائدة أثناء الحرب، ومع ذلك كان الشعور الوطني بضرورة الدفاع عن

---

[139] المرجع السابق، 65.

[140] غصن، أمريكا والإسلام، 89.

[141] المرجع السابق، 179- 180.

النفس، والولاء للإسلام ما وحد الأفغان ضد السوفييت، فكلاهما لا يحتاج لجنرالات أو سياسيين، فكانت أهداف المجاهدين في المقاومة، هي إسقاط سلطة الحكومة الأفغانية في كابول، وقاعدة القتال تقوم وفق حرب العصابات، وإخراج السوفييت من أفغانستان بكل الوسائل الممكنة.[142]

حرب أفغانستان عام 1979 اعتبرت من أهم القضايا الدولية التي كانت تشغل الرأي العام العالمي في هذه الفترة من الدراسة، فالحشد الدولي والإقليمي على أشده للحرب، خاصة على مستوى الحكومات، فالدول الإسلامية كانت تنظر إليه بالجهاد الحقيقي الذي لم يكون موجودا إلا في تعاليم الإسلام، وفي ظل التشديد الكبير الذي كانت تواجهه الحركات الإسلامية، من قبل الحكومات العلمانية في معظم الدول الإسلامية، كما أن الحشد الكبير والممنهج من قبل الولايات المتحدة والسعودية، أدى لتدويل قضية أفغانستان، ووضعها في قائمة المواضيع المطروحة في الأروقة العالمية.

4-4-3. حرب الخليج الأولى

بعد نجاح الثورة الإيرانية، ووصول الخميني للسلطة في إيران، ذهبت الولايات المتحدة الأمريكية، أوائل الثمانينيات، للمراهنة على نظام صدام حسين في العراق، خاصة بعد خسارتها شاه إيران، الحليف الإستراتيجي لها في المنطقة، فعملت أمريكا نحو دفع العراق لشن حرب مباشرة على إيران في أوائل عام 1981، وهو ما عرف (بحرب الخليج الأولى)،

[142] نادية إبراهيم، أفغانسان التاريخ العسكري منذ عصر الاسكندر الأكبر حتى سقوط طالبان (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2010)، 303- 304.

التي استمرت قرابة ثمانية أعوام، فقدمت الولايات المتحدة لصدام المساعدات المختلفة للقيام بالحرب، سواء أكان ذلك بالأسلحة التقليدية والمتطورة، وتدريبهم عليها لمواجهة إيران، ووضعت له قائمة ببعض الشخصيات الإيرانية، التي يجب التخلص منها، حتى تتمكن الولايات المتحدة من الحفاظ على مصالحها البترولية في منطقة الخليج العربي، وإسقاط نموذج الثورة الإيرانية، التي أصبح صداها ينتشر حول العالم الإسلامي.[143]

أما صدام حسين، فسيكون له أجر عائدات البترول، التي سيسطر عليها من إيران، إلى جانب الإستفادة من المعونة الأمريكية للحرب، وبالتالي فتضمن الولايات المتحدة عدم تدخل دول الخليج الأخرى، وتقتصر الحرب على العراق فقط، لضمان بقاء دول الخليج خاضعة لها بشكل مستمر.[144]

قامت سياسة الولايات المتحدة في حرب الخليج الأولى على (مبدأ فرّق تسد) الذي اعتمدته الدول المستعمرة القديمة، وجاء ذلك من خلال مطالبتها دول الخليج العربي المشاركة المالية في الحرب فقط، ويكون العراق هو الطعم في الصنارة لاصطياد إيران. كما أمدت العراق بأشكال السلاح المختلفة، وقامت بقطع جزء من أموال مخصصة، لدعم برامج تصدير المواد الزراعية، متجاهلة في ذلك الكونغرس، لتمويل صفقات السلاح للعراق.[145]

وقد أصبحت حرب الخليج الأولى مسرحا لتجارة السلاح الدولي، من خلال بيع المواد الأولية اللازمة لتصنيع الأسلحة الكيميائية، دون الأخذ في الاعتبار المعاهدات الدولية التي تحظر

---

[143] أندرياس فون بولوف، مترجم: عصام الخضراء وسفيان الخالدي، ال سي.. آي.. إيه.. و11 أيلول 2001 والإرهاب العالمي دور أجهزة الاسخبارات (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، 2005)، 48.

[144] الرجع السابق.

[145] المرجع السابق.

مثل هذه الصفقات، وقامت بذلك من خلال شركة ألمانية قامت ببيعها لشركة صينية، حتى تظهر أن الأخير هي مصدر السلاح الرسمي، لكن الواقع كان يؤكد يدّ الولايات المتحدة فيها، خاصة أن هذه المواد الكيماوية اسخدمتها في فيتنام، وهي نفس المواد التي استخدمها صدام ضد الأكراد والإيرانيين، وقتل الآلاف تسمما.[146]

فشكل عقد الثمانينيات نموذجا مهما في دور الحروب بالوكالة التي استخدمتها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية آنذاك، كحرب الخليج الأولى أو أفغانستان وكذلك كل من أنغولا ونيكاراغوا، وهذا يوضح مدى التوسع الكبير لسياسة الحرب بالوكالة التي اعتمدتها الولايات المتحدة لتسيير الحرب الباردة، ، فقد استطاعت من خلال دخولها طرف ثالث في هذه الحروب، التفوق على الاتحاد السوفيتي، سواء في نيكاراغوا، وإيران، وأفغانستان، واعتبرت الأخيرة من الأسباب الرئيسية في نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، ضمن سياسة الخارجية الأمريكية في هذه الفترة، التي مثلتها إدارة كارتر، وإدارة ريغان.

4-5. الإدارة الأمريكية تجاه التنظيمات الأفغانية في الثمانينات

4-5-1. إدارة كارتر

اعتبر كارتر غزو السوفيتي لأفغانستان قضية شخصية، خاصة أن القادة السوفيتت لم يلتزموا في سياسة (الانفراج) التي بدأها نيكسون في عقد السبعينيات، والغزو أثبت كذبهم واستمرار الروح الاستعمارية الإمبراطورية لدى السوفييت، وفي ظل عدم الاستقرار في إيران،

---

[146] المرجع السابق، 49.

والحكم الديكتاتوري العسكري في باكستان، ما يعني بقاء القليل لوصول السوفيتت لبحر العرب والخليج العربي، منطقة المصالح الأمريكية.[147]

أرسلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اقتراحاتها السرية الأولى لدعم التنظيمات الجهادية الأفغانية، المناهضين للشيوعية في آذار/ مارس عام 1979، قبل أن تبدأ الحملة السوفيتية على أفغانستان أواخر عام 1979، في أثناء قيام التنظيمات والحركات الثورية تبني نفسها في هرات. فذهبت المخابرات الأمريكية في دراسة مخطط عملية الدعم التي ستقوم بها الولايات المتحدة للمجاهدين الأفغان، وكانت باكستان، الهدف الاستراتيجي في عملية امداد المجاهدين الأفغان بمختلف المساعدات، خاصة أنها خسرت حليفها المهم في المنطقة، وهي إيران، والقرب الجغرافي لباكستان في حدودها مع أفغانستان، فكانت تريد دعما محدودا في البداية للمجاهدين. وقد ترأس نائب مستشار كارتر للأمن القومي (دايفد آرن) بداية عام 1979، جلسة سرية ثانية للبحث في مسألة المساعدات المقدمة سرا من الولايات المتحدة للثوار الأفغان، وكذلك المباشرة.[148]

كان رأي برجنينسكي مستشار الأمن القومي لكارتر تقديم دعم محدود للمجاهدين الأفغان في البداية، وضرورة استغلال الفرصة في أفغانسان للقضاء على الاتحاد السوفيتي ووجوده في دول العالم الثالث، فكانت المساعدات في البداية دون سلاح، وتقوم على المساعدات المالية التي قدرت في البداية، بنصف مليون دولار قررها كارتر، وتشمل الدعاية والعمليات النفسية، وتأمين معدات لاسلكية، وطبية، وأموال نقدية للمجاهدين، وكانت عملية الامداد تتم من

---

[147] إبراهيم، أفغانستان التاريخ، 295.

[148] ستيف كول، مترجم: فؤاد زعيتر، حروب الأشباح السجل الخفي للسي. آي. إيه، لأفغانستان، ولبن لادن (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2008)، 71- 74.

خلال ألمانيا، والصين، والهند، والسعودية، ومحاولة إخفاء اليد الأمريكية الموجودة بين هذه الدول، بحيث تصل لباكستان، ومنها إلى المجاهدين في أفغانستان. وكان تركيز الضباط في المخابرات المركزية على الأهداف السوفيتية، أكبر منه على الحكومة الأفغانية الشيوعية والاستمرار في محاولة سرقة الأسرار العسكرية والتنظيمية الموجودة لدى السوفييت.[149]

وفي حديث برجنينسكي لمجلة (لانوفال أوبسرفانور)، أكد أن والولايات المتحدة قامت بعملية مخابرات سرية، قبل غزو السوفييت لأفغانستان بنحو ستة شهور من دخولهم عام 1979، الأمر الذي دفعهم للإسراع لدخول أفغانستان، وهو الفخ الذي طالما أرادته أمريكا ليذوقوا ما شربته في فيتنام، ووضح:

> الحقيقة، أننا ولمدة عشر سنوات، جعلنا الروس ينزفون دما، ولا يستنزفون جهدا فقط؛ فهم حين دخلوا أضروا باقتصادهم، وأرهقوا سلاحهم وأضعفوا معنويات جنودهم وأضروا بهيبتهم، وذلك أدى في النهاية إلى تمزيق الإمبراطورية السوفيتية.[150]

كانت العمليات السرية على أشدها في منتصف عام 1979، سواء المخابرات المركزية الأمريكية ومخابرات السوفييت كذلك، ومع ازدياد الوجود السوفيتي في أفغانستان، تزايد القلق الأمريكي، واستمر إرسال مزيد من التقارير المخابراتية اليومية الصادرة من المخابرات المركزية لوزارة خارجية كارتر، في مقابل ذلك، كان السوفييت على دراية في اللقاءات السرية لحكومة أمين مع الأمريكان، الذي بيّن للسوفييت، أن ذلك يعني التخطيط الأمريكي للقضاء

---

[149] المرجع السابق، 77- 79.

[150] محمد السعيد جمال الدين، أفغانستان بين نوازع السيطرة وإرادة الكفاح (أبو ظبي: مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003)، 70.

على الحكومة الشيوعية الأفغانية، وهو ما دفع بقادة السوفييت لاغتيال أمين، ولا توجد معلومات دقيقة حول عملية اغتيالة.[151]

ومن أجل عدم وقوع إدارة كارتر في غلط الثورة الإيرانية، العدو الذي كان صديق الأمس، عمد مستشاره للأمن القومي برجنينسكي، للقيام بتكليف وكالة المخابرات المركزية بدراسات مختلفة حول الحركات الإسلامية، والأوضاع الإسلامية في مختلف دول العالم الإسلامي، وكانت تعتمد وكالة المخابرات المركزية في مصادرها على قوى بشرية تنتمي إلى هذه الحركات، وبالتالي تصل المعلومة بدقة من مصدرها الرئيس، وهو ما سيعطي الإدارة الأمريكية المجال لاختيار أفضل الأساليب للتعامل مع هذه الحركات.[152]

فقامت مثلا في مصر وتحت غطاء الأبحاث والدراسات في 23 كانون الأول/ ديسنمبر عام 1979، السفارة الأمريكية بدراسة عن الحركات الإسلامية الأصولية المصرية، وتم إرسالها لوزارة الخارجية في واشنطن.[153] وهو ما يظهر أنها كانت على دراية في إمكانية التوجه التطرفي لبعض الجماعات الإسلامية، التي سوف تقدم لها الدعم، خاصة أن الثورة الإيرانية كانت نموذجا يمكن الاحتذاء به، لكن الحرب الباردة لم تعط للسياسة الأمريكية التفكير في أي شيء، فكان همها كيف تستخدم هذه التنظيمات لتكون السيف في محاربتها السوفييت، وليس النتائج التي ستترتب على دعم مثل تنظيمات كهذه، خاصة أن سياستها إزاء هذه التنظيمات ودول العالم، تقوم على المصلحة الآنية في علاقاتها بهم.

---

[151] كول، حرب الأشباح، 80.

[152] عصام عامر، الأصولية والعنف والإرهاب (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، 13.

[153] المرجع السابق، 14.

كان إلى جانب باكستان الوكيل المهم في الحرب للولايات المتحدة المملكة العربية السعودية، فمن خلال تقارب الأهداف ما بين سياسة الأمير تركي الفيصل، وسياسة إدارة كارتر، حول الوجود السوفيتي الشيوعي غير المقبول في أفغانستان، بالإضافة إلى الثورة الإيرانية وما سببته من فقدان حليف مهم لهاتين السياستين، وجاء الهجوم الارهابي الذي قام به (جهيمان العتيبي)[154] في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1979، والذي دفع بالعمل المخابراتي السعودي والأمريكي للقضاء على الشيوعية، وكذلك القضاء على التشعبات الإرهابية التي ترسلها إيران في منطقة الخليج، والعالم الثالث.[155]

استجاب نظام السادات المصري مباشرة لمطلب إدارة كارتر، بالموافقة على تطوع الإسلاميين المصريين في صفوف الجهاد الأفغاني، وكانت هذه الموافقة ليست فقط من أجل إرضاء الرغبة الأمريكية وتثبيت العلاقة معها، فقد وجد السادات في ذلك، التخلص من الجماعات الإسلامية في بلاده، فحاول أن تظهر الموافقة من الجماعات الإسلامية نفسها، وبارك الدعوات التي كانت تنظم المجاهدين المصريين للالتحاق بالجهاد الأفغاني، وكان يتم اقتطاع جزء من رواتب الموظفين في الحكومة ترسل للمجاهدين الأفغان، خاصة أن الجماعات الإسلامية في مصر كانت ترى بالجهاد فرضا إسلاميا ضائعا.[156]

---

[154] جهيمان العتيبي: هو من الحرس الوطني السعودي، قام بأول حادث انقلاب على الأسرة الحاكمة المالكة السعودية، فقام في عام 1979 من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، من عام 1400 هجري، بالدخول على الحرم المكي بالأسلحة، والسيطرة عليه لأكثر من ثلاثة أيام، وأغلق أبواب الحرم، وحجز المصلين فيه، لكن نتيجة للإشتباك المسلح مع القوات السعودية، أجبرته للرضوخ وقتل عدد من أتباعه، وتم حكم الإعدام عليه وعلى من نجى في الإشتباك. (حسين سامي شيرعلي، "مهدي السلفية التكفيرية وحركة جهيمان العتيبي،" مجلة الانتظار، فصلية، عدد 5 (ربيع 1427/ 2005): 11.

[155] عامر، الأصولية والعنف،124.

[156] حسين أحمد أمين، "من المسئول عن وصول المتطرفين إلى الحكم في أفغانستان؟ وعن التطرف والإرهاب في مصر؟، " مجلة الهلال، مج. 110، عدد 10 (تشرين الأول 2001): 8.

وكان الجو العالمي والإقليمي يتماشى مع المصالح الأمريكية من الحرب، فالمملكة السعودية متخوفة من الخطر الشيوعي، إضافة إلى الثورة الإيرانية التي شكلت تهديدا جديدا، كذلك الدول العربية كانت معنية بجر الجماعات الإسلامية لديها إلى أفغانستان، لتجد الفلسفة الجهادية التي تدعو لها، وكان كل ذلك يصب في المصلحة الأمريكية في القضاء على الاتحاد السوفيتي، فأفغانستان مدمرة للإمراطوريات، ولم تنس جرح فيتنام من قبل، وهو ما شجع كارتر للمضي قدما نحو المساعدات للمجاهدين الأفغان بكل الوسائل الممكنة.

4-5-2. إدارة ريغان

كان منهج ريغان في سياسته يقوم على عدم إيجاد حلفاء يرغبون بالقتال، كما كان يفضله كسينجر، فسياسة التدخل لديه التي تقوم على الأيديولجويا، وكان يبعثها مستشاروه في البحث عن حركات ثورية في دول العالم، ودعمها ضد الخطر السوفيتي، وهي السياسة التي عملت بها إدارة كارتر، وفق (إستراتيجية القوة المضادة) وتقوم على دعم أي معارضة في دول العالم الثالث، وحشدها ضد حلفاء الاتحاد السوفيتي، وهي الإستراتيجة التي عُمل بها وقت طويل قبل حرب أفغانستان.[157]

إدارة ريغان وكارتر في سياستهما إزاء أفغانستان، كانت الأخيرة (كرقعة شطرنج) بين اللاعبين الأمريكي والسوفيتي، ونظرت أمريكا للدول الإقليمية والتنظيمات الجهادية الأفغانية، القطع التي تسيرها وفقا لمصالحها القومية والأمنية في اللعبة، وبخروج إيران من اللعبة

[157] وستاد، الحرب الباردة، 603- 604.

الأمريكية، أخذت بالبحث عن بديل لها، فكانت المعارضة الأفغانية متمثلة بالتنظيمات الجهادية الأفغانية، وباكستان ذات الموقع الإستراتجي لتسيير حرب أفغانستان.[158]

تحدث ريغان في أثناء حملته الانتخابات لعام 1976، وكان هو المرشح الجمهوري ضد الرئيس جيرالد فورد في ذلك الوقت، فبين أن السياسة الخارجية الأمريكية:

> "تهيم على وجهها بلا هدف." وأنجولا حالة دالة. لقد أعطينا دعماً كافياً لأحد الجوانب لنشجعه أن يحارب ويموت، ولكن هذا الدعم لم يكن كافياً أبدا ليعطيه الفرصة لكي يكسب. ولذا فإن الرابح لا يحبنا والخاسر لا يثق بنا ويرانا العالم ضعفاء وغير واثقين.[159]

وفي كلامه هذا يتناقض مع سياسته على أرض الواقع، فلم يتعلم من أخطاء سابقيه، بأن التدخل في شئون دول العالم الثالث، لا يولد لهم إلا مزيدا من العداء لدى دول العالم، خاصة الدول الضعيفة والمنهكة، وهو معاكس أيضا لما انتهجه ريغان من سياسات فيما يخص القضية الأفغان بعد تسلمه للرئاسة في أوائل الثمانينيات.

فمع قدوم ريغان للرئاسة الأمريكية عام 1980 أصبح الدعم الأمريكي على أشده، ويضاعف باستمرار، وقد تفاوض ريغان مع المملكة السعودية على توقيع اتفاقية لتعزيز التحالف بين واشنطن والرياض ضد السوفييت، وضمان استمرار تدفق النفط لها، فتعهدت السعودية بتقديم مساعدات، مماثلة للمساعدات الأمريكية المقدمة للمجاهدين الأفغان، فتم تزويد المجاهدين بعد هذا الاتفاق، بكميات كبيرة من الأسلحة الأمريكية والسعودية، وكانت تحتاج إلى مخازن

---

[158] كول، حرب الأشباح، 69.

[159] وستاد، الحرب الباردة، 605.

لها على الحدود الباكسانية– الأفغانية توفرها باكستان، ما سيسهل عملية وصولها للمجاهدين.[160]

جزء من المساعدات السعودية، كانت منفصلة عن المساعدات الأمريكية، فكانت ترسل مباشرة من السعودية إلى الحدود الباكستانية مع أفغانستان، وذلك أن بعضا من المجاهدين كانوا يرفضون التعامل مع الغرب، فأنشأت السعودية مؤسسات لها في بيشاور، مثل (الجمعية الخيرية السعودية) التي عمل فيها ابن لادن في أوائل الحرب، فكان يجمع التبرعات، والمساعدات، ويقدمها للمجاهدين الأفغان.[161]

فكانت تشكل الثقافة الغربية فلسفة مغايرة لتعاليم الإسلام، بالنسبة للجماعات الإسلامية، وهو ما كانت تدركه الولايات المتحدة، لكن فكرة القضاء على الاتحاد السوفيتي، كانت أسمى غايات القادة الأمريكيين، ودعم مثل هذه الجماعات لن يكون بتساو مع العدو الأول لها، الذي يشاركها الهيمنة العالمية في ذلك الوقت.

قُدمت معلومات استخباراتية للرئيس ريغان، ومجلس الأمن القومي أوائل عام 1984، حول مجريات الحرب بالوكالة في أفغانستان، فقدرت المخابرات المركزية قتلى السوفييت بحوالي 17 ألفا، حتى ذلك الوقت، وسيطر المجاهدون على 62% من الريف الأفغاني، وأصبحوا أقوياء، إلى درجة أنهم أجبروا السوفييت على زيادة انتشارهم في أفغانستان لأكثر من ثلاث مرات، كما دمر المجاهدون 2250 دبابة سوفيتية وناقلات مدرعة، و8000 شاحنة جيب ومركبات، وكلفت الحرب السوفييت خسائر مباشرة كبيرة، وتم امداد المجاهدين ب200 ألف

---

[160] كول، حرب الأشباح، 105.

[161] المرجع السابق، 133– 136.

دولار من قبل الولايات المتحدة ومثلها من المملكة السعودية، وكان ذلك حتى منتصف الثمانينات فقط.[162]

قامت الولايات المتحدة والسعودية على تقديم دعم لتشكيلة من المجاهدين، الذين شاركوا في حرب أفغانستان، لا تجمعهم صفات مشتركة، خاصة أن جزءا كبيرا منهم قَدم من أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، ملبين نداء الجهاد الإسلامي، الذي دعت له أمريكا والسعودية وباكستان، ليكون موجها للعدو السوفيتي من جهة، ومن أجل إيجاد عمل مضاد للثورة الإيرانية، التي حاولت نشر قيمها حول العالم الإسلامي من جهة ثانية.[163]

وتم افتتاح مركز لاستقبال المتطوعين للسفر إلى أفغانستان في نيويورك عام 1982، عن طريق مصطفى شلبي المصري، وصديقه رئيس مكتب الخدمات في بيشاور، عبدالله عزام، وكانت المخابرات المركزية الأمريكية، تعمل على المساعدة في تدريب المتطوعين في المركز، وفي معاهد ومراكز التدريب الأمريكية الخاصة بالتدريب على السلاح، مثل مركز (هاي روك شوتنج) وغيره، وتم إنشاء فروع لهذا المركز في مختلف الولايات الأمريكية بعد ذلك.[164]

كان التقاء أهداف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والمخابرات الباكستانية، والمخابرات السعودية، في تحقيق هدفين للحرب: عسكريا عن طريق تقديم أقصى قوة نيران للمجاهدين الأفغان، وسياسيا لتجنيد أكثر الإسلاميين أصولية في العالم الإسلامي المعادين للشيوعية، للضغط على السوفيتت. وأدى هذا العمل– ليس فقط إلى إغراق المنطقة بكل أنواع الأسلحة–

---

[162] المرجع السابق، 137.

[163] جيل كيبل، مترجم: نبيل سعد، جهاد– انتشار وانحسار الاسلام السياسي (القاهرة: دار العالم الثالث، 2005)، 172.

[164] جمال الدين، أفغانستان بين، 65– 66.

بل عمل على إغراق المنطقة بأشد أنواع التنظيمات الإسلامية تطرفا في العالم الإسلامي، من خلال تدريبهم على السلاح وحرب العصابات والتخريب والتفجير وإلقاء القنابل، كذلك جمع هؤلاء المجاهدين في دولة واحدة، من مختلف أنحاء العالم من مصر، والسعودية، والجزائر، وليبيا، وأيضا من الولايات المتحدة، وبريطانيا وغيرها.[165]

كان الجهاد الأفغاني الحالة الجهادية الأولى، منذ أكثر من قرن في العالم الإسلامي، لذلك، كانت الفكرة الأمريكية خارجة من هذا المنطلق، فقد عزمت الولايات المتحدة على خلق هذا النوع من الجهاد، لتحقيق هدفها الأول من الحرب الباردة، وذلك بإثارة الجهاد الذي يدخل ضمن فرائض العقيدة الإسلامية، وبالتالي وضع الجهاد الأفغاني في إطار حرب صليبية ضد الاتحاد السوفيتي، الذي داس في ديار الإسلام الأفغانية، خاصة أن فكرة الحرب الصليبية، أشد وقعا على النفس من فكرة الجهاد ذاتها. أما هدفها الثاني، فكان تحويل الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة إلى خلاف سياسي، وبعد ذلك احتواء الثورة الإيرانية التي تمثل الشيعة، وبالتالي، كانت حرب أفغانستان حربا أمريكية بامتياز.[166]

وضمن السياسة الريغانية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، (أسلوب مغازلة الإسلاميين)، ضمن حيثيات الحرب الباردة، فقام بعقد تحالفات بين الولايات المتحدة والتنظيمات الجهادية الأفغانية، ودول إسلامية مثل السعودية وباكستان، من أجل مصارعة السوفييت، والدول التابعة لهم في العالم الثالث، ومما يثبت هذه السياسة، قيام ريغان في منتصف الثمانينيات، باستخدام (سياسة التراضى) لإيران، وإلغاء سياسة التصدي لها، وهو ما عرف (بإيران

---

[165] الممداني، المسلم الصالح، 181- 182.

[166] المرجع السابق.

غايت) حيث زَودت فيه الولايات المتحدة إيران بأسلحة مقابل الإفراج عن الرهائن الأمريكيين في لبنان، وهو ما أعطى إشارة بأن ريغان يرغب بإقامة صلات مع القوى الراديكالية في العالم الإسلامي، بهدف احتواء العدو الأكبر وهو الاتحاد السوفيتي.[167]

كما ذهبت السياسة الخارجية الأمريكية في منتصف الثمانينيات، إلى نوعين من النزاعات المضادة، في تحديد طريقة التعامل مع الإسلام السياسي: فهناك أعضاء مجلس الأمن القومي، الذين كانوا يدعون إلى تسخير الإسلام السياسي، لتحقيق الأهداف الأمريكية ضد السوفييت، أما الطرف الثاني فكان أعضاء وزارة الخارجية، وكانوا يحضون على اتباع سياسة خارجية سلبية مع الإسلاميين، في كل مكان، وتحديدا الراديكالية الإيرانية.[168]

ورغم وجود الرأي الذي يدعو للسلبية في التعامل مع الإسلام السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية، في عهد ريغان، إلا أنه لا يوجد أي تصريح، أو بيان سياسي صريح في تلك الفترة، ينظر للإسلام على أنه خطر متماسك وحيوي على استقرار النظام العالمي، لكن الإدراك الحسي لخطر الإسلام جاء بعد حرب أفغانستان عام 1989، ومع قدوم إدارة بوش الأب للسلطة في العام نفسه، خاصة أن العدو الأول للسياسة الخارجية الأمريكية، الاتحاد السوفيتي في وضع هش، وبسقوط الأخير بدأ الاتجاه في أوائل التسعينيات، ينظر إلى الإسلام العدو القادم للولايات المتحدة، في ظل الراديكالية الإيرانية المتنامية في ذلك الوقت.[169] لكن هذه النظرة لم تتضح بشكل جلي في الأروقة الغربية، رغم وقوع بعض

---

[167] غصن، أمريكا والإسلام، 90.

[168] المرجع السابق، 91.

[169] المرجع السابق، 92- 93.

الهجمات خلال التسعينيات من قبل القاعدة، إلا أن الحدث الكبير الذي هز الولايات المتحدة في 11 أيلول/ سبتمبر 2001، هو ما شدد عملية التعامل الغربي مع الإسلام.

وتضاعفت المساعدات الأمريكية للتنظيمات الجهادية الأفغانية بعد المدة الثانية لرئاسة ريغان في منتصف الثمانينيات، فرفع ريغان قراره 166 للأمن القومي في آذار/ مارس عام 1985، ينص على التفويض بزيادة المعونات العسكرية السرية للمجاهدين. وكانت خطة الحرب التي أعاد تشكيلها رئيس وكالة المخابرات المركزية (وليم ناسي)، وتقوم على إقناع الكونغرس التدخل بقوة في الحرب ومد المجاهدين بمستشارين أمريكيين، وصواريخ ستينغر المضادة للطائرات، وزيادة التجنيد والتنظيم الإسلامي الراديكالي من أنحاء العالم، الذين يقاتلون إلى جانب المجاهدين الأفغان، ويتم الدعم عبر البنوك والأعمال الخيرية، والمساجد والتنظيمات الإسلامية في العالم، وكان لا بد من اتساع الحرب لتشمل المناطق الإسلامية التي تقع في ظل الاتحاد السوفيتي نفسه.[170]

4-6.نتائج السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في الثمانينات

كانت أهم نتائج السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الجهادية الأفغانية على المستوى العالمي، فشل السوفييت في تحقيق أهدافهم في أفغانستان وانهياره عام 1990، وانفراد الولايات

[170] الممداني، المسلم الصالح، 181- 184.

المتحدة في الهيمنة على العالم؛ أما على المستوى المحلي، وبنجاح أمريكا التخلص من السوفييت عملت على تخفيف قيمة مساعداتها للمجاهدين الأفغان، وتم سحب المسألة الأفغانية من جدول أعمال الإستراتيجية الأمريكية، ولم تعد ترى في المقاتلين في بيشاور مجاهدين من أجل الحرية، وكان تخوف الكونغرس من تجارة الهيروين، التي تم ربطها بالمجاهدين الأفغان مثل حكمتيار وسيّاف، حيث اعتبرهم متطرفين مثل نجيب الله رئيس الحكومة الأفغانية الشيوعية، كما ظهرت تشكيلة من التنظيمات الإسلامية المتشددة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، تذهب توجهاتها ضد الولايات المتحدة.[171]

كما أن الولايات المتحدة لم تكتف في سياستها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، بتسيير حربها الباردة مع الاتحاد السوفيت، من خلال هذه التنظيمات، فعملت في 14 نيسان/ أبريل عام 1988 على وضع اتفاقية جنيف بين الأطراف المتنازعة، نظام أفغانستان الشيوعي والاتحاد السوفيتي وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية، أما أهم أطراف النزاع، فهي التنظيمات الجهادية الأفغانية، التي تم استثناؤها من هذا الاتفاق، وهو ما اعتبره المجاهدون خيانة كبرى من قبل الولايات المتحدة، ولم يعترفوا في الاتفاق وقراراته.[172]

ومن هذا الاتفاق الذي أثار حفيظة التنظيمات الجهادية الأفغانية دون استثناء، يمكن أن توضع بداية التحول في توجهات السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية والعكس صحيح. خاصة أن الولايات المتحدة خرجت بشكل تام من أفغانستان، فقامت بإغلاق

---

[171] كيبل، جهاد– انتشار، 185.

[172] كول، حروب الأشباح، 262.

سفارتها في كابول، واعتمدت على مركزها في باكستان فقط.[173] والبدء بالاهتمام في مستقبل الهيمنة العالمية، خاصة في ظل رؤيتها للاتحاد السوفيتي يفقد يوما بعد يوم أركان توحده.

ورأت الولايات المتحدة بالأصولية الدينية حليفا مرحليا لها في محاربة الشيوعية، خاصة أن أفغانستان اعتبرت ساحة الانتقام الأمريكي من السوفييت فقط؛ وفلسفة الولايات المتحدة في سياستها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، قامت على (فلسفة الذرائع البراغماتية) التي لا تعترف من السياسات، إلا ما كان مناسبا ومجديا ومحققا للمصالح الأمريكية، بغض النظر عن تطابقه، أو تنافره مع القيم الأخلاقية والمثالية،[174] فهي تتخلى في أي وقت عن أخلص أصدقائها وتحاربه وتغتاله إذا اقتضت الحاجة، وهي النهج الذي اتبعته الولايات المتحدة الأمريكية في توجهاتها إزاء المجهادين الأفغانية.

أما باكستان والسعودية فهب كل منهما إلى دعم حكمتيار، رغم عدم موافقة بنازير بوتو العلنية لذلك، لكن قوة مسعود شاه القائد الميداني العسكري لرباني، لم تسمح لحكمتيار ليكون في السلطة، رغم المساعدات الباكستانية والسعودية له، وهو ما دفع البلد لتقع في خضم حرب أهلية طاحنة، أوجدت تشكيلة جديدة من التنظيمات مثل حركة طالبان، خاصة أنه ظهر في وسط المجاهدين نوع من المرارة والكره للولايات المتحدة، التي راحت تصف أصداقاء الأمس بأنهم متطرفون وخطيرون وتجار ومخدرات، ما دفع بمزيد من مشاعر الحقد على الأمريكان في أوساط المجاهدين.[175]

---

[173] المرجع السابق، 279.

[174] عامر، الأصولية والعنف، 17- 18.

[175] المرجع السابق.

انسحب الاتحاد السوفيتي من افغانستان، وترك خلفه حكومة نجيب الله، ، فيما ذهبت الولايات المتحدة بحزم امتعتها، والرحيل من البلد، حاملة معها النصر بخروج السوفيتي منهكا من أفغانستان، فيما الوضع الأفغاني ترك في غاية التعقيد، فقد تركت البلد يدفع ضريبة موافقته على حرب بالوكالة أرادتها هي، وصاغتها ووضعتها بين أيديهم، وهي الآن تتركه ملطخا في ويلات هذه الحرب، والتي سيكون بعدها حرب دموية مقيتة، تضع البلد في رماد آخر، بما أطلق عليه بالحرب الأهلية الأفغانية.[176]

نتج عن الغزو السوفيتي لأفغانستان، الكثير من الدمار والمعاناة، لبلد لم يجد الراحة طوال قرن، فمن الغزو البريطاني، ثم الغزو السوفيتي، وأخيرا الغزو الأمريكي، وبانتهاء الحرب قدّم البلد مليون ونصف قتيل، وقرابة خمسة ملايين مهاجر، من أصل خمسة عشر مليون نسمة، بالإضافة إلى الدمار والخراب والوضع الاقتصادي البالغ التعقيد، فلم تعد هناك أراض زراعية وأدوات ريّ وبنية تحتية، وما كان من الأراضي صالحا للزراعة، تم مصادرته لزراعة الأفيون والهيروين، الذي انتشر بشكل كبير أثناء الحرب وبعدها.[177] وهو الدرس الذي لم تتعلمه الولايات المتحدة من أخطاء الإمبراطريات السابقة، وقيامها بحرب جديدة على أفغانستان في بداية الألفية الثالثة.

فما أن غادر السوفيتت البلد، حتى عادت الانقسامات العرقية، والقبلية، والحزبية بينها، أما الولايات المتحدة فرفضت التدخل وتركت أفغانستان بين يدي متعصبيها، مع ما لديهم من مخزون السلاح، الذي خلفته القوى العظمى لهم خاصة الولايات المتحدة، وتم تجاهل

---

[176] جمال الدين، أفغانستان بين، 75- 76.

[177] فواز جرجس، مترجم: محمد شفيق شيا، القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012)، 63.

أفغانستان من قبل الحكومات الدولية، والإعلام العالمي، وخاضت حرب أهلية جاءت على ما بقي من البلد.[178]

ومن نتائج السياسة الأمريكية تجاه التنظيمات الأفغانية أنها أعادة رسم شخصية أسامة بن لادن نفسيا وروحيا، ومع أن عزام كان عبارة عن الأب الروحي لابن لادن، لكنه لم يوافق أبدا على قتال المسلم للمسلم، بمن فيهم الحكام العرب، لكن عزام كان يردد "العنف يجب ألا يستخدم لمحاربة الأنظمة الإسلامية، كائنا ما كانت درجة انحرافها عن مبادئ الشريعة."[179] لكن موقف السعودية في حرب الخليج الثانية، دفع بابن لادن أن يتجاوز هذه القواعد، ويضع السعودية الدولة المسلمة ضمن مخطط أهدافه، خاصة المواقع الأمريكية فيها.

وابن لادن أيضا طوال عقد الثمانينيات والتسعينيات، لم يدع إلى قتال المسلم للمسلم، ناصحا الأفغان أنفسهم، عدم إراقة دمائهم فيما بينهم، فلا يرضى بقتل المسلم للمسلم، ولم يدعم أي توجه لذلك. ودعا عزام إلى عدم عولمة الجهاد، أو قيام منظمة أممية لها أيويولوجية كتنظيم القاعدة، فالقاعدة التي دعا لها عزام تختلف عن فكرة التنظيم الذي خرج في منتصف التسعينيات، وهو ما أكد عليه الفضل أحد منظري الجهاد الأفغاني في الثمانينيات، فقال "على الشعب أن يعرفوا أن نشوء "القاعدة" كان انحرافا عن أفكار عبدالله عزام ورفضا لها،" فكان يقصد عزام بالقاعدة التكتيك القاعدي لمجريات الحرب، وليس التنظيم الحركي البنياني.[180] وهذه النتائج المختلفة، وتحديدا بروز تنظيمات معادية للولايات المتحدة، لم تأت

---

[178] المرجع السابق.

[179] جرجس، القاعدة الصعود، 52- 53.

[180] المرجع السابق، 53- 54.

إلا من خلال السياسة الأمريكية التي استخدمتها إزاء هذه الجماعات، فسلحتهم ودربتهم ضد السوفييت، ثم تركتهم في ظل سياسة أمريكية تقوم على الفوقية والمصلحة الأمريكية العليا.

ويؤكد الكاتبان (كين بوث، وثيم ديون) بأن سياسة الولايات المتحدة التي قامت على استخدام التنظيمات الجهادية الأفغانية بالتعاون مع نظام السعودية وباكستان، أدى لتعزيز الطائفية، والتطرف الديني الإسلامي العميق فيها، فمع أن باكستان كانت تستخدم سياسة إسلامية معتدلة، إلا أن التقاء أهدافها مع الولايات المتحدة، دفعها لتشجيع الطائفية والأصولية المتشددة، الذي ذهب نحو التوجه للتطرف ضد الولايات المتحدة والقيم الغربية فيما بعد.[181]

وبحسب نعوم تشومسكي، فإن 11 أيلول/ سبتمبر ليس إلا نتيجة للتسليح والتدريب الذي قامت به الولايات المتحدة تجاه التنظيمات الجهادية في أفغانستان عام 1979، وبين أن ذلك لم يكن دفاعا عن البلد وأهله، بقدر ما كان يعزز المصالح العليا المألوفة للأمريكيين، فالولايات المتحدة ومصالحها في آسيا الوسطى، والشرق الأوسط، لم تهتم بالبرنامج النووي الباكستاني، لكنها كانت تسعى لتحقيق مآربها في أفغانستان، بالقضاء على الاتحاد السوفيتي.[182]

مما سبق فإن نتائج السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية لم تقتصر على الولايات المتحدة فيما يخص الإرهاب العالمي، فأفغانستان تركتها تنزف في صراعات بين التنظيمات التي أبقت على السلاح بين يديها، واستمر شلال الدماء في البلد، بالإضافة إلى الإرهاب والمتطرف في دول العالم أجمع، وهم فواعل غير دوليين، يصعب القضاء عليهم،

---

[181] بوث، عوالم متصادمة، 271.

[182] نعوم تشومسكي، مترجم: سامي الكعكي، الدول الفاشلة: إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية (بيروت: دار الكتاب العربي، 2007)، 24- 25.

نتيجة للتطورات الكنولوجية العالمية، وبالتالي وضعت شكلا جديدا من العلاقة بينها وبين التنظيمات الجهادية الأفغانية، الذي سيقدمه الفصل القادم من الدراسة.

الفصل الخامس

5. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية

1990- 2001

تقوم الدراسة على فهم السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، في تطوير ظاهرة الإرهاب العالمي، في آخر عقدين من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، وسيعرض هذا القسم الوضع الإقليمي العام في هذه الفترة، لأنها تساعد في وضع الرؤية الواضحة لتوجهات السياسة الخارجية الأمريكة إزاء التنظيمات الجهادية في الفترة محل الدراسة، كذلك يستعرض هذا القسم إدارة كل من الرئيس بوش الأب، وكلينتون، وبوش الابن، لأنها تمثل توجهات السياسة الخارجية الأمريكية في هذه المرحلة، وأخيرا عرض لأهم النتائج التي ترتبت على هذه السياسات إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية.

5-1. الوضع الإقليمي العام في التسعينات

تميزت هذه الفترة بمجموعة من القضايا الإقليمية، التي بدورها أثرت في توجهات السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الأفغانية في مرحلة التسعينيات، وهي: الحرب الأهلية الأفغانية عام 1992 التي أفرزتها حرب عام 1979، ثم حرب الخليج الثانية عام 1990، وكانت السبب المهم في تحديد شكل جديد للعلاقة الأمريكية بالتنظيمات الجهادية الأفغانية، وأخيرا قضية إقليم كشمير، الذي أرادت من خلاله باكستان استغلال وجود التنظيمات الجهادية الأفغانية،

المدربة والمعدة للقتال فترة الثمانينيات، للمشاركة في قتالها ضد الهند فيما يخص إقليم كشمير.

5-1-1. الحرب الأهلية الأفغانية 1992

عملت السياسة الأفغانية طول التاريخ البقاء ضمن سياسة عدم الإنحياز، لكن ذلك لم يمنعها من أن تكون مركزا للصراعات بين القوى العظمى، فمنذ القرن التاسع عشر والصراع الروسي- الأنجليزي مستمر على أفغانستان، كذلك أصبحت ضمن اهتمامات الولايات المتحدة في منتصف القرن العشرين، إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي أوائل عقد التسعينات، وعدم بقاء التصارع الاستعماري للقوى العظمى، ببروز القطبية الأحادية العالمية للولايات المتحدة، ولم يعد هناك اهتمام من قبل الولايات المتحدة بالشأن الأفغاني، مما دفعها لتركها مباشرة بعد خروج السوفيتي منها.[183] لتعود من جديد في بداية الألفية الثالثة، لتكون القضية المهمة للولايات المتحدة، وفي سلم أولويات سياستها الخارجية.

أفرزت حرب أفغانستان عام 1979 نجاح التنظيمات الجهادية الأفغانية وفشل الاتحاد السوفيتي، وهو ما شكل انتصارا، كبيرا لجهاز المخابرات الأمريكية، وذهب المجاهدون الأفغان بتشكيل حكومة انتقالية، تتكون من قيادات الأحزاب السنية المتمركزة في بيشاور، لكن بقاء نجيب الله على رأس الحكومة الأفغانية، لم يرض المجاهدين، خاصة أنهم تمكنوا من هزيمة قوة عظمى هو الاتحاد السوفيتي، فلن يعجزوا عن هزيمة الحكومة الأفغانية

[183] جمال الدين، أفغانستان بين، 76- 77.

الشيوعية؛ وبتشجيع من باكستان، قامت الحكومة الانتقالية بإنشاء مركز لهم في إسلام آباد، واتخاذها عاصمة مؤقتة، لحين التخلص من النظام في كابول.[184]

فمع بدء الخلافات الداخلية بين التنظيمات الجهادية الأفغانية، أواخر الثمانينيات، استمر السوفيتت بدعم نظام كابول الشيوعي بحوالي 300 مليون دولار شهريا، في مقابل ذلك، فإن المعونات الأمريكية المقدمة للمجاهدين الأفغان انخفضت إلى ما بين 40- 50 مليون دولار. وعن ذلك يتحدث الجنرال الأفغاني يوسف، أنه تم احتراق مخازن الذخيرة التابعة للمجاهدين، ولم تعوضهم الولايات المتحدة عن ذلك مبررة قولها، بضرورة الانسحاب السوفيتي بشكل سلمي وهادىء، ولا تعوقه أي هجمات من المجاهدين، ويضيف أيضا:[185]

بعد توقيع اتفاقية جنيف، ظهر هدف الأمريكيين الحقيقي من وراء هذه الحرب، فرغم غرابة هذا الأمر، إلا أنه بعد انسحاب السوفييت من أفغانستان، وتوقع الجميع أن ينتصر المجاهدون، بمن فيهم السوفييت، والأفغان الموالون لهم- ظهر تغيير متعمد في السياسة الأمريكية، يهدف للحيلولة دون ذلك- وكان من الواضح أن كلتا القوتين العظميين تفضلان بقاء الوضع على ما هو عليه.[186]

فالولايات المتحدة، لم تعد لديها اهتمامات كبيرة بأفغانستان، فقد حققت الهدف الكوني لها، بإفشال غزو أفغانستان والقضاء على الاتحاد السوفيتي، والانتقام لما حدث لهم في فيتنام، أما الحرب الأهلية الأفغانية فلم يكن للحكومة الأمريكية أي اهتمام لها، وكذلك الرأي العام

---

[184] إبراهيم، أفغانستان التاريخ، 333.

[185] الممداني، المسلم الصالح، 335.

[186] المرجع السابق.

الأمريكي، كما أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تتعامل بحذر شديد مع هذه القضية.[187]

بعد سقوط حكومة نجيب الله عام 1992، كان من الصعب تشكيل حكومة تجمع القادة والمجاهدين، الذين سيطر كل منهم على منطقة في البلد، ففي الشمال التقت القوات العسكرية غير الحكومية من غير البشتون، حول أحمد مسعود بقيادة ربانى، أما البشتون فقد التفوا حول حكمتيار، أو مولوي حقاني، وفي الشرق والجنوب الشرقي تجمعوا حول حاجي عبد القادر، ومولوي حقاني أيضا، وحلف الشمال الذي كان يرأسه مسعود، ودستمو سيد نادر كباني، سيطر على المنطقة الواقعة بين مزار شريف وكابول، في حين هرات وما حولها سيطر عليها اتحاد المجاهدين، وإسماعيل خان، وبعض القوات الحكومة السابقة، أما قندهار فسيطر عليها مزيج من المجاهدين وقوات الحكومة السابقة.[188]

فهذه التقسيمة توضح للناظر، مدى العامل القبلي والعرقي المؤثر في الحياة السياسية الأفغانية، وهي التشكيلة التي لم تكن تنظر لها الولايات المتحدة، بشكل قد يكون عامل دمار للبلد في حال تم التدخل في شئونه الداخلية، من قبل قوى أجنبية غير مرحب بها، وهو ما وقعت به في عام 1979، وكذلك في عام 2001.

في يوم 26 نيسان/ إبريل 1992 أعلن تأسيس (دولة أفغانستان الإسلامية)، وفقا لاتفاق بيشاور، يرأسها لمدة شهرين، صبغة الله مجاهدي ثم ربانى مدة أربعة شهور، يليه حكومة مؤقتة من أجل التهيئة لانتخابات عامة، فتم تمديد فترة رباني مدة 45 يوما، وأصبحت رئاسة

---

[187] المرجع السابق.

[188] حقي، أفغانستان نشأتها، 245.

دائمة فيما بعد، وهذا لم يعجب المعارضة بقيادة حكمتيار، الذي نتج عنه السيطرة على الحكم، وحرب أهلية عامة في أفغانستان، وتم تقسيم القادة والموالين لهم، وفقا للقاعدة العقائدية، فحكمتيار مع حركة خلق القديمة البشتونية، ومسعود المدعوم من غير البشتون، ودوستم المدعوم من الأوزبك، وانتهى هذا الانقسام إلى تجمع المقاتلين في جبهتين: قسم الحكومة بقيادة ربانى، وقسم المعارضة يجمع حكمتيار ودوستم، وحزب الوحدة، وقد نتج عن القتال الآلاف من اللاجئين إلى جلال آباد وباكستان في نهاية عام 1992.[189]

فبتخلي نجيب الله عن الحكم في عام 1992، نشبت الخلافات بين التقسيمات سالفة الذكر للمجاهدين الأفغان، التي قدر الخسائر فيها ما قرابة 40 ألف، وبدأ الناس ينظرون حالات الفساد الأخلاقي، وإبتزاز أموالهم، وغياب الأمن، وانتشار الجريمة، في صفوف هذه القوات المتناحرة.[190]

في 7 آذار/ مارس عام 1993، رعت المملكة السعودية اتفاقا بين المقاتلين، ونتج عنه أن يكون رئيس البلاد ربانى ورئيس الحكومة حكتمیار، لكن هذا الاتفاق كان على الورق فقط، بينما استمر القتال الدامي على أرض الواقع، خاصة أن حكمتيار كان مدعوما من قبل باكستان، التي تربطه بها الأصول البشتونية.[191]

كان السبب المباشر للبدء في الحرب الأهلية الأفغانية، هو عزل عبد الصبور فريد من حزب حكمتيار، من منصب رئيس الوزراء، من قبل ربانى، وهو ما فتح القتال بينهما في صيف عام 1992، فقام حكمتيار بإمطار كابول بوابل من الصواريخ، وطلقات المدفعية، التي سقط

---

[189] المرجع السابق.

[190] عبد الطالب، لغزو الأجنبي، 175.

[191] حقي، أفغانستان نشأتها، 246- 247.

فيها المئات من القتلى المدنيين، وكان هدفه المعلن هو وجود قادة من الأوزبك، بقيادة عبد الرشيد دوستم في كابول، لكن هدفه الخفي، كان اسقاط حكومة ربانى، والاستيلاء على العاصمة كابول، في حين كان لا بد من القضاء على الأطراف الموالية لربانى أولا.[192]

أما حزب عبد رب الرسول سياف، فكان يقاتل ضد حزب عبد العلي مزاري، الذي يرأس الحزب الشيعي، فيما كانت مختلف الأحزاب الأخرى تحاول منع تقدم حزب مزاري الشيعي. وفي عام 1994، تحالف حكمتيار مع مزاري، ضد ربانى وقواته بقيادة مسعود شاه في كابول. وفي ظل هذه الصراعات الدموية، خرجت طالبان من بين الشعب الأفغاني وأخضعت الأحزاب والجمعيات الإسلامية القديمة والمتناحرة لهاعام 1994.[193]

بدأ عمل حركة طالبان عام 1994، نتيجة لأن أمراء الحرب القدامى سيطرت عليهم الصراعات والحروب الأهلية الدامية، إضافة إلى السرقة، وقطع الطرق، وهو الحال الذي أزعج السكان الأفغان، خاصة أنهم ملوا حالة الحرب والقتل والدمار، بسبب عقود من الحروب الدامية، استمرت مسيطرة على البلد، فوجودا في حركة طالبان الحركة الإسلامية الملتزمة، وتنادي بتعاليم الإسلام، وتدعو إلى التخلص من حالة الحرب والقتال في البلد، فبدأ الميل الشعبي لها.[194]

كما أن الحركة جاءت بمباركة أمريكية وباكستانية، وهو ما أكد عليه رئيس جهاز الاستخبارات الباكساني سابقا الجنرال (حميد جل)، بأن طالبان جاءت كنتاج زرع للولايات المتحدة وباكستان، في الأرض الأفغانية، من خلال المساعدات والمواد الإغاثية التي قُدمت

---

[192] المرجع السابق، 63- 64.

[193] المرجع السابق، 88.

[194] عبد الطالب، الغزو الأجنبي، 180.

لهذه الحركة من قبلهم، ويعود ذلك إلى أن الولايات المتحدة وباكستان لم تعودا تربان في أمراء الحرب من قوة تستطيع التعامل معها، لأنهم انتهجوا الأساليب غير الشرعية مثل المخدرات والسرقة والاغتصاب وغيره، فوجدت باكستان بطالبان القوة التي يمكن الاعتمداد عليها في أفغانستان، لعدم ترك البلد عرضة لأطراف خارجية.[195]

استطاعت طالبان الوصول إلى الحكم بشكل كامل عام 1996، عندما تم طرد حكومة ربانى نحو الشمال، وهو ما شكل سيطرة لطالبان على 90% من أفغانستان، لكن مع ذلك بقيت الحركة غير معترف بها دوليا، واستمر الاعتراف الدولي بحكومة ربانى فقط، ونتيجة للحكم والسيطرة القوية لطالبان على الأرض، ما دفع بالولايات المتحدة للإعجاب بها، لانها تمكنت من وضع البلد في استقرار، بعدما كانت في يد أمراء الحرب المتناحرين.[196]

فشكلت الحرب الأهلية في بداية التسعينيات الامتحان الذي خسرته الولايات المتحدة في سياستها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، فبحصدها نتائج الحرب عام 1989، لم تعد تشكل أفغانستان الأهمية التي كانت عليها في الثمانينيات، وتركت أصدقاءها المدربين والمنظمين كقوة عسكرية لا يمكن تجاهلها، في خضم حرب أهلية، بالإضافة إلى الدمار الذي لحق بالبلد في سني الحرب، وسعى كل منهم لتحقيق أهدافه، فأمراء الحرب كل يتطلع إلى السلطة في البلد، في مقابله المجاهدين الذين تم حشدهم من دول العالم أجمع، ولم يستطع أغلبهم العودة إلى وطنهم الأم، نتيجة للوضع السياسي الصعب في معظم الدول

---

[195] المرجع السابق، 176- 178.

[196] شفيق شقير، "الأزمة الأفغانية،" مجلة شؤون الأوسط، عدد 105 (شتاء 2002): 170- 174.

آنذاك. وحرب الخليج الثانية التي قلبت المعادلة لدى الكثير من المجاهدين، خاصة القادمين من الدول العربية.

5-1-2. حرب الخليج الثانية

صادف مع انتهاء الحرب الأفغانية أواخر الثمانينيات، أن بدأت حرب الخليج الثانية عام 1990 بغزو العراق للكويت، وهو ما دفع بالسعودية لطلب المساعدة الأمريكية. وبقبول الولايات المتحدة تقديم المساندة لدول الخليج، ووضعها قواعد عسكرية في المنطقة، أدى لتحول الموقف من قبل المجاهدين الأفغان، خاصة أسامة بن لادن وتنظيمه، من الصديق إلى العدو الأول للولايات المتحدة.[197]

جاءت أزمة الخليج الثانية (عاصفة الصحراء)، عندما قام العراق باحتلال الكويت في 2 آب/ أغسطس عام 1990، فقامت الولايات المتحدة بطلب المساعدة الدولية من قبل حلفائها في العالم، بإرسال قوات عسكرية إلى المملكة السعودية، لحمايتها من خطر العراق، بعد إقدامه على احتلال أراضي الكويت، خاصة في ظل التعاون الاقتصادي بين الولايات المتحدة والسعودية، والمصالح النفطية التي تحكم هذه العلاقة، وبالتالي كان أي اعتداء أو التلميح في ذلك للسعودية، يعتبر اعتداء على المصالح الحيوية والأمنية للولايات المتحدة.

---

[197] سعد، انتشار – انحسار، 269.

بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه السعودية كوسيط إسلامي معتدل، في التأثير على الدول العربية والإسلامية، عندما تقتضي الحاجة.[198]

كانت الولايات المتحدة المصارع الرئيس في حلبة التصدي للعراق، ففي آب/ أغسطس عام 1990 وجه وزير الدفاع الأمريكي لإدارة بوش الأب، (ريتشارد تشيني) تحذيرات قوية للحكومة العراقية، أن العواقب ستكون وخيمة عليه في حال أقدم على غزو السعودية. كما وضع الرئيس بوش مجموعة مبادئ تحكم المشاركة في حرب الخليج الثانية، وتقوم على انسحاب فوري للعراقي من الكويت وغير مشروط، وعودة الحكومة الشرعية الكويتية، لتحل محل الحكومة التي وضعها العراق، وإلتزام الإدارة الأمريكية كما في الإدارات السابقة، بأمن واستقرار الخليج، وحماية الأمريكيين في الخارج.[199]

المبادئ الأمريكية كانت تتوافق مع المطالب السعودية في الحرب، فطالبت السعودية الانسحاب العراقي بقواته من الكويت، والتزام العراق بقرارات الجامعة العربية، لحل الأمور العالقة بين الدول العربية بالطرق السلمية. كما أعلن الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية لدى الولايات المتحدة، بأن المملكة السعودية، تقدمت بطلب لإرسال قوات عربية وأجنبية إلى أراضيها، للمساعدة في مواجهة العراق، وأن القوات الأجنبية ستغادر حالما تطلب السعودية ذلك.[200]

---

[198] رافيد أحمد أمين العاني، "الدور السعودي في حرب الخليج الثانية عام 1991،" مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد 14، عدد 5 (آيار/ مايو 2007): 419.

[199] المرجع السابق.

[200] المرجع السابق، 421.

وهو الحال الذي لم يرضه أسامة بن لادن، فالسعودية لم توافق على طلبه في المشاركة بالحرب، بدل طلب المساعدة من الولايات المتحدة الدولة الأجنبية، إلا أنها أبقت على قواعد للقوات الأمريكية على أرضها،[201] وهو ما أثار حفيظة ابن لادن واتباعه، ودفعهم نحو التغيير الفعلي في سياسته على الأرض.

كانت مبررات الولايات المتحدة لتدخلها العسكري في عاصفة الصحراء، أنه جاء بناء على طلب مباشر من المملكة السعودية، بحجة أن العراق لم يلتزم بالمواثيق العربية والدولية، بما في ذلك الميثاق القومي الذي أقرته عام 1980، وعدم التزامه بالمواثيق الدولية في استخدام القوة لحل الخلافات الدولية، وعدم لتزامه بالقرار الدولي بالانسحاب الفوري من الكويت، والطلب السعودي الذي جاء كوقاية في حال قام باختراق أراضيها.[202] ووضعت الولايات المتحدة خطة للتحرك ضد العراق، من خلال:[203]

مهاجمة القيادة العسكرية– السياسية العراقية ومراكز القيادة والسيطرة، وإحراز التفوق الجوي والمحافظة عليه، وقطع خطوط الامدادات العراقية، وتدمير قوات المرافق المعروفة لإنتاج وتخزين وتداول المواد الكيميائية والبيولوجية والنووية المفترضة، وتدمير قوات الحرس الجمهوري في مسرح العمليات الكويتي، وتحرير دولة الكويت.متناسية الولايات المتحدة الدور الذي لعبته في امداد العراق ضد إيران في الثمانينيات، بالمواد البيولوجية والكيميائية في قصفه لإيران، فصديق الغد عدو اليوم، هو ما تصنعه السياسة الأمريكية المتبعة في العالم الثالث.

---

[201] حقي، أفغانستان نشأتها، 268.

[202] العاني، "الدور السعودي،" 422.

[203] المرجع السابق، 425.

وفي أقل من شهرين من الضربات الجوية التي جاءت تسمية (عاصفة الصحراء)، نسبة إلى اعتمادها على القصف الجوي؛ كان العراق قد استنفد قوته كاملة، ولم يعد بإمكانه الاستمرار في حرب لا يقوى عليها، ووضع نفسه بها، فحاول إنهاء الحرب قبل أن تشن قوات التحالف الدولية بقيادة الولايات المتحدة الهجوم البري، وعمل على استجداء عطف الاتحاد السوفيتي، لكن الأخير لم يوافق على طلب المعونة والمساعدة، وذلك يعود إلى أسباب سوفيتية أمنية لإبقاء العلاقات مع الأمريكيين ممتازة، وأخلاقية في أن العراق انتهك قيم المجتمع الدولي؛ ومع الانهاك الذي أصاب العراق في مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية، بقيت السعودية بعد الحرب تعمل على استغلال الفرص لإضعاف العراق أكثر فأكثر.[204]

خاصة أن العراق وقع في أخطاء كثيرة أثناء قيامه بالحرب، فهو إلى جانب أنه لم يجد مساندة ودعم لحربه ضد الكويت، عمل على توسيع حربه ونقاط هجمات صواريخه، التي شملت أهدافا في السعودية، والبحرين وإسرائيل، لأنه كان يعلم بتدخل هذه الدول المباشر وغير المباشر في الحرب، وهو ما استنزف قوته أكثر فأكثر، وقوات التحالف كانت تعلم المناطق الحيوية التي تستهدفها في قصفها الجوي على العراق، وهو ما دفع بالحرب أن تنتهي بسرعة كبيرة.[205]

---

[204] المرجع السابق، 426- 427.

[205] نهلة محجوب أحمد، "حرب الخليج الثانية والعلاقات العراقية. الأمريكية،" رسالة ماجستير (كانون الأول/ ديسمبر 2003): 87.

ففي قمة هلسنكي 9 أيلول/ سبتمبر 1990 التي نجحت فيها الولايات المتحدة في جر السوفييت للتدخل العسكري في الحرب، وتشديد الحصار الاقتصادي والمساعدات المختلفة ضد العراق، وكان ذلك مقابل التعهد بتقديم مساعدات اقتصادية أمريكية للسوفييت.[206]

أرادت الولايات المتحدة من مشاركتها في حرب الخليج الثانية، إظهار تفردها وهيمنها على العالم، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأن عليها تقف مسؤولية حماية أمن العالم في كل مكان، فهي صاحبة المصالح الحيوية الإسترتيجة في منطقة الخليج، التي يجب أن تبقى محمية من أي أخطار تهدد هذه المصالح لها ولحلفائها.[207]

وبحسب آفي شلايم الكاتب الإسرائيلي المعارض، فإن الولايات المتحدة أرغمت العراق للرضوخ لقرار الأمم المتحدة في الانسحاب الفوري من الكويت، وعندما حاول صدام ربط خروجه من الكويت بانسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية عام 1967، وإلتزامها بقرار الأمم المتحدة 242، رفضت الولايات المتحدة ربط قضية العراق، بالصراع العربي–الإسرائيلي.[208]

كان مما أنتجته حرب الخليج الثانية، قلب في موازين العلاقات الإقليمية الخليجية، فقد أدى إلى تحول في موقف دول التعاون الخليجي إزاء إيران، ومحاولة امتصاص نقمتها وغضبها على السعودية والكويت، عندما وقفت كل منها إلى جانب العراق في حرب الخليج الأولى

---

[206] المرجع السابق، 75.

[207] المرجع السابق، 83.

[208] بوث، عوالم متصادمة، 226.

عام 1980، عملت السعودية للبدء في علاقات دبلوماسية مع إيران في 26 آذار/ مارس 1991 عقب انتهاء الحرب.[209]

وجاء في تقرير معهد السلام الأمريكي حول علاقات العراق بدول الخليج، أن حرب الخليج عام 1990 كانت تحول في السياسة السعودية بشكل كبير، فمع أن العلاقات السعودية-الأمريكية بقيت مستمرة لعقود طويلة في القرن العشرين، إلا أن السعودية لأول مرة توافق على وجود قوة أجنبية على أرضها وبصورة مستديمة، وهو ما شكل انتقاد كبير من قبل المسلمين والعرب في الموالاة التي وصلت لها السعودية تجاه الأمريكيين، كما وضح التقرير أن الانتقاد في هذه العلاقة لم تكن من المسلمين والعرب فقط، كذلك لقيت انتقاد من قبل المجتمع الاجنبي وتحديدا الأمريكيين، الذين ينظرون إلى السعودية، بأنها أنظمة اجتماعية وملكية وسياسية مخالفة للقيم الغربية.[210]

يؤكد جيمس بيكر وزير خارجية إدارة بوش الأب أن هجوم صدام حسين على الكويت عام 1991، كان خطأ تكتيكيا في حسابه، "وفر لنا هذا الخطأ نقطة انطلاق حاسمة في صياغة شكل مواجهتنا الأزمة،" الذي شكل هدية لأدارة بوش الأب في إعطائه ميزة القدرة على التعبئة الدولية والإقليمية لمواجهة صدام، التي شكلت علامة مضيئة في تاريخ بوش الأب، الذي تحدث: "العالم بأسره مدين لهذا المجنون. فغزوه الوحشى للكويت هيأ فرصة غير متوقعة لوضع نهاية مدوية لخمسين عاما من صراع الحرب الباردة."[211]

---

[209] العاني، "الدور السعودي،" 430- 431.

[210] جوزيف مكميلان، "العراق وجيرانه المملكة العربية السعودية والعراق النفط والدين وتناحر طويل مستمر،" تقرير معهد السلام الأمريكي رقم 157 (كانون الثاني/ يناير 2006): 2.

[211] جيمس أديسون بيكر، مترجم: مجدي شرشر، مذكرات جيمس بيكر (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999)، 8- 9.

سياسة الرئيس كلينتون كانت بعد الحرب تقوم على احتواء العراق إلى جانب إيران، بحيث تبقى المنطقة هادئة قدر الإمكان، فمثلا يقوم بدعم إيران في مواجهة العراق، وقد يتعاون مع بغداد لاحتواء إيران.[212]

وبعرض الدراسة حرب الخليج الأولى في الفصل السابق، وحرب الخليج الثانية في هذا الجزء، يُظهر مدى الدور الكبير، الذي تلعبه تدخلات القوى العظمى في مجريات الحروب الدولية، ففي حرب الخليج الأولى، ونتيجة لوقوف الولايات المتحدة إلى جانب العراق في الحرب، استمرت الحرب لما يقارب العقد، وخرج العراق فيها بخسارة قليلة، مع أنها انهكته كثيرا، أما حرب الخليج الثانية، ولأن الولايات المتحدة غيرت اتجاه عدائها، من الحليف للعراق في عقد الثمانينيات، إلى العدو الرئيس في التسعينيات، كانت نتائج الحرب في غاية السوء بالنسبة للعراق، فلم يمض شهر على الحرب، حتى وجد العراق نفسه في خضم حرب دولية، قادتها الدولة العظمى، التي أمدته بالسلاح والدعم قبل سنوات قليلة.

5-1-3. قضية إقليم كشمير

أقدمت باكستان على القيام بتجارب نووية مطلع عام 1998، ردا على التجارب النووية التي قامت بها الهند، وقد وجه المجتمع الدولي تنديدا لكليهما، لكن الولايات المتحدة ذهبت إلى فرض عقوبات اقتصادية على باكستان، الحليف الإستراتيجي لها طوال السنوات السابقة، ولم

---

[212] أحمد، "حرب الخليج، 75.

تهتم كثيرا بتجارب الهند النووية، مما أدى إلى حدوث أزمة كبيرة في باكستان، بسبب اعتمادها بشكل كبير على المساعدات الخارجية الامريكية.[213]

شكل نهاية غزو أفغانستان عام 1989، مسارا سياسيا، وعسكريا، وأيديولوجا جديدا في قضية كشمير، الذي دفع بمزيد من العداء بين باكستان والهند، خاصة، مع انتشار ظاهرة الإرهاب والتطرف في كشمير، ودول العالم فترة التسعينيات،

فقد أخذت الكوادر المدربة من قوات المجاهدين من باكستان، بعد انتهاء دورهم في أفغانستان، بالنظر شرقا نحو الهند. ولذا بدأت سياسة مزعومة، باستخدام محاربين بالوكالة في كشمير. وأصبحت كشمير، مظلة الدين والجهاد، كأفغانستان جديدة، وبدأت الأرض التي تحتلها الهند، تشهد قلاقل لم تعرفها من ذي قبل. وقد أدى هذا إلى بروز ظاهرة المجموعات المتطرفة في باكستان، وهي قضية ظلت عقبة في وجه تحسين العلاقات الهندية الباكسانية. [214]

ظلت الاضطرابات مستمرة في كشمير، مع تزمت الهند وباكستان بالأحقية التاريخية لكل منهما في كشمير، فالهند تراه قضية داخلية لها، وأن أي اضطرابات فيه تسندها إلى باكستان، فيما تنظر الأخيرة، للأمم المتحدة لتحل مشكلة الإقليم، وتقديم حلولها المنطقية التي تراها لدى هيئة الأمم، وقد ظلت فترة التسعينيات ذات صراع قليل لدى الهند والباكستان حول الإقليم، لكن مع الأزمة النووية عام 1998، بدأت حقبة التهديد النووي من قبل الطرفين،

---

[213] سجاد أشرف، العلاقات الهندية الباكستانية الأسس المشتركة ونقاط الخلاف، 147 سلسلة محاضرات الإمارات (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012)، 5.

[214] المرجع السابق، 13- 14.

خاصة في ظل الضغط الشعبي لباكستان، بضرورة الرد على التجارب النووية الهندية في ذلك الوقت.[215]

رغم محاولة حل أزمة الإقليم، بشكل دائم إلا أنها كانت تفشل، كما في قمة أجرا عام 2001، التي لم تخرج بشيء، وحمّل كل طرف اللوم على الطرف الآخر. وبهجمات 11 أيلول/ سبتمبر التي كان لها الأثر الكبير للتغير في سياسة البلدين، توحدت البلدان إزاء الحرب على الإرهاب، التي قادتها الولايات المتحدة، وذهبتا في عملية سلام جديدة بينهما. وفي عام 2004 عادت البلدان من جديد إلى سياسة الردع النووي فيما بينها، لكن الوضع الدولي العام دفع بهما للرضوخ لمحادثات سلام أكثر جدية وقوة، ولا تقوم فقط على قضية كشمير، وإنما على جميع المواضيع العالقة بين البلدين.[216]

وبدأت قضية إقليم كشمير عام 1947، بعد استقلال باكستان عن الهند، ومع انتهاء الحرب الباردة بفوز المعسكر الغربي كان لا بد من وجود حل وتسوية سلمية لقضية كشمير، تتماشى والقانون الدولي، وقرارات هيئة الأمم المتحدة، لكن الولايات المتحدة وبحكم وجود علاقات وثيقة تربطها بين الهند وباكستان، منع قيام حل لهذه القضية يقوم على القوة، خاصة أن الولايات المتحدة ترى بالهند الحليف الأهم، في ظل انتشار التطرف الإسلامي الأصولي بعد زوال الشيوعية في عقد التسعينيات، فالهند تستطيع الوقوف ضد هذه

---

[215] المرجع السابق، 15.

[216] المرجع السابق، 21.

التنظيمات،[217] في ظل تقارب سياسة باكستان مع هذه التنظيمات، والتي عملت على دعمها عندما تخلت عنها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة.

ومن بعض ما ترى الولايات المتحدة في حل قضية كشمير، وهو تخلي الهند عن برنامجها النووي أمام المجتمع الدولي، وإمكانية استخدام العقوبات ضدها إذا اقتضت الحاجة –على الرغم من العلاقات المتينة بينهما–، وتدعم أيضا حل وسط يقوم على إعطاء الإقليم استقلاله عن الهند وباكستان، وهو ما تدعو لها (جبهة تحرير جاموا وكشمير)، فيما ترفض ذلك القوى الإسلامية وتعتبرها حركة علمانية، وترى بأحقية باكستان في الإقليم للأغلبية الإسلامية فيه، فقد تحدث نائب وزير الخارجية لشؤون جنوب آسيا الأمريكي في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1993، قوله: "في الوقت الذي ينبغي أن تتحدث فيه الهند وباكستان، وبشكل جدي حول مشكلة كشمير، فإن أي حل قابل للبقاء ولأي مغزى ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار ما الذي يريده الشعب الكشميري لمستقبله السياسي؟."[218]

وتعود هذه السياسة الأمريكية فيما يخص القضية الكشميرية، إلى أن الولايات المتحدة ذهبت في مرحلة التسعينيات، إلى التوسع في السياسة الاقتصادية الحرة، وغض الطرف عن قضايا حقوق الإنسان إن أمكن، وكانت ترى في الهند إمكانية التطور الاقتصادي في منطقة شرق آسيا، التي يمكن أن تكون القوى المواجهة للتصاعد الصيني الاقتصادي الكبير، وإمكانية التنسيق معها فيما يخص جهود مواجهة الإرهاب العالمي.

---

[217] فلة عربي عودة، "قضية كشمير بين المواقف الإقليمية والتأثيرات الداخلية،" رسالة ماجستير (2011): 91– 92.

[218] المرجع السابق، 95.

أما الهند فكانت ترى بالتقارب مع السياسة الأمريكية عزل باكستان دوليا، والحصول على مكاسب اقتصادية في السوق الأمريكية، وهذا التقارب يعني الموافقة على الملف النووي الهندي، وبالتالي تصبح القوة النووية الوحيدة في المنطقة، وعزز هذه الأهداف زيارة الرئيس كلينتون عام 2000 للهند، الذي أكد أمام البرلمان الهندي بأن الولايات المتحدة والهند، حليفان طبيعيان، ويشارك قلقها بشأن التطورات في باكستان، ولا تريد الولايات المتحدة رعاية السلام بين البلدين.[219]

بقدوم المحافظين الجدد للسلطة عام 2001 برئاسة بوش الابن، وقيام أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، أصبح هناك تحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه قضية كشمير، فاصبحت المقاومة في كشمير، ضمن الحملة التي قادتها أمريكا في (الحرب على الإرهاب)، فأعلنت عن 27 جمعية إسلامية في كشمير ضمن الحركات المطلوبة للولايات المتحدة، ويعود ذلك لصلاتها بابن لادن، مثل (حركة المجاهدين الكشميرية)، التي يتزعمها الشيخ فضل الرحمان خليل، لتوقيعه على بيان ابن لادن الذي أطلقه عام 1998، تحت عنوان (إعلان الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين)، ولكي تظهر باكستان ضمن حملة الحرب على الإرهاب الأمريكية، قامت بتجميد حسابات الشيخ خليل. وقد صرح كولن باول وزير خارجية بوش قوله: "الولايات المتحدة تتعهد بمحاربة كل أنواع الإرهاب بما في ذلك الذي يستهدف الهند... وأن الولايات المتحدة والهند متحدتان في إستراتيجية محاربة الإرهاب الموجه إلى الهند،" كما

---

[219] المرجع السابق.

وقعت الهند اتفاقية مكافحة الإرهاب مع الولايات المتحدة، بهدف تبادل المساعدات وتقوية التحالف بينهما.[220]

بعد انتصار التنظيمات الجهادية الأفغانية ضد السوفييت عام 1989، ومع بروز قضية إقليم كشمير، التي بقيت ميتة منذ استقلال باكستان عن الهند عام 1971، وحتى عام 1988، وجدت باكستان في نموذج حرب أفغانستان، إمكانية تطبيقه في الحرب الدائرة على إقليم كشمير، وذلك من خلال الجمع بين حرب العصابات، والدوافع الدينية، والسلاح الحديث، ومحاولة الاستفادة منه، وجر قدم المجاهدين الأفغان الذين كانوا يبحثون عن الجهاد في أي مكان، بسبب الجهاد الأفغاني الراسخ في أذهانهم، كون المجاهدين يسيرون من منطلق ديني أكثر منه انتماء وطني.

استغلال باكستان إستراتيجية حرب الثمانينيات في كشمير

عملت المخابرات المركزية على صناعة الرابط بين الإسلام والإرهاب في آسيا الوسطى، وتطوير الإسلام الراديكالي المتطرف، "وقد تشاركت المجموعة التي دربتها ودعمتها في احتضان أمور ثلاثة: تكتيكات الإرهاب، الحرب المقدسة، خلفية مختلطة أو متنوعة."[221]

ونتج عن حرب أفغانستان عام 1989 أن تناثر عشرات الآلاف من المجاهدين المدربين في الحرب الأفغانية، وكانوا من دول ومناطق مختلف، أمثال المصريين، والفلبيين، والبريطانيين، والسعوديين وغيرهم، الأمر الذي دفعهم للتوجه للحلم الأكبر لهم، في جهاد

---

[220] المرجع السابق، 97.

[221] الممداني، المسلم الصالح، 226.

عالمي واسع ومنتشر في مختلف دول العالم.[222] وكانت البداية في الدعوة الباكستانية إلى حرب بالوكالة ضد الهند في إقليم كشمير من خلال استغلال التنظيمات الجهادية، بنفس الإستراتيجية التي استغلتها الولايات المتحدة في الثمانينيات.

ترى باكستان في الأصوليين الإسلاميين، عاملا مساعدا لها في حربها مع الهند حول إقليم كشمير، فبموت الرئيس الباكستاني ضياء الحق الذي أمد المجاهدين الأفغان بالدعم الواسع، حتى بعد انتهاء حرب أفغانستان، كان توجه باكستاني بإمكانية استغلال هذه التنظيمات في حرب بالوكالة لها، وهو ما دفع بنازير بوتو العلمانية أيضا إلى أن تدعم بشكل خفي هذه التنظيمات، المتشكلة أصلا على الحدود الباكستانية– الأفغانية في مرحلة الثمانينيات، فقامت بدعم طالبان الخارجة من رحم التنظيمات الجهادية القديمة زمن السوفييت، التي رأت فيها فرصة لتشكيل حكومة أفغانية مستقرة تؤيد باكستان، خاصة أن طالبان تتكون من البشتون ذات الأغلبية في أفغانستان، التي تفضلها باكستان على القبليات الأخرى، وعملت باكستان لإيجاد نوع من الترابط بين المقاومين في كشمير، والمجاهدين الذين شاركوا في حرب أفغانستان، لدفعهم للمشاركة في حرب كشمير ضد الهند، [223] وكان العامل الذي استغلته باكستان، عامل الدين الإسلامي، الذي تشترك فيه هذه التنظيمات الجهادية، بحركة المقاومة الإسلامية في كشمير.

---

[222] المرجع السابق، 218.

[223] نوفوستي، الحقيقة عن، 65.

5-2. السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية في التسعينيات

واجه كل من الرئيس كارتر وريغان، في عقد أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات خيارات صعبة، حول إمكانية تجنيد مجموعات الإسلام السياسي، وما سيترتب على ذلك، خاصة في ظل التجربة الإيرانية، التي كانت ضمن السياسة الفاشلة للولايات المتحدة بعد سقوط نظام الشاه فيها، ومع مزاحمة السوفييت لهم أثناء الحرب الباردة، وتوجه المد الشيوعي لأفغانستان، كان الخيار بأهمية استغلال هذه الجماعات، ضد توجهات السوفييت التوسعية.[224]

وقد شكلت سياسة الولايات المتحدة، إزاء التنظيمات الجهادية في عقد التسعينيات، وبداية الألفية الثالثة، السياسة الخارجية لكل من إدارة الرئيس كلينتون وبوش الابن، أما بالنسبة لإدارة الرئيس بوش الأب، فلم يكن هناك توجه يذكر في سياسته إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في إدارته، سوى الإهمال العام، والتركيز على تشكيلة النظام العالمي الجديد، وبسبب قصر مدة رئاسته، فلم يكترث في أفغانستان، وبالكاد كان يتم ذكر الحرب الأهلية الدائرة فيها من قبل وكالة المخابرات المركزية، فمع تفكك الاتحاد السوفيتي، وسقوط جدار برلين وتوحد ألمانيا، كان من النادر ما يوضع اسم أفغانستان في نهاية سلم سياسته الخارجية.[225] وبالتالي فستركز الدراسة على إدارة كل من الرئيس كلينتون، والرئيس بوش الإبن، مع الحديث عن التدخل الأمريكي في حرب الخليج الثانية في ظل إدارة الرئيس بوش الأب.

---

[224] غصن، أمريكا والإسلام، 80.

[225] كول، حروب الأشباح، 320.

5-2-1. التدخل الأمريكي في حرب الخليج الثانية

في بداية التسعينيات طلبت المملكة السعودية من الولايات المتحدة الأمريكة، الدخول إلى جانبها في حرب الخليج الثانية ضد العراق؛ فعلى الرغم من أن نموذج الأصولية الإسلامية السعودية أشد وأقوى من النموذج الإيراني، إلا أن النموذج السعودي، كان وما يزال يتناسب والسياسة الأمريكية، بخلاف نموذج إيران الثوري، الذي جاء أصلا ضمن سياسة المعاداة للولايات المتحدة. كانت بداية التطرف لابن لادن عندما أعلن زعيم علماء الوهابيين عبد العزيز ابن باز تأيده لقدوم الجيوش الأمريكية إلى الممكلة السعودية في أعقاب حرب الخليج الثانية، [226]

> فابن لادن لم يكن معاديا للنظام السعودي ولا للولايات المتحدة الأمريكية، فقد حاربوا جنبا إلى جنب ضد الاتحاد السوفيتي في أفغنستان، وكان ابن لادن مقربا من الأسرة الحاكمة السعودية، لكن دخول الجيش الأمريكي الأراضي السعودية وبشكل دائم، اعتبره انتهاكا لحرمة وقداسة أرض الحرمين، من قبل الأمريكيين.[227]

وبحسب الكاتب فواز جرجس، فلا يوجد دليل أو إشارة كما يزعم البعض بمواقف لابن لادن معادية للأمريكان قبل عام 1990 التي جاءت بحرب الخليج، فقبل ذلك بأعوام قليلة كان ابن لادن، والمخابرات المركزية في خط واحد أثناء الحرب الأفغانية، وكان يتلقى تعليماته من جهاز المخابرات السعودي، المتصلة بوكالة المخابرات المركزية إلى جانب مخابرات

---

[226] نوفوستي، الحقيقة عن، 74.

[227] المرجع السابق، 84- 85.

باكستان، بالدعم والتدريب العسكري، فتوافقت الأهداف في القضاء على الاتحاد السوفيتي الملحد، الذي يعتبر مناقضا للدين المسيحي والإسلامي.[228]

ووضح أنه قبل حرب الخليج الثانية لا يوجد أي عمل، أو تصريح عدائي من قبل ابن لادن ضد الولايات المتحدة، فعاد عام 1989 إلى السعودية لمواصلة عمله في شركته، وحاول المشاركة في الحرب الدائرة جنوب اليمن ضد الماركسية الشيوعية، وشجع ابن لادن المقاطعة على المنتجات الأمريكية لأنها تدعم الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، لكن ذلك لا يمكن أن يعتبر عملا عدائيا بمعنى الكلمة، ضد الرأسمالية الأمريكية.[229]

فحرب الخليجة الثانية كانت نقطة التحول لدى ابن لادن إزاء الولايات المتحدة، نتيجة لدخول الأمريكيين الحرب، إضافة إلى الوجود العسكري الأمريكي الثابت في أرض المملكة السعودية موطن ابن لادن، فقد اعتبر ذلك أداة للولايات المتحدة للسيطرة الاستعمارية على بلاد الإسلام من قبل الغرب، ونهب خياراته وموارده النفطية، فقد ألقى باللوم على القادة السعوديين لتجاهلهم اقتراحاته، في تعبئة الجهاديين الذين قاتلوا في حرب أفغانستان للقتال ضد العراق.[230]

فعندما رفضت الحكومة السعودية اقتراحات ابن لادن، غادر السعودية متوجها إلى الموطن الذي احتضنه سنوات طوال فترة الثمانينيات، فوصل بيشاور منطقة الحدود الأفغانية-الباكستانية عام 1992، ونتيجة للحرب الأهلية الأفغانية الدامية قرر الذهاب إلى السودان في نفس العام، الذي ساعده بذلك نظام حسن الترابي الإسلامي، وبقي فيها أربع سنوات،

---

[228] جرجس، القاعدة الصعود، 58- 59.

[229] المرجع السابق، 59- 60.

[230] المرجع السابق.

وكانت السودان نقطة الإلتقاء الحقيقية بينه وبين الظواهري، في تكوين تنظيم القاعدة، من خلال تجميع أفراد الجماعة الإسلامية التابعة للظواهري، مع مجموعة المجاهدين الذين كانوا تحت ظل ابن لادن.[231]

وضع الغرب في مرحلة ما بعد 11 أيلول سبتمبر اللوم على المملكة السعودية، في انتشار التطرف والإرهاب الإسلامي الأصولي، من خلال قيامها بنشر القيم الوهابية المتشددة، وسياستها الاستبدادية، التي تمارسها ضمن مساندة أمريكية، بالإضافة إلى أنظمة أخرى في الشرق الأوسط.[232] فإدارة الرئيس بوش الأب لم تنظر للخطر الإسلامي المتطرف بعد حرب الخليج الثانية، فالوضع الدولي والهيمنة، وخطة القرن الجديد، والنظام العالمي، كلها أهداف رئيسية في السياسة الخارجية لديه.

وقد تميزت مرحلة الرئيس بوش الأب بخروج بعض الأراء والأفكار السياسية، لبعض الكتّاب الأمريكيين، حول مصير عالم ما بعد الحرب العالمية، وهي التي شكلت السياسة الأمريكية في تلك المرحلة، التي لا ترى في الثقافات الإ الحداثة الأمريكية، مثل نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، ونظرية صدام الحضارات لهنتنغتون، حيث شكلت الأخيرة المسار الذي استغله بعض المثقفين في تفسير التغيرات التي واجهتها الولايات المتحدة، من قبل بعض التنظيمات الجهادية الأفغانية في مرحلة التسعينيات.

شكلت أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات بداية جديدة لطبيعة العلاقات الدولية، التي تمخضت عنها انتهاء الحرب الباردة، وبروز نظام أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة،

---

[231] المرجع السابق، 62.

[232] بوث، عوالم متصادمة، 46- 47.

وبخروج السوفييت من أفغانستان، وتفكك منظومته لاحقا، الامر الذي دفع بالولايات المتحدة، للتغيير في سياستها الدولية التي كانت قائمة على الاحتواء للشيوعية والردع النووي، وهو ما شكل فراغا سياسيا وايديولوجيا للمستقبل القريب، الذي دفع بالرئيس بوش الأب لإعلان رؤيته حول(نظام عالمي جديد)، وخطة للقرن الجديد قوامها الهيمنة الأمريكية على العالم، وهي التي خرج بها فرانسيس فوكوياما في نظريته نهاية التاريخ.[233]

نظرية فوكوياما نهاية التاريخ –التي تراجع عنها لاحقا– تقوم على أن النظام العالمي الجديد الذي أعلن عنه الرئيس بوش الأب، بالأحادية القطبية سوف تشكل نظام عالم ما بعد الحرب الباردة، وبالتالي فنهاية القرن العشرين كان أمريكيا وسيكون أمريكيا كذلك في القرن الحادي والعشرين، خاصة أن العالم تربع عليه القوى اللبيرالية والديمقراطية الأمريكية، ولا توجد قوة موازية ومنافسة لها، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ولن يكون بعد ذلك قوة يمكن أن تجاري الولايات المتحدة.[234]

ولتخوف الولايات المتحدة من انهيار فكرتها المتمثلة في نهاية التاريخ، خاصة أن رياح التغير قادمة لا محالة، كما يخبرنا التاريخ الخاص بالإمبراطويات السابقة، وهجمات عام 2001 التي كانت المحطم الأول لهذه الفكرة، هو ما دفعها لتثبيت نفسها في مراكز القوة الاقتصادية، المتمثلة بالطاقة خاصة في بحر قزوين، والخليج العربي، وغيرها.[235] وفوكوياما بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، عاد وتراجع عن نظريته هذه، لأنه لاحظة مدى مخزون

---

[233] مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي: الحركات الجهادية– حالة دراسة (1990– 2007) (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010)، 201.

[234] أحمد،"ماذا يبقى،" 9.

[235] هيثم الكيلاني، .. من أفغانستان إلى فلسطين،" مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 21 (خريف 2002): 2– 3.

الكره الذي تواجهه سياسات الولايات المتحدة حول العالم، وهذا الكره العالمي، لن يسمح لها ولأفكرها وحداثتها، أن تبقى مسيطرا طويلا على العالم في المستقبل البعيد.

وطرح صموئيل هنتنغتون نظريته (صدام الحضارات) في مرحلة أوائل التسعينيات، بعد افرازات الحرب الباردة، بالقطبية الأحادية للولايات المتحدة على العالم، التي كانت متوافقة مع رؤية فرانسيس فوكوياما في (نهاية التاريخ)، فالمقاومة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة لن تكون عسكرية أو اقتصادية أو جيوستراتيجية، بل ستكون حضارية بامتياز، فالجماعات الثقافية، سوف تحل محل كتل الحرب الباردة، وخطوط السياسية الدولية. فأكد هنتنغتون، أن الإسلام هو قوام القوة الظلامية في العالم، بسبب توجه المسلمين نحو التطرف والعنف، والصراع بين الغرب والإسلام حتميا؛ وأصبح فيما بعد جوهر أطروحات المحافظين الجدد، الذين سيطروا على الحكم في الولايات المتحدة في عهد إدارة بوش.[236]

جادل هنتنغتون بأن الصراعات القادمة في عالم ما بعد الحرب الباردة، ستتجه نحو النزاعات الثقافية التي سترهق العالم مستقبلا، مع نفي الإدارة الأمريكية وجود فكرة الصراع بين الغرب والإسلام.[237]

لم يكن هنتنغتون الوحيد الذي أطر لموضوع صدام الحضارات بين الغرب والإسلام، فقد اصطلح على ذلك المؤرخ في جامعة (برنستون) برنارد لويس قبل ذلك، وقد دعته إدارة الرئيس بوش الابن للعمل مستشارا للحكومة الأمريكية في قضايا الشرق الأوسط، وقد أعرب لويس عن ضرورة التعامل بقسوة مع المسلمين والعرب، فوفقا لوجهة نظره يوجد غرب متقدم

---

[236] الممداني، المسلم الصالح، 201– 202.

[237] شوير، عوالم متصادمة، 40.

إنساني من ناحية، وإسلام يشمل الدين والقانون والحضارة والجغرافيا والتاريخ من ناحية ثانية، ويرى أن المسلمين عبر الزمن لم يتغيروا، وسلوك الفلسطينيين عام 2002 في التوجه نحو الشر، هو نفسه للمسلمين القدامى.[238]

في مقابل ذلك، وكما جاء به أحمد عبدالله النعيم، أستاذ القانون الدولي في جامعة إموري بالولايات المتحدة، أن 11 أيلول/ سبتمبر، جاءت لتثبت خطأ فرضية هنتنغتون حول صدام الحضارات، فالهجمات كانت نتيجة لمظالم سياسية، وأمنية، وأخرى تتعلق بحقوق الإنسان في تصرفات السياسة الأمريكية، وليس بسبب عداء إسلامي عام وغير عقلاني، ضد ما يسمى الحضارة الغربية، والدليل على ذلك، أنه لا يوجد صراعات حضارية في المواقف الحقيقية للدول الإسلامية، فيما يخص هذه الهجمات، فلا توجد دولة إسلامية لم تدعم أو رفضت الرد العسكري، الذي قادته الولايات المتحدة ضد هذه التنظيمات، فالدول الإسلامية ذهبت باتجاه مصالحها الأمنية والاقتصادية والسياسية في مواقفها، ولم تذهب لدعم التنظيم الإسلامي المتهم، ولم يكن مثبتا قيامه بهذه الهجمات بعد.[239]

ومما توجه نحو سقوط نظرية صدام الحضارات، أستاذ العلاقات الدولية في الجامعة الأمريكية في واشنطن أميتاف أشاريا، بأن ردود فعل الدول الإسلامية جاءت عكس ذلك، وكانت من أوائل من دعم العمل العسكري الأمريكي ضد تنظيم القاعدة وطالبان، فكانت

---

[238] نوفوستي، الحقيقة عن، 32.

[239] بوث، عوالم متصادمة، 215.

باكستان والهند أول من قدم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة، والحكومة الأفغانية وباكستان اعتبرتا الحلقة اللوجستية لتحقيق النصر على طالبان والقاعدة.[240]

ووضح أيضا، أن ردود فعل الدول الإسلامية، كان من منطلق ردود فعل دول، وليس من منطلق حضاري؛ كما أن تحقيق فرضية هنتنغتون توجب وجود تجانس بين الحكومات الإسلامية، والتنظيمات الإسلامية المتشددة، لكن في الكثير من الأحيان، تعتبر التنظيمات في صراع مع حكوماتهم، التي تقع في ظلها، فمثلا الجماعات المقاتلة في ماليزيا تنشد دولة إسلامية، وإسقاط نظام الحكم القائم، الذي يعني صداما داخل الحضارة نفسها.[241] وردود فعل من قام في هجمات عام 2001 كانت من منطلق كره الحكومة الأمريكية فقط، خاصة أنه كان ضمن أهدافهم، دول إسلامية مثل السعودية والإمارات وغيرها.[242]

ما يطرح في موضوع صدام الحضارات، فيما يخص السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية، أن المجاهدين الذين دربتهم الولايات المتحدة في الحدود الباكستانية– الأفغانية، تمكنوا من هزيمة الشيوعية الملحدة في موسكو وأفغانستان، فيما الولايات المتحدة غادرت بفرحة الانتصار، وكان للمجهادين أجندة أوسع مدى عن حدود الشيوعية، فمن حيث الجوهر كانوا مناوئين للغرب والحدثة في جزء منهم، وكان انتصارهم ضد قوى عظمى متمثلة بالاتحاد السوفيتي، وتزايد التبعية العربية والإسلامية للولايات المتحدة، وفي ظل الدعم الذي قدمه الأمريكان لهم بمساندة من السعودية وباكستان، مع سياسات أمريكية مستفزة حول العالم الإسلامي، أدى إلى إيجاد بنية تحتية لتكوين تنظيمات إسلامية متطرفة، في مناطق واسعة

---

[240] المرجع السابق، 252.

[241] المرجع السابق، 254.

[242] المرجع السابق، 256.

من حول العالم، وإيجاد ملاذ آمن لهم في منطقة الحدود الباكستانية– الأفغانية، لا تخضع لأي قانون.[243] وهي السياسة نفسها لإدارة كلينتون في مرحلة التسعينيات، فوجدت في حركة طالبان الهدف المناسب لهم، بعد فشل أمراء الحرب في وضع البلد بحالة من الاستقرار، من أجل تحقيق بعض من الأهداف الاقتصادية التي كانت تسعى لها الولايات المتحدة.

5-2-2. إدارة كلينتون

يتحدث الكاتب الأمريكي بول روجرز، على لسان جيمس وولسى، أول رئيس لوكالة المخابرات المركزية في عهد كلينتون، حول التحدي الأمني الأمريكي لفترة ما بعد الحرب الباردة، بقوله:

> الولايات المتحدة الأمريكية قد أزالت (التهديد السوفيتي)، والآن أمامنا الدولتان المنافستان، روسيا والصين، على الأقل في المدى البعيد، ومنطقتان في حالة دائمة من عدم الاستقرار، وهما شمال شرق آسيا، والشرق الأوسط، وتتصف الأخيرة بأهمية خاصة لتمركز النفط فيها، أما التهديدات الأقل وضوحا، فهي الإرهاب والاضطرابات التي مصدرها، الدول المارقة أو الدول الفاشلة، خاصة عندما يؤثر كل ذلك على مصالح الولايات المتحدة.[244]

فالولايات المتحدة تعمل على تحديد أعدائها باستمرار، ويجب أن يكون هؤلاء الأعداء مكشوفون للعالم أجمع، لأنهم أعداء للعالم أيضا، فهي تحدد الدول متى تكون مارقة، أو

---

[243] المرجع السابق، 268.

[244] غصن، أمريكا والإسلام، 285.

محور شر، أو إرهابية، ومتى لا تكون، وفقا لتماشي ذلك مع المصلحة الأمريكية، كما أكد وولسى في حديثه السابق.

ففي فترة إدارة الرئيس كلينتون، تراجع الانفاق العسكري الأمريكي عما كان عليه من قبل، فقد قلص عدد الأفراد في الجيش والبحرية وسلاح الجو بنسبة 30%، في الوقت الذي حولت فيه توجيه هذه القوات نحو الانتشار السريع، ونشر القوات في أماكن بعيدة، ومكافحة حالات التمرد والعمليات الخاصة، أما قوات المارينز البحرية فقد حافظت على قوتها، ومع كل ذلك بقيت الولايات المتحدة القوة العسكرية الأولى عالميا.[245] فإدارة كلينتون ذهبت في سياستها نحو الاهتمام بالقيم الاقتصادية والهيمنة العالمية، ولم تحاول النظر في التهديدات المحتملة، التي قد بدأها ابن لادن ضدها، بعد تدخلها في حرب الخليج الثانية أثناء إدارة بوش الأب.

فالتحذيرات التي أطلقها ابن لادن وتهديداته في منتصف التسعينيات أواخره لأمريكا، لم تأخذ على محمل الجد، واعتبرت تهديدات عادية، خاصة أن وزارة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة كانت مهتمة بالمواضيع الإقليمية والدولية، ذات الأهمية الشمولية، التخصيب النووي الهندي والباكستاني، وبروز القومية الهندوسية، وفساد الحكومة الباكستانية، أما ابن لادن وتهديداته فكان يعتبر ثانويا في المحادثات الدبلوماسية الأمريكية.[246]

فكانت مثلا إدارة كلينتون متخوفة من شن حرب شاملة على ابن لادن، بعد أحداث إفريقيا عام 1998، خاصة أن الكونغرس والشعب الأمريكي لن يوافقا على ذلك، فكانت سياسته تقوم على (العصا والجزرة) إزاء طالبان، بحيث تقوم على تهديدها بتخليها عن ابن لادن،

---

[245] المرجع السابق، 286.

[246] كول، حروب الأشباح، 549.

وقصف محدود لأفغانستان في نفس العام، والذي تبعها قصف لمصنع أدوية في السودان، بحيث ينظر الى طالبان كالنموذج السعودي الإسلامي المعتدل.[247]

وقد اتهمت باكستان الولايات المتحدة بالتوجه التطرفي والإرهابي في أفغانستان، الذي عرضه السفير الباكستاني إلى واشنطن (رياض خوخر)، في حديثه عن تنظيم القاعدة، بقوله: "تركتمونا مع الطفل. في هذه اللعبة علينا الاهتمام بمصالحنا الخاصة."[248]

وضمن سياسة الاهمال في إدارة الرئيس كلينتون إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، ذهبت إدارة كلينتون والكونغرس بالاقتطاع من ميزانية وكالة المخابرات المركزية، بحثا عن حصة في عملية السلام العالمية، كما أنه لم يعط اي التفات للمسائل الاستخباراتية، وقد شعر جيمس وولسي أول رئيس لوكالة المخابرات المركزية، شعورا بالعزلة الشديدة عن الرئيس وسائر أفراد إدارته، ولم يُمض سنوات قليلة في منصبه في ظل إدارة كلينتون؛ فكانت التقارير الاستخباراتية تعرض على الرئيس، أشبه ما تكون بالتقارير الإخبارية التي يتم عرضها على شاشة التلفاز.[249]

كان تنظيم القاعدة في فترة إدارة الرئيس كلينتون، مسئولا عن الهجمات التي قادها ضد الولايات المتحدة، بعد حرب الخليج الثانية، مثل الهجوم الأول على مركز التجارة العالمية عام 1993، وتفجيرات السفارتين الأمريكيتيين في تنزانيا وكينيا بإفريقيا عام 1998، كذلك الهجوم على المدمرة الأمريكية (كول) عام 2000 في اليمن.[250]

---

[247] المرجع السابق، 581.

[248] المرجع السابق، 587.

[249] جيس ريزن، حالة حرب التاريخ السرّي للسي آيه إيه وإدارة جورج بوش (بيروت: دار الكتاب العربي، 2006)، 13- 15.

[250] بوث، عوالم متصادمة، 77.

لقد تميزت إدارة الرئيس كلينتون بالإهمال النسبي فيما يخص توجهات السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، لكن بالنسبة لطالبان كان الأمر يختلف. فمع الأحادية القطبية والانفتاح على السوق العالمية الاقتصادية، التي ركز عليها الرئيس بوش الأب، كانت هذه تطلعات السياسة الخارجية الأمريكية في ظل إدارة كلينتون كذلك، ومن المنطلق الاقتصادي كانت العلاقة تربط ادارته بطالبان.

وبحسب (بوث وديون)، فقد بدأت وكالة المخابرات المركزية، بالاهتمام بتنظيم القاعدة عام 1996، بسبب وصول معلومات استخباراتية تفيد، بضلوع ابن لادن وتنظيم القاعدة، في تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993، ففي أوائل عام 1996، وصفت وزارة الخارجية الأمريكية ابن لادن: "أبرز من يوفر الرعاية المالية للنشاطات الإرهابية الإسلامية في العالم اليوم... وتهديد جدي للأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية."[251] كما أن شبكته كانت مسئولة عن تفجير قاعدة سلاح الجو الأمريكي في أبراج الخبير بمدينة الظهران، في المملكة السعودية في 25 حزيران/ يونيو 1996، التي قتل فيها 19 عسكريا أمريكيا، وبعد ذلك بشهرين، أصدر ابن لادن فتواه التي أكد فيها الحرب على الولايات المتحدة.[252]

ومع تفجيرات إفريقيا في 7 آب/ أغسطس عام 1998، التي وضعت المخابرات المركزية والسياسة الخارجية في وضع حرج، استهدف فيها سفارتي الولايات المتحدة في كل من نيروبي في كينيا، التي اعتبرهما ابن لادن أكبر مجمع اسخباراتي أمريكي في شرق إفريقيا، وتفجيرات دار السلام في تنزانيا، التي قتل فيها 224، وجرح ما يزيد عن 4000 شخص،

---

[251] المرجع السابق، 82.

[252] المرجع السابق، 83.

وهي التفجيرات التي وضعته ضمن العشرة أسماء المطلوبة على قائمة مكتب التحقيقات الفدرالية في 7 حزيران/ يونيو 1999. وحاولت المخابرات المركزية الوصول إلى بعض الشخصيات المقربة لابن لادن عام 1996، ونجحت في الوصول لمعلومات عن البناء الهيكلي لتنظيم القاعدة، ونشاطاته ما بين عام 1999– 2000، لكنها لم تستطع اختراقه بعد ذلك.[253]

في آيار/ مايو عام 1996 علمت المخابرات المركزية الأمريكية، بأن هناك مجموعة من المتطرفين الإسلاميين المقربين لأسامة بن لادن، قد أسسوا قاعدة لهم في نيروبي بكينيا، كما استطاعوا الكشف عن وسائل الاتصال بين هذه المجموعة وابن لادن، وبقيت المراقبة الاسخباراتية حتى وقوع هجمات عام 1998، لكنهم لم يستطيعوا التوصل لإمكانية حدوث تفجيرات كبيرة في منطقة أفريقيا. فكان الرد الأمريكي على ذلك بقصف مواقع ابن لادن على الحدود الباكستانية– الأفغانية القديمة، في آب أغسطس من نفس العام. [254]

كما تم قصف مصنع للأدوية في السودان، كان يزود البلد بالدواء، بحجة أنه يصنع مواد كيميائية حربية هناك لابن لادن، مع أن رجال من وزارة الخارجية الأمريكية في السودان قد زاروا المصنع، ولم يجدوا ما كانت تدعيه الولايات المتحدة هناك، وكان بإمكان الولايات المتحدة بحسب ما ساقه الكاتب (أندرياس فون بولوف)، أن تقوم بعقد صفقة مع السودان، مفادها إزالته عن قائمة الإرهاب الدولي، في حال قامت بتسليم ابن لادن لهم بطريقة سلمية،

---

[253] المرجع السابق.

[254] المرجع السابق، 84.

لكن الإدارة الأمريكية لم ترد تسلم ابن لادن.[255] هذه التفجيرات أظهرت شكل الإهمال الذي كانت عليه السياسة الخارجية الأمريكية لإدارة كلينتون، لتنظيم من التنظيمات الجهادية الأفغانية وهو القاعدة، فمع وقوع الهجمات لم يعط دافعا للمسئوليين، في ظل المعلومات الاستخباراتية، لوضع مزيد من التركيز في موضوع تنظيم القاعدة، الذي يقابله بالأهمية مواضيع الاقتصاد وفتح الاسواق التي سيطرت على إدارته، التي كانت ضمن سياسة إدارته حركة طالبان.

العلاقة الوطيدة التي تربط بين الادارة الأمريكية والسعودية بسبب العامل البترولي، وبحسب بولوف كانت إدارة كلينتون تمنع التعاطي مع قضية ابن لادن والإرهاب الدولي، كما حدث مع رئيس مكافحة الإرهاب في نيويورك جون أونيل، الذي بحث في تفجيرات عقد التسعينيات، سواء تفجيرات مركز التجارة العالمية عام 1993، وتفجيرات إفريفيا عام 1998، وكان يقف على تفجيرات السفينة الحربية كول في اليمن، للتحقيق في الدوافع التي أدت اليه، وعندما حاول العودة من جديد للتحقيق في ذلك، منع من قبل وزارة الخارجية الأمريكية، وهذا ما يؤكد العامل البترولي الذي كان متربعا على عرش اهتمامات إدارة كلينتون، بحيث لا يريد إثارة العلاقة التي تربطهم بالسعودية.[256]

وكان ابن لادن هدفا يسهل الوصول له قبل 11 أيلول/ سبتمبر، فكان يقضي معظم وقته في مجمع ترناك، الذي يقع على مشارف قندهار، ويتنقل بسيارة خاصة للقاء بضيوفه من طالبان، وفقا لمعلومات استخباراتية من وكالة المخابرات المركزية المسئولة عن ابن لادن،

---

[255] الخضراء، ال سي.. آي.. إيه، 40- 41.

[256] المرجع السابق، 42- 43.

فوضعت مخططا للقبض عليه، ويقوم بالاعتماد على مجموعة من قبائل البشتون المحليين الذين يعملون لصالح الوكالة، بالقبض عليه وإخفائه في أحد الكهوف إلى حين وصول رجال وكالة المخابرات المركزية، مع أن هذه العملية محفوفة بالمخاطر، لكن تخوف إدارة كلينتون من احتمالية قتله منع ذلك، لعدم إثارة الشعوب المسلمة عليهم.[257]

في منتصف عام 1998 سافر (جورج تنيت) رئيس وكالة المخابرات الأمريكية إلى منطقة الخليج، للقاء بعض المسؤولين، وتضمنت هذه الاجتماعات اقتراحات من (تنيت) حول مساعدة دول الخليج، لإلقاء القبض على ابن لادن، وقد زادت على الاقتراحات المسؤولين في الخليج إمكانية دفع ثمن لطالبان مقابل رأس ابن لادن، لكن (تنيت) عاد وألغى الخطة، خوفا من احتمالية قتل ابن لادن، وهذا ما لا تريده وكالة المخابرات المركزية التي ستتهم بذلك، وبأقل من شهرين من هذه الخطة، وقعت هجمات إفريقيا في آب/ أغسطس عام 1998.[258]

هوجمت المدمرة الأمريكية كول في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2000، من قبل مجموعة ترتبط بتنظيم القاعدة، أثناء رسوها على ساحل اليمن؛ وفي أوائل عام 2001 كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تتنبأ بوقوع هجوم إرهابي ضخم داخل الولايات المتحدة أو خارجها، خلال 12– 24 شهرا القادمة، باستخدام أسلحة مصممة لإحداث خسائر ضخمة في الأرواح.[259]

---

[257] ريزن، حالة حرب، 104– 205.

[258] المرجع السابق، 206– 207.

[259] بوث، عوالمة متصادمة، 85.

حصل ابن لادن على جهاز اتصال يعمل من خلال الأقمار الصناعية، وقد تم تعقب هذا الجهاز في نيسان/ إبريل 2001، للبحث في تفجيرات نيروبي ودار السلام، وكان أكثر المتلقين لاتصالات ابن لادن، مجموعة نيروبي في إفريقيا. وحتى لا يتم اختراقه، تمكن ابن لادن من إنشاء منظومة اتصالات عام 1999 متعددة الأوجه، لكي لا تستطيع الولايات المتحدة اختراقها، التي اعتمدت على شبكة الإنترنت، واللوحات الإعلامية الإلكترونية لتبادل المعلومات، بالإضافة إلى السّعاة الوسيلة القديمة، التي أثبتت نجاحها في أثناء الغزو السوفيتي، فكانت ترسل المعلومات باليد من قيادة القاعدة إلى كبار القادة العسكريين، ومن ثم إلى الخلايا الصغيرة الموزعة حول العالم.[260]

حاول ابن لادن نشر معلومات اسخباراتية كاذبة عن تفجيراته المقبلة في اليابان وكوريا الجنوبية وشبه الجزيرة العربية، لكي يضلل عن التفجيرات الحقيقية للقاعدة في الولايات المتحدة نفسها، وكان التقرير الذي أكد خطورة إمكانية التفجير في الولايات المتحدة، الذي تلقاه مكتب التحقيقات الفدرالية في شهر آب/ أغسطس عام 2001، عندما اتصل مدرب طيران في ولاية مينيسوتا عدة مرات للتحذير، من احتمال قيام إرهابيين باستخدام طائرات مملوءة بالوقود كقنابل طائرة، والخطر الذي يمثله أحد طلابه زكريا موسوي، الذي دخل إلى أمريكيا في شباط/ فبراير من نفس العام، والذي عرف فيما بعد بالخاطف رقم 20، وقد دخل بطريقة غير قانونية إلى الولايات المتحدة.[261]

---

[260] المرجع السابق، 85- 87.

[261] المرجع السابق، 88.

5-2-2-1. إدارة كلينتون وصعود طالبان

كتبت صحيفة لوس أنجليوس تايمز في 4 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1996، حول وجود إشاعات في كابول، "أن العديد على ثقة من أن إدارة كلينتون تدعم طالبان، الميليشا الإسلامية المتطرفة... وأن نظرية المؤامرة كانت مقبولة ظاهريا،" مؤكدة على الصعود السريع والغريب لطالبان، وتقدمها على غيرها من التنظيمات الأفغانية القديمة والقوية، كما تساءلت، كيف أن هذه الحركة الهشة التي ظهرت عام 1994 بين الطلبة المتدينين في جنوب قندهار، وغرب باكستان، أن تسيطر بعد عامين على ثلاثة أرباع أفغانستان؟، بالإضافة إلى الذخيرة والأسلحة والمركبات والتدريب والتنظيم التي كانت تحصل عليها من المخابرات الباكستانية، بدعم من المخابرات الأمريكية، لكونها حركة لم تكن ضمن التنظيمات، التي حاربت في عقد الثمانينيات، بالشكل التنظيمي الذي كانت عليه في التسعينيات.[262]

وهو ما أعرب عنه أحد دبلوماسي الولايات المتحدة في لقائه بوفد طالبان في 3 شباط/ فبراير عام 1997، حول النظرة الأمريكة إزاء طالبان، "إن مستقبل طالبان سيتطور، على الأرجح، مثل المملكة العربية السعودية، وسيكون هناك (أرامكو) خطوط أنابيب... ولن يكون هناك برلمان وسوف تكون كميات من قوانين الشريعة ونحن في وسعنا أن نتعايش مع ذلك". [263] فكانت ترى الولايات المتحدة من طالبان، الحركة التي يمكن أن تعتمد عليها فيما يخص

---

[262] تشومسكي، في تفسير، 214- 215.

[263] المرجع السابق، 215.

استقرار البلد الذي سيمكنها فيما بعد من تحقيق مشروعها، بمد خط الأنابيب النفطية على أرضها، ومن ثم إلى بحر قزوين.

جاءت ولادة طالبان من رماد ركام الحرب الباردة، وما خلّفه الغزو السوفيتي في أفغانستان، ومن خلال مجموعات التنظيم والتدريب والتسليح التي قام بها جهاز المخابرات المركزية الأمريكية، لمجموعات المجاهدين الأفغان، فجاءت طالبان في ظل الفقر، والضنك، والإنشقاق بين صفوف التنظيمات الجهادية الأفغانية التي شاركت في الحرب القديمة، وهو ما دفع بالسكان الأفغان للتشبث بطبقة الطلاب المتعلمين، الذين يمكن أن يعتمد عليهم، في نشل بلدهم مما هي عليه، خاصة في ظل الانحراف الذي وصلت له التنظيمات الأفغانية القديمة، بتحولهم إلى لوردات مخدرات، فكانوا يرون في طالبان حركة ستقيم القانون والنظام.[264]

وجدت بعض الشكوك التي تلف نشوء طالبان، ومدى علاقة اليد الأمريكية فيه، بسبب الكره الأمريكي للراديكالية الإيرانية، عملت على إيجاد نظام موال لها في أفغانستان إلى جانب باكستان، فوجدت في شخصية طالبان النظام المناسب خاصة في ظل التقارب بين هذه الحركة وباكستان، كما لم يكن مصادفة أن ثلاثة أنظمة موالية للولايات المتحدة اعترفت بطالبان، وهي السعودية والإمارات وباكستان، ولم يسحب أي منها اعترافه بطالبان، إلا بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، ولم يكن أي استياء، أو رفض أمريكي من هذه الاعترافات. كما أن المبعوث الرئاسي الأمريكي لأفغانستان (زلماي خليل زاد) سعى بحماس شديد، إلى تعاون

---

[264] المرجع السابق، 216.

أمريكي مع طالبان، حينما كان يعمل في شركة النفط المتعددة الجنسيات (يونوكال) التي رعت الزيارة الوحيدة لمسئولي طالبان إلى الولايات المتحدة، فقد دافع خليل زاد عام 1996 عن طالبان في صحيفة واشنطن بوست عندما كتبت: "لا يمارس الطالبان أسلوبا أصوليا معاديا للولايات المتحدة كالذي يمارس في إيران. ويجب... أن تكون على استعداد لتقديم الاعتراف والمساعدة الإنسانية لهم."[265]

وكان ما يزعج الولايات المتحدة في حركة طالبان، إيواءها لابن لادن، وزراعة الأفيون، أما قضية الأفيون فتم التخلص منها، عن طريق إصدار طالبان فتوى تحرم زراعته، وهو ما قلل نسبة وكمية الخشخاش المزروع، الذي دفع الولايات المتحدة لتراها بالحركة الجيدة، وأمدتها بالأموال والمساعدات.[266]

أما الدول المعادية لحركة طالبان إيران وروسيا والهند، وكل منها لها أجندتها، فإيران كانت ترى في طالبان ما يضر بمصالحها، لذلك ذهبت لدعم حكومة ربانى، وتشترط تواجده في أي تسوية سلمية، يتم إجراؤها، وقد طلب ربانى من إيران عمل تسوية بينه وبين باكستان، بعد حادث تفجير السفارة الباكستانية في كابول عام 1995، ونتيجة للبعد السياسي بين إيران وباكستان لم تنجح مهمتها هذه. [267]

أما روسيا والهند، فكانت كل منهما تدعم ربانى، من خلال دخول خبراء روس لتطوير مرافق مطار برجام، حيث يتمركز الشاه مسعود، كما قدمت روسيا طبع العملة النقدية الأفغانية. أما

---

[265] نوفوستي، الحقيقة عن، 69- 70.

[266] المرجع السابق، 70.

[267] طارق أبو سنة، " أفغانستان من الجهاد إلى الحرب الأهلية،" مجلة السياسة الدولية، عدد 124 (نيسان/ إبريل 1996): 180.

الهند فقدمت مساعدات عسكرية للشاه مسعود من أجل مقاتلته طالبان التي تدعمها باكستان العدو اللدود للهند، وهو ما شكل مزيدا من الضغط على باكستان.[268]

وإذا كانت طالبان وابن لادن مذنبين في 11 أيلول/ سبتمبر فلا يوجد من أحد أكثر دراية بهما من وكالة المخابرات المركزية، التي قامت بتدريبهم وتأهيلهم للعمل الذي قاموا به ضد السوفييت، بالاشتراك مع أجهزة مخابرات دولة عربية وإسلامية وأجنبية أخرى، وقد عملت وكالة المخابرات المركزية على مراقبتهم بعد انتهاء الغزو السوفيتي، خاصة بعد تفجيرات مركز التجارة العالمية الأولى عام 1993.[269]

5-2-2-2. التنظيمات الأفغانية والتحول ضد الولايات المتحدة

لم يدع سيد قطب الأب الروحي للجماعة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، إلى حرب معولمة ضد العالم الغربي، بل دعا المسلمين للدفاع عن (دار الإسلام) ضد التدخل الصليبي والغزو الثقافي، فيتحدث سيّد عبده أحد رفاق قطب في السجن، "كان جوهر مشروع قطب يقوم على استبدال "الجاهلية" بـ"الحاكمية" في الوطن، وتأسيس دولة القرآن،" ومن هنا فلم يكن يريد قطب شن حرب ضد أمريكا أو بريطانيا، لكن دعوته كانت، الاحتراس من الغزو الثقافي الغربي للمجتمعات الإسلامية.[270]

---

[268] المرجع السابق، 180.

[269] تشومسكي، في تفسير، 77- 78.

[270] جرجس، القاعدة الصعود، 44.

لاجئو بيشاور هم من المجاهدين الأفغان فترة الثمانينيات، وقد أطلق عليهم (الجيل الأول) من المجاهدين الأفغان فترة الغزو السوفيتي، وكانوا يتلقون المساعدات الغربية والعربية والإسلامية، أما (الجيل الثاني) فهم امتداد للجيل الأول في مرحلة الثمانينيات، وهم ممن بقي وشكلوا القاعدة بعد ذلك في التسعينيات، جاء هذا الجيل على هوامش الدعم الإمبريالي بعد انسحاب السوفييت من أفغانستان، خاصة في ظل التسلح غير المسبوق، وفاق احتياجات هذه التنظيمات، وفي ظل الظروف الصعبة والقاسية التي تمر بها أفغانستان، دفعت نحو التوجه التطرفي لها.[271] إضافة إلى السبب الرئيس وهو حرب الخليج الثانية التي قلبت المعادلة.

واعتبرت جماعة الجهاد أساس الجهاد الأفغاني، حيث تجمع 50 ألف متطوع من مختلف دول العالم الإسلامي، واعتبرت أفغانستان المهد الذي تدرج فيه الجيل الثاني من الجهاديين، فقد نتج عن نهاية الحرب الأفغانية ظهور جهاد أممي، من خلال اندماج تيارين إسلامي راديكالي مصري وآخر إسلامي محافظ سعودي، فكان تنظيم القاعدة ثمرته في منتصف التسعينيات.[272]

شعرت التنظيمات والجماعات الإسلامية بعد نهاية حرب أفغانستان، بإمكانية تكرار النموذج الأفغاني في دول العالم الإسلامي، التي كانت تشهد صراعات مختلفة في مرحلة التسعينيات، مثل البوسنة، والجزائر، وكشمير، وغيرها، ومع وقوع حرب الخليج الثانية عام 1990، الذي شكل مفارقة للولايات المتحدة في تثبيت نظام القطبية الأحادية في العالم،

---

[271] كيبل، انتشار – انحسار، 177.

[272] المرجع السابق، 46.

شاركت الولايات المتحدة بشكل مباشر في الحرب، وهو ما أثر على توجهات الدول العربية والإسلامية إزاء الولايات المتحدة، وكذلك توجهات التنظيمات الإسلامية والجماعات السلفية تحديدا، خاصة في الخليج، والتي شكل بقاء القوات العسكرية على أرضها، عاملا ثوريا ضد الولايات المتحدة.[273]

كانت وكالة المخابرات المركزية، تخشى منذ بداية الدعم الأمريكي للمجاهدين الأفغان، من إمكانية تشكل جماعات، يصعب القضاء عليها، وإدارة الرئيس بوش الأب ذهبت للحلول السلمية مع سياسة عدم الاهتمام، وبعد خروج السوفييت من أفغاستان، تم إيقاف امدادتهم للمجاهدين الأفغان، ففي لقاء جمع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي مع نظيره السوفيتي إدوارد شيفرنادزه، اتفق الطرفان على ترك السلطة بيد نجيب الله، مقابل إجراء انتخابات تحت إشراف دولي، لتحل محلها حكومة أخرى. وطلبت المخابرات المركزية توقف الدعم للتنظيمات الأفغانية من مخابرات باكستان، لكن العلاقات القوية التي جمعت الأخير مع قادة المجاهدين، أدى لاستمرار الدعم لهم بما كان يتيسر لها.[274]

بدأت هجمات التنظيمات الجهادية في بداية التسعينيات، ضد الولايات المتحدة تحديدا، ثم امتد للسعودية واليمن وإفريقا وغيرها، ورغم تعدد مناطقها، لكن أهدافها كانت أمريكية فقط، وكان جهاز المخابرات المركزية الأمريكية على دراية بأن المجاهدين الأفغان العرب، هم أشرس المجموعات التي تم تنظيمها في الجهاد الأفغاني، وكان أغلبهم ضمن حزب

---

[273] شحادة، تحولات الخطاب، 201.

[274] المرجع السابق، 337.

حكمتيار، وشكلوا فيما بعد تنظيمهم الخاص ظهر بشكله النهائي في منتصف عقد التسعينيات باسم (تنظيم القاعدة).[275]

يصف الكاتب محمود الممداني الحرب الباردة، بأنها عبارة عن (الصوبة الدفيئة) لتفريخ التنظيمات الجهادية المتطرفة، الذي أنتج عناصر إرهابية داخل الإسلام السياسي نفسه الذي يؤمن بتركيز الدولة، وأكد على ضرورة التميز بين الإرهاب الإسلامي والإسلام الراديكالي، فالأخير حركات اجتماعية إسلامية تبحث طوال القرن العشرين عن رد فعل لحيرة مزدوجة بين الاحتلال الإمبريالي والإصلاح الاجتماعي، مثل الإخوان المسلمين الذين كانت نقطة البداية لهم الإصلاح، ولم يكونوا يبحثون عن رد عقائدي في المسائل الروحية، ولكن رد فعل سياسي واجتماعي لحيرة وقعوا فيها، وهذه الحركات كانت مدفوعة من سياسة تتناول أوجه الحياة كلها، فالإسلام ليس أصول دين فقط، وإنما يشمل السياسة والاقتصاد والعدالة والاجتماع، وكذلك السياسة الخارجية. أما الإسلام الإرهابي فهو الذي ظهر بعد الحرب الباردة، من خلال التنظيمات التي دربتها الولايات المتحدة في أفغانستان، كتنظيم القاعدة وطالبان، وما تفرع عنها في المراحل اللاحقة.[276]

إذا فإدارة الرئيس كلينتون لم تكن تضع في حسابها كغيرها من الإدارات السابقة ما يمكن أن يشكله دعم تنظيمات وحركات ليست بدول، فكان انشغال سياسييه في شكل الهيمنة التي ستصل لها الولايات المتحدة، بعد افرازات بداية التسعينيات، والبدأ في المهمة الاقتصادية لها حول العالم، وهو ما شكل سياسة إدارته إزاء حركة طالبان، بدعمهم لها، للوصول إلى نفط

---

[275] أبراهيم، أفغانستان التاريخ، 336.

[276] الممداني، المسلم الصالح، 226.

بحر قزوين في آسيا الوسطى، عن طريق أفغانستان، دون النظر للهجمات التي وقعت ضد الولايات المتحدة في التسعينيات القادمة من أفغانستان، ولم يخطر لهم بأن هذه الحركة، ستدعم تنظيما سيصبح أكبر التنظيمات تطرفا في العالم. بالإضافة إلى اهماله للمعلومات الاستخباراتية التي كانت تصلهم، من وجود خطر إرهابي ستواجه الولايات المتحدة قريبا.

5-2-3. إدارة بوش الابن

عبر الرئيس بوش في بداية حملته الانتخابية في كانون الثاني/ يناير عام 2000، بقوله: "كان عالما خطرا، وكنا نعرف بالضبط من كانوا "هم." كنا نحن في مواجهتهم، وكنا نعرف "أولئك" الذين نواجههم. أما اليوم فلسنا متأكدين من هم "أولئك" الذين نواجههم، ولكننا متأكدون أنهم موجودون." [277]

جاء بوش الابن ضمن فريق ما أطلق عليه (المحافظون الجدد)[278]، الذي ذاع صيتهم بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، فقد تدخلوا بشكل مباشر في تشكيل إدارته، فبعد أن كانت أهداف الإدارة تقوم على جعل أميركا متواضعة وتقلل قواتها المنتشرة حول دول العالم، دفع المحافظون الجدد بإدارة بوش الإبن للذهاب بحرب أفغانستان عام 2001 وحرب العراق عام 2003، وإسقاط انظمتها، لأنهم كانوا يسيطرون على السياسة الخارجية الأمريكية، ومراكز

[277] بوث، عوالمة متصادمة، 286.

[278] المحافظون الجدد: هم مجموعة برزت في عهد الرئيس ريغان، وهم تحالف أصولي من البروتستانت "اليمين الديني الجديد" ولمع صيتهم في إدارة الرئيس بوش الإبن، وقد استعان في أفكارهم لصياغة رؤيته للعالم، في أن أمريكا هي أمة تقودها اعتبارات أخلاقية لا تدحض، وخصائص تنطبق على العالم أجمع. (أحمد فايز صالح، دور المحافظون الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية (بيروت: باحث للرداسات الفلسطينية والاستراتيجية ، 2011).

الأبحاث، والبنتاغون، مثل بول ولفو نائب وزير الدفاع، ورتشارد بيرل رئيس مجلس الدفاع الاستشاري وغيرهم.[279]

إدارة الرئيس بوش الابن أيضا في أشهرها الأولى لم تكن ضمن سياستها ما يركز على التنظيمات الإسلامية المتطرفة كما في إدارة كلينتون، ففي حملته الانتخابية عام 2000، لم يذكر الإرهاب إلا بشكل عابر جدا، على الرغم من وقوع تفجير السفينة كول في اليمن، من العام نفسه في تشرين الأول/ أكتوبر.[280]

كما تم تحذير الإدارة في بداية عام 2001 من خلال تقارير استخباراتية، من احتمالات وقوع هجمات داخل الولايات المتحدة أو خارجها، لكن هذه المعلومات لم تاخذ على محمل الجد الأمريكي أيضا.[281]

وتتشابه كثيرا إدارة الرئيس بوش والرئيس ريغان في الثمانينيات، فتتقارب الإدارتين في وجود فجوة بين صورة الذات المتمثلة في الوقوف إلى جانب الحرية والديمقراطية والقانون الدولي والسلام، وبين ممارسة سياسات تقوم على التجارة الحرة، ودعم الطغاة، والإمبريالية الاقتصادية، والتحايل على القانون الدولي، والاستعداد عند الحاجة لاستخدام العنف، فعصر ريغان لا يزال صداه في إدارة بوش، بسبب عودة معظم رجال ريغان، وتنصبهم مراكز مهمة في رئاسة بوش.[282]

---

[279] أحمد فايز صالح، دور المحافظون الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية (بيروت: باحث للرداسات الفلسطينية والاستراتيجية ، 2011)، 30.

[280] شرف الدين، بن لادن، 761.

[281] المرجع السابق، 778.

[282] بوث، عوالم متصادمة، 12.

وكما في عهد ريغان عندما أقدم على دعم العراق لغزو إيران عام 1981، قام بوش بغزو العراق عام 2003، والسيناريو الأمريكي نفسه، بجعل البلد في عجز مالي واقتصادي يقوض اركانه الاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، وبالتالي إعلان حرب على الإرهاب، وتستحضر شيطانا يلي الآخر، على حد تعبير تشومسكي، وبالتالي تفزيع الناس وجعلهم تحت إمرتها ليطيعوها، ويتساءل "لماذا نصر نحن وحلفاؤنا على جرائمنا الكبيرة؟، سواء التي نرتكبها بشكل مباشر أم عن طريق تقديم دعم كبير لعملاء قتلة."[283]

كما أن ريغان جاء إلى إدارته، وكان أهم مشاغل إدارته وسياسته الخارجية (الحرب على الإرهاب)، وهو التصنيف الذي قاده بوش نتيجة أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، بالإضافة إلى الدول التي تحتضن هذا الإرهاب، فريغان رأى الإرهاب في نيكاراغوا، وأنغولا، وأفغانستان، فتوضح له خطر حكومة نيكاراغوا المدعومة من السوفييت للأمن القومي الأمريكي، ومصالح أمريكيا الخارجية، وهو ما دفعها لقصف ليبيا مبررة ذلك في دعم الأخير لحكومة نيكاراغوا؛ كما عمل ريغان في منتصف الثمانينيات بدعم جنوب إفريقيا، ضد منظمة المؤتمر الوطني الإفريقي، التي اعتبرها أسوأ جماعة إرهابية بحسب ما جاء في تقرير وزارة الدفاع الأمريكية لعام 1988، وكانت نتيجته تحملها المسئولية عن مقتل 1.5 مليون إنسان، وإلحاق أضرار قدرة قيمتها بنحو 60 مليون دولار بالإضافة إلى الدول المجاورة، ولتجنب عقوبات الكونغرس زادت الإدارة الأمريكية التبادل التجاري بشكل كبير مع جنوب إفريقيا، وقدرة عدد وفيات الأطفال بنحو 850 ألف.[284]

---

[283] تشومسكي، في تفسير، 89- 90.

[284] المرجع السابق، 100- 103.

وذهب بوش لانتهاج سياسة أحادية في السياسة الأمريكية الخارجية، كذلك ريغان كان من صفات إدارته الأحادية بشكل حاد، فمع أن النظام الدولي ثنائي القطبية، إلا أنه رسم حدودا واضحة بين الخير والشر، وأعطى لنفسه حقوقا فضفاضة، وشجعته سياسته على الدفاع الصاروخي فيما عرف (ببرنامج حرب النجوم)،[285] وأخذ الإرهاب حجة لتبرير ذلك، ففي أثر شن هجوما بالقنابل على ملهى ليلي في برلين يرتاده جنود أمريكان عام 1986، رد جورج شولتز وزير الخارجية أنذاك،

> من السخف المجادلة بأن القانون الدولي يمنعنا من القبض على الإرهابيين في المياه الدولية والمجال الحيوي الدولي، أو مهاجمتهم وهم على أرض شعوب أخرى حتى لو كان ذلك بغرض إنقاذ رهائن، أو استخدام القوة ضد دول تدعم وتدرب وتئوي الإرهابيين والثوار.[286]

وبوش ذهب لانتهاج سياسة أحادية في سياسته الخارجية، واتخاذ القرارات العالمية، فمنذ توليه الرئاسة أواخر عام 2000، وخلال الثمانية شهور الأولى له في الحكم، رفضت إدارته علنا معاهدة الأنظمة الدفاعية المضادة للصواريخ البالستية (ABMT)، وبرتوكول كيوتو الخاص بالتغير المناخي، ومعاهدة روما الخاصة بالمحكمة الجنائية الدولية، والاتفاقية

---

[285] (حرب النجوم: أو ما أطلق عليه مبادرة الدفاع الاستراتيجي، بدأه الرئيس ريغان في بداية الثمانينيات، الذي يعتمد على تطوير الصواريخ البالستية المتعددة الرؤوس، والتي يمكن إطلاقها من مدارات خارج الغلاف الجوي للإرض. المصدر: بادي شغلين،"الصراع الأمريكي– الروسي وتطوراته في المرحلة الراهنة والمستقبل،" مجلة المناضل، عدد 309 (تموز/ آب 2001): 10.

[286] تشومسكي، في تفسير، 90.

المتعلقة ببيع ونقل الأسلحة الصغيرة، وبرتوكول يتعلق باتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية، فكانت هجمات 11 أيلول/ سبتمبر ردا على هذه السياسة.[287]

كذلك لم ترد إدارة بوش صفة التعددية في سياستها الخارجية، فقد رفض بوش ومستشاروه عروضا لتبني قرارات من قبل مجلس الأمن، تقوض شن حرب على الإرهاب، مفضلين الاعتماد على حق فضفاض للدفاع عن النفس، كما أن قتل مئات الآلاف من المدنيين الأفغان، والقنابل العنقودية التي لم تنفجر، وتدمير مكتب قناة الجزيرة في كابول، والتوجه لإنشاء محاكم عسكرية خاصة ذات معايير متدنية في تقديم البيانات، ورفض صفقة أسرى الحرب على المعتقلين من أفغانستان، طبقا لاتفاقية جنيف عام 1949، كل ذلك يدل على الاستهتار الأمريكي بالرأي العام العالمي وقوانينه، وهو ما ظهر أيضا في ما أطلقه بوش "إما أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية وإما أن تكون ضدها." [288]

وهو بذلك تجاهل قوانين العلاقات الدولية، التي تتعلق بسيادة الدول في الحياد، كذلك بتحديد دول الشر، الذي يعتبر تحديا لأهم إنجازات القرن العشرين، وهي منع استخدام القوة، أو التهديد بها في الشئون الدولية، خاصة في ظل عصر يتزايد فيه الاعتماد المتبادل، والقيم المشتركة بين الدول، التي وجد فيها بوش وإدارته تحد للأحادية القطبية التي تتمتع بها الولايات المتحدة.[289] فقامت بحرب على الإرهاب في أفغانستان، مستخدمة جميع أنواع القصف الجوي والأسلحة، مثل الطائرات الحربية، وقنابل ديزي كاتر التي تزن 15 ألف

---

[287] المرجع السابق، 158.

[288] المرجع السابق، 159.

[289] المرجع السابق.

رجل، ودعمت قوات التحالف الشمالي المحلية المكونة من أمراء الحرب القدامى، بالتدريب والأسلحة والمال، والتي بدورها حاصرت القاعدة وطالبان.[290]

كما أن كل من بوش وريغان، انطلقا في سياستهما من خلال تبرير حربهما على الإرهاب، فقد تعهد بوش بتخليص العالم من مرتكبي الشرور، وعدم بقاء الشر في العالم، كذلك ريغان فشجب بلاء الإرهاب الشرير عام 1985، خاصة إرهاب الدول، وهو الهدف المعلن والقضية الجوهرية في سياسته الخارجية، التي كانت قاعدتها العسكرية في الشرق الأوسط وآسيا والوسطى وأمريكيا الوسطى، فاتخذت من هندوراس قادة عسكرية لعملياتها، أما بوش فيقود الجهد العسكري من جديد، ورامسفلد الذي كان الممثل الخاص لريغان في الشرق الأوسط، يقود الجهد الدبلوماسي في الأمم المتحدة، أما جون ينجرو بونتر الذي كان سفيرا لريغان في هندوراس، يتولى التخطيط والقيادة، وهذه المجموعة تم تدويرهم في إدارة بوش أيضا.[291]

وكانت أهداف بوش في إدارته الحرب على الإرهاب، القيام بزيادة في الدفاع لم تقم بها الولايات المتحدة منذ 20 عاما، أي منذ عهد ريغان، بزيادة 328 مليار دولار للعام 2002، وزيادة 48 مليار دولار لعام 2003، بنسبة بلغت 15%، بحيث أصبحت الزيادة في الانفاق العسكري الأمريكي، يفوق أو يعادل انفاق دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة.[292] فبوش رأى أن الإدارتين اللتين سبقته، لم تعطيا الجانب العسكري ميزانية تتناسب مع حجم الولايات المتحدة، المهيمنة على العالم.

---

[290] إبراهيم، أفغانستان التاريخ، 371.

[291] المرجع السابق، 171.

[292] المرجع السابق، 206- 207.

وبين جيمس ريزن الصحفي المختص في شئون الأمن القومي في جريدة (نيويورك تايمز) حول انزعاج بوش الأب من سياسة بوش الابن في إدارته عام 2000، فأزعجه سماحه لوزير دفاعه رامسفيلد، ولكادر من منظري تيار المحافظين الجدد، ممارسة نفوذ واسع على سياسته الخارجية، خاصة فيما يتعلق بحرب العراق 2003 وأفغانستان، وعدم سماعه لنصائح المعتدلين في إدارته مثل وزير خارجيته كولن باول؛ فقد كان بوش الأب براغماتيا في سياسته، فمع تدخله في حرب الخليج الثانية، لكنه لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن دخل العراق الكويت، وإعطائه الضوء الأخضر من دول العالم وتحديدا السعودية، للتدخل الأمريكي المباشر في الحرب.[293]

فإدارة الرئيس بوش بدأت الاهتمام بموضوع التنظيمات الجهادية الأفغانية بعد أحداث11 أيلول/ سبتمبر، رغم وقوع الكثير من الهجمات الإرهابية في فترة التسعينيات وبداية الألفية الثالثة ضدها، في أنحاء متفرقة حول العالم، التي تعطيهم السبب لوضع اهتمام بهذه التنظيمات، لكن انشغال إدارته ومن سبقه من الرؤساء في التفوق الأمريكي على العالم دفعها لتراها أخطارا عابرة يمكن تلافيها. لكن هجمات عام 2001 لم تدع للسياسة الأمريكية أي مجالا لغض الطرف، فكل العالم هز لهذا الحدث وليس فقط الولايات المتحدة.

ذهبت إدارة بوش في حرب شاملة ضد الإرهاب، قادتها ضمن تحالفا دوليا كبير، شارك به الكثير من الدول الرافضة لهجمات 11 أيلول/ سبتمبر. وكان هناك مبادىء مهمة في

---

[293] تشومسكي، حالة حرب، 9- 10.

سياسته تجاه الحرب، وهي: الحرب على الإرهاب، والحرب الفاضلة، إضافة إلى أهمية البترول في عملية تسير الحرب، والإعلام الذي شكل أداة مهم في الحرب.

5-2-3-1. الحرب على الإرهاب

أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية منذ تربعها على عرش الأحادية القطبية، بأنها الأمة التي لا تقهر، ووجوب رضوخ الأمم لإرادتها، كذلك فرض هذه الإرادة على العالم، ويمكنها القيام بما تريده دون مساعدة من أحد، وهي السياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب، التي بدأت فيها بأفغانستان، فمع أنها حشدت دعما دوليا، من أجل حربها على الإرهاب العالمي، إلا أن الرئيس بوش كان يكرر دائما بإمكانهم النصر وحدهم، وهي السياسة الخارجية نفسها التي جاءت بـ11 أيلول/ سبتمبر، وكما وضح الكاتب الأمريكي ستيفن سميث، في أن هذه الهجمات أثبتت أن الأمن الداخلي للولايات المتحدة يرتبط بسياستها الخارجية، وإذا رأت فيه مبررا لمزيد من السياسات الأحادية، فمن المرجح أنه سيكون هناك مزيد من أيام هجمات عام 2001.[294]

بدأت قضية الإرهاب تحتل أهمية في السياسة الأمريكية، منذ عهد الرئيس ريغان الذي أعلن بأن الإرهاب العالمي، أصبح محل حقوق الإنسان، التي كانت ضمن اهتمام الرئيس كارتر،

[294] بوث، عوالم متصادمة، 78.

ومع قدوم بوش الأب طرح قضايا الأرهاب، والمخدرات على سلم أولويات إدارته، أما كلينتون، فاعتبر الإرهاب العالمي أحد هموم سياسته الرئيسية، وبقدوم بوش الابن للسلطة أواخر عام 2000 أصبح هناك انقلاب في مفهوم الإرهاب نفسه، فإرهاب اليوم يختلف عما كان في القرن العشرين، فالإرهاب القديم كان فعلا عنيفا له رمزيته ودلالاته، وكانت الأهداف محل الفعل الإرهابي محددة، والضحايا أقل، ووسائل الإرهاب القديمة تشمل بصورة أساسية، الاختطاف وأخذ رهائن والتهديد والاغتيال. [295]

أما الإرهاب الحديث فهو أصبح أكثر تطرفا، وأهدافه واسعة غير محددة، ووسيلته هي القتل الجماعي، ويعود ذلك للتغيير في نوعية الحرب نفسها، فالحروب الآن لها تشكيلة جديدة تقوم على مجموعات خاصة متجاوزة للحدود، وتشمل تنظيمات، وأمراء حرب، وبقايا دول منهارة، وهي لا تسعى إلى الانتصار العسكري بقدر ما تسعى إلى التعبئة، والحراك السياسي لزيادة عضويتها ونفوذها.[296]

أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، جعلت قائمة الدول الراعية للإرهاب الأمريكية عديمة الجدوى، لأن معظم من قام بالإرهاب في هذه الهجمات كان من دول صديقة، وهو ما دفع بالولايات المتحدة للتحول في سياستها من الدول الراعية للإرهاب، إلى الشعوب المشتبه فيها بتفريخ الإرهاب.[297]

وقسم البنتاغون مناطق العالم إلى أربعة أقسام بعد هذه الهجمات، وهي: القيادة المركزية المسئولة عن منطقة الشرق الأوسط، والقيادة الأوروبية، وقيادة المحيط الهادي، والقيادة

---

[295] أحمد، "حرب أفغانستان،" 13- 14.

[296] المرجع السابق.

[297] المرجع السابق، 20.

الجنوبية، فكانت مقسمة وفقا لكيفية إدارتها من قبل القوات المسلحة الأمريكية. إلا أن رامسفيلد وزير دفاع بوش لم يرض بالقيادة المركزية، وتحويلها لقيادة عمليات خاصة، بإقامة شبكة من الأمن المعولم تتجاوز مناطق النفوذ السابقة، لكن ذلك لا يمكن في ظل عدم حصر المناطق الجغرافية التي تكون بها التنظيمات الإرهابية.[298]

تخلصت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفيتي في نهاية الحرب الباردة عام 1990، وهو ما وضعها في حيرة، بالدور الذي ستقوم به في عالم ما بعد الحرب الباردة؟، إلا أن 11 أيلول/ سبتمبر قدم لها الطبق القادم لنوع آخر من الحروب، وهي (الحرب على الإرهاب) من خلال الإرهاب والتطرف والخوف.[299]

ويؤكد الكاتب باري بوزان ضرورة التميز بين الشعوب المدنية والحكومات المقاتلة، في الدول التي تشن الولايات المتحدة عليها الحرب على الإرهاب، فسلوك الولايات المتحدة على أرض المعركة يظهر مدى الخرق الصارخ لهذه القاعدة، ففي الحرب العالمية الثانية، وعندما أقدمت على تدمير مدينتي هيروشيما وناجزاكي بصواريخ نووية، الذي قضى على شعب هذه المناطق، هو السلوك الذي لم يختلف كثيرا أثناء الحرب الباردة، فكانت الحرب المعلنة ضد الشيوعية وليس ضد الشعب الروسي، أو الصيني، أو الكوري، لكن الحرب بالوكالة والعصابات التي قامت بها في فيتنام، لا تفرق بين المقاتلين في ساحة القتال، والشعب المدني.[300] وهو الحال أيضا في أفغانستان، سواء في حرب عام 1979 التي تميزت في الحرب بالوكالة، وحرب عام 2001 التي كانت مباشرة ومشتركة بين الدول واستخدام القوات

---

[298] المرجع السابق، 21.

[299] بوث، عوالم متصادمة، 33.

[300] المرجع السابق، 115- 116.

المحلية، فلم ترحم فيهما الشعب الأفغاني، ففي مثل هذه الحروب، عادة الخاسر الكبير هي الشعوب قبل الحكومات.

فوضح الكاتب رونالد كريلينستن أن تفكير مكافحة الإرهاب قبل 11 سبتمبر كانت تقوم على المقاربات القانونية، وحكم القانون، والتعاون الدولي، وفهم الأسباب الجذرية للإرهاب، والحيز العسكري يظل هو الملاذ الأخير. لكن بعد 11 سبتمبر أصبحت التركيز حول مكافحة الأرهاب على المقاربة العسكرية، ويفضلون استخدام القوة، وإضفاء الشرعية عليها، عن طريق تغير القواعد القانونية إذا لزم الأمر، ودعم التحرك الأحادي إذا رفض الأخرون التعاون، خاصة في سياق تحديد الدول المارقة أو (محور الشر)، واحتلال عقيدة الدفاع الوقائي والاستباقي محل مبدأ الردع أو الاحتواء، والتركيز بأحد أنماط الإرهاب المعولم المتمثل بالحركات السلفية مثل تنظيم القاعدة في أفغانستان.[301]

وما يعد مشكلة في الحرب على الإرهاب، التي قامت بها الولايات المتحدة، أنها على دراية بأن خصومها ما زالوا بالسلطة سواء إيران، والعراق، وكوريا الشمالية، رغم أنها قامت بشن حروب عليهم جميعا سواء بشكل مباشر، أو غير مباشر، وهو ما دفع الرئيس بوش لإلصاق (دول محور الشّر) إلى حربه على الإرهاب. فهذه الحكومات سواء الخميني التي قادت ضده حرب الخليج الأولى من قبل العراق، أو صدام الذي قادت ضده حرب مباشرة، فيما سمي بحرب الخليج الثانية (لكن تم إزالته في الحرب الثانية عام 2003) أو فيتنام، فجميعها بقيت على رأس حكوماتها، رغم حروب الولايات المتحدة ضدها؛ ومع أحداث 11 أيلول/ سبتمبر،

---

[301] رونالد كريلينستن، مترجم: أحمد التيجاني وآخرون، مكافحة الإرهاب (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2011)، 7.

أعطت الرئيس بوش ومستشاريه المحافظين، مميزات لدخول حرب شاملة، ضد الإرهاب والدول التي تحتضنه، أو ما أطلقت عليه دول محور الشّر.[302]

وحول إستراتيجية الولايات المتحدة في الحرب، بين نائب وزير الدفاع الأمريكي في إدارة بوش القواعد الأساسية للإستراتيجية الأمريكة، في حربها على الإرهاب في أفغانستان: "إن أحد دروس التاريخ الأفغاني، التي حاولنا تطبيقها في هذه الحملة، هو أنك إذا كنت أجنبيا فلا تحاول الدخول إليها. وإذا دخلت فلا تمكث طويلا، لأنهم لا يميلون إلى محبة الأجانب الذين يمكثون طويلا."[303] فهي لم ترد حرب عصابات في أفغانستان، لأنها تعرف مرارة هذه الحرب، واستخدمت قوات حلف الشمالي المعادية لطالبان، بمساعتدها بالمال والسلاح والتدريب، لقتال طالبان والقاعدة في الميدان، واكتفت بالقصف الجوي الصاروخي من قبل قواتها.[304]

الولايات المتحدة شنت حربها ضد الإرهاب من خلال خلق شبكات إرهاب في جميع أنحاء العالم، محدثة تأثيرات مدمرة وطويلة المدى، مثل أمريكا الوسطى التي دعمت الإرهاب فيها بشكل كبير في الثمانينيات والتسعينيات، فوضح المؤتمر الذي نظمه اليسوعيون السلفادوريون عام 1994، الذين كانت لهم تجارب في إرهاب أمريكا، أن تأثيرات ثقافة الرعب تعمل على خلق بدائل مختلفة للأقوياء، و11 أيلول/ سبتمبر كحدث لم تكن الفاصلة بالنسبة للولايات المتحدة، فهناك مثلا نيكاراغوا سبق أن عاشت حربا فاصلة، وعانت العذاب بشكل بطيء،

---

[302] بوث، عوالم متصادمة، 130- 133.

[303] المرجع السابق، 60.

[304] الكيلاني، ".. من أفغانستان،" 8- 10.

وهي حتى الآن غارقة في النتائج التعيسة التي نشأت عنها، ومعظم الدول تعرضت للإرهاب الدولي، الذي اكتسح القارات من الستينات، والذي يعود معظمه للولايات المتحدة.[305]

فمثلا أمريكا الوسطى لم تدعم حرب بوش ضد الإرهاب، ففي استطلاع لمعهد غالوب، أكد أن تأييد الذين يرون بعمل عسكري مقابل تسليم مرتكبي الهجمات لم يتجاوز 2% فقط في فنزويلا، و 11% في كولومبيا، وهذا يعود لما تجرعته هذه الدول من الإرهاب الذي قادته الولايات المتحدة ضدها، ففي إطار القصف الذي قام به بوش الأب عام 1989 على بنما، لاختطاف سفاح متمرد، حكم عليه بالسجن في فلوريدا، على جرائم ارتكبها معظمها أثناء عمله عميلا لوكالة المخابرات المركزية.[306]

كان بإمكان الولايات المتحدة القيام بعملية بولسية يتم فيها إلقاء القبض على المتهمين في الهجمات دون الحاجة إلى حرب شاملة على الإرهاب العالمي، وهو ما أعرب عنه اقتراح الفاتيكان والعديد من المؤسسات، والذي صرح به المؤرخ العسكري مايكل هوارد، بحيث يتم عرضهم على محكمة عادلة، وإذا تم إدانتهم يحكم عليهم بعقوبة دولية مناسبة، لكن هذه الاقتراحات لم تكن في سلم أهداف الأمريكان.[307]

فيما ذهبت بعض الأراء في تفسير الحرب على الإرهاب التي قادتها أمريكا مبتدئة بأفغانستان، في أن الأخيرة تمثل أهمية حيوية في الإستراتيجية الأمريكية، لا باعتبارها ممرا للبترول والغاز في بحر قزوين فقط ، لكن أفغانستان تحتل موقعا فريدا غاية في الأهمية بالنسبة لخطط الولايات المتحدة للسيطرة على العالم، فهي تقع على حدود باكستان وإيران

---

[305] بوث، عوالم متصادمة، 177- 178.

[306] المرجع السابق.

[307] المرجع السابق، 180- 181.

وجزء من الصين، كذلك على حدود جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا، وسيطرتها على أفغانستان ستمكنها من التغلغل في تلك الجمهوريات، وإقامة قواعد فيها من أجل محاصرة روسيا وضرب طوق حولها، فأصبح لها قواعد عسكرية في منطقة البلقان وباكستان وأفغانستان والجمهوريات السوفيتية سابقا، إضافة إلى تركيا واليونان، والذي سيزيد بالقرب من الصين التي تحاول منافسة الولايات المتحدة اقتصاديا.[308]

فالإرهاب يجلب الإرهاب، هذا ما عبر عنه الكاتبان بول سويزي وهاري ماجدوف في أن "الإرهاب يولد إرهابا مضادا. وقد كانت الولايات المحدة الأمريكية جزءا من هذه اللعبة التي تسبب الموت منذ فترة طويلة من الزمن، كمقترف لهذه الجريمة أكثر منها كضحية،" [309] فقامت مثلا بإسقاط طائرة ليبية عام 1981، وأرسلت قوات ومعدات عسكرية كجزء من قوة متعددة الجنسيات عام 1992، وأرسلت مشاه بحرية المارينز إلى لبنان عام 1982، وأرسلت طائرة تجسس إلى مصر في مواجهة مع ليبيا عام 1983، واستخدمت طائرة تجسس أخرى لإسقاط طائرة مقاتلة إيرانية في الخليج العربي عام 1984، ونشر قواتها المسلحة لسنوات في الصومال منذ عام 1982، وأخرها حرب أفغانستان عام 2001، والعراق عام 2003.[310]

وتصف إلين مايكسينس وود الناشطة والكاتبة الكندية الحرب على الإرهاب الأمريكية بـ(الحرب بلا أهداف)، لأن الحرب أصبحت غاية في حد ذاتها للولايات المتحدة، فالحرب الأمريكية على أفغانستان أبعد ما تكون عن الأهداف والنتائج، لأن هذه الحرب لن تنهي الإرهاب، أو تقلل منه، أو تحتويه، لأن إنهاء الإرهاب لن يكون بأسلوب الحرب، فالتدخل

---

[308] الحسيني، أمريكا اعتزار، 29- 30.

[309] المرجع السابق، 38.

[310] المرجع السابق، 38- 39.

العسكري ليس إلا عرضا رمزيا، ليس له علاقة بالأهداف الحقيقية القابلة للتحقيق، والنتيجة المحتملة هي فقط إيقاع أضرار جماعية من القتلى المدنيين والأبرياء، بالإضافة إلى الخطر الممتد لعدم الاستقرار ليس فقط في أفغانستان، كذلك في باكستان والعالم العربي والإسلامي، ودخولها في دوامة حرب لا نهاية لها بما في ذلك الإرهاب نفسه.[311]

وتؤكد الكاتبة، أن الحرب التي بلا أهداف أي لا حدود لها، ضد عدو غير مرئي تتلاءم مع إمبريالية العولمة، فالهدف ليس الاستيلاء على أراضي لإقامة مستعمرات، وأساسها السيطرة على اقتصاد العالم في كل مكان، وهذا عكس التمتع بالسيادة على أرض معينة ومحددة سهلة التعرف عليها، لكن السيادة على اقتصاد معولم تسود فيه سيطرة لا حدود لها، والقيام باستعراض للقوة بشكل دوري فقط، من أجل إظهار قوة رأس المال المعولم خاصة قوة رأس المال الأمريكي، التي تظهر دائما أنها تستطيع التوجه إلى أي مكان، وفي أي وقت، بقوتها الاقتصادية والعسكرية، هو من صفات الإرهاب.[312]

جاءت الحرب ضد الإرهاب بمفهوم أخر للحروب وهو الحرب الوقائية وليست الاستباقية، حيث تقوم الحرب الوقائية التي استخدمت كإستراتيجية أمريكية في بداية الألفية الثالثة، على اللجوء لحرب وقائية باستخدام القوة العسكرية، لإزالة تهديد متخيل أو ملفق، ومصطلح الوقائية يبدو معها ضعيفا وشديد التلطيف، يدخل ضمن خانة جرائم الحرب، بعكس الحرب الاستباقية التي يمكن أن تندرج في إطار القانون الدولي، مثل اكتشاف قنابل روسية قريبة من الولايات المتحدة، قادمة من قاعدة عسكرية في غرينادا كما تخيل ريغان عام 1983،

---

[311] المرجع السابق، 57.

[312] المرجع السابق، 58.

فنية القصف واضحة هنا، وبالتالي فهجوم استباقي لتدميرها سيكون واضحا، ومعقولا في ميثاق الأمم المتحدة، أما حرب العراق عام 2003، فتدخل ضمن الحرب الوقائية للإمبريالية الأمريكية.[313]

الإرهاب ليس صناعة 11 أيلول/ سبتمبر، كما ربطه الغرب في العالم الإسلامي، خاصة التنظيمات المتطرفة منه، فهو صفة موجودة منذ آلاف السنين، لكن الرئيس بوش الابن وإدارته، صاغته وجهزته بالشكل الذي أرادته، ولم تحاول أن تفهم بإن الإرهاب الذي ضربها عام 2001، ليس إلا نتاج للإرهاب الذي تزرعه في دول العالم، من خلال سياسات لا تُظهر، إلا تحقيق المصلحة الأمريكية، مغلفة بالديمقراطية والحرية الأمريكية لدى دول العالم.

5-2-3-2. الحرب الفاضلة

عرض البروفسور جيمس ديريان مدير مكتب دراسات الأمن الدولي في سدّني، مفهوم (الحرب الفاضلة)، بأنها:

> صراعات هجينة وغريبة ورغم ما فيها من مساوئ لكنه يختلف عن الحروب الأخرى، وهو برز بعد حرب فيتنام وبعد الحرب الباردة وبعد الحداثة وقبل 11 سبتمبر، من ساحات معارك الخليج الثانية والحملات الجوية على كوسوفا، حيث روعي بأن يكون القتل، بقدر ما تسمح به التقنية والأخلاق، واقعيا وفاضلا. [314]

---

[313] تشومسكي، الهيمنة أم، 20. أهداف الحرب الوقائية: يجب أن يكون مجردا من أية قدرات دفاعية، ويجب أن يكون على درجة من الأهمية يستحق عناء مهاجمته، كذلك وجود طريقة لتصويره على أنه يجسد الشر المطلق، والخطر الداهم.(المرجع السابق، 26).

[314] بوث، عوالم متصادمة، 142.

تعتمد الحرب الفاضلة على المحاكاة الحاسوبية، والتلاعب بالإعلام، والمراقبة العالمية، والتكنولوجية وحروب الشبكات، لردع الأعداء المحتملين ومعاقبتهم وتدميرهم إذا لزم الأمر، وتقوم على الحرب العادلة إذا أمكن، والحرب المقدسة عند الحاجة؛ وظهرت الحرب الفاضلة في أعقاب هجمات 11 ايلول/ سبتمبر، وسيلة نهائية تريد منها الولايات المتحدة إعادة تأمين حدودها، وإبقاء هيمنتها، وإعادة بعض النظام إلى السياسة الدولية، والجديد عليها بعد 11 أيلول/ سبتمبر، أن الإرهابيين المطلوبيين القبض عليهم، هم في موقع مكتب التحقيقات الفدرالية على الشبكة العنكبوتية.[315]

كما أن الحرب الفاضلة، جاءت تحت مسمى (الثالوث المقدس)، وهي النظام الدولي بأسواق حرة عالمية، ودول ديمقراطية ذات سيادة، وتدخلات إنسانية محدودة، وقد فتحت الولايات المتحدة الطريق لثورة في الشئون العسكرية، والقدرة الفنية، والضرورة الأخلاقية للتهديد باستخدام العنف، واستخدامه فعلا عند اللزوم عن بعد.[316]

استخدمت الولايات المتحدة تقنيات عالية في الأسلحة التي دمرت أفغانستان في عام 2001، فأحدثت مثلا الهجمات الأولية للولايات المتحدة دمارا كبيرا على الأرض، وسقط المئات من القتلى والجرحى المدنيين، وأصيب مكتب الأمم المتحدة في كابول قتل فيه أربعة عاملين، الذي دل على العشوائية التي عُمل بها أثناء القصف، من خلال مختلف أنواع الأسلحة المجهزة لعملية القصف.[317]

---

[315] المرجع السابق، 141- 142.

[316] المرجع السابق، 143.

[317] إبراهيم، أفغانستان التاريخ، 364.

كما أن الحرب الفاضلة بحسب ديريان لا تعني عدم موت الناس فيها، لكن معدلات الخسائر أقل منها عن الحرب التقليدية، من خلال التقنيات الحديثة للقتل، فقد انخفض عدد القتلى الأمريكيين العسكريين بشكل كبير، عما كان عليه في الحرب العالمية الأولى والثانية وفيتنام مثلا، ففي كوسوفا، كان عدد القتلى الأمريكان أقل بكثير من عدد الصحفيين والمدنيين، ومن مشكلات هذه الحرب التقنيات العالية فيها، فأي خطأ فيها قد يسبب أحداثا غير متوقعة، مثل حادث قتل ثلاثة من القوات الخاصة، الذين قاموا بإرسال موقعهم عن طريق الخطأ، إلى مركز الهجوم المباشر، والموجه من خلال الأقمار الصناعية.[318]

كما أن سلبيات هذه الحرب عدم إمكانية تقدير عدد الخسائر لدى العدو أو المدنيين على حد سواء، ففي أقل من خمسة شهور من الحرب على أفغانستان عام 2001، قدر عدد القتلى الأفغان من 3000–10.000 قتيل، وعندما قام مارك هيرولد استاذ الاقتصاد في جامعة نيوهامبشير بإجراء بحث منفرد عن خسائر الأفغان القتلى في الحرب في هذه الفترة، كانت نتائج بحثه بنحو 4000 قتيل.[319]

حققت أمريكيا انتصار سريعا بسقوط كابول، من خلال اعتمادها على السلاح الجوي والصواريخ، وهو ما قلل من خسائر الأرواح في صوفوف القوات الأمريكية، بالإضافة إلى أن قوات حلف الشمال المكونة من أمراء الحرب القدامى، هي من تعاونت مع الولايات المتحدة من أجل القيام بمهمة المشاة على الأرض، لانها تعلم أن أرض أفغانستان، ستوحلهم من جديد في حرب العصابات، التي ذاقوها في فيتنام، وأذاقوها للاتحاد السوفيتي في

---

[318] بوث، عوالم متصادمة، 143.

[319] المرجع السابق، 144.

أفغانستان في الثمانينيات.[320] فهي سياسة مستمرة للولايات المتحدة في اختيار الصديق، في الوقت والمكان المناسب لسياستها الخارجية، فأمراء الحرب لم تفضلهم في التسعينيات لأنهم عبارة عن مجموعة غوغاء كما كانت تصفهم، وتمسكت بطالبان التي تحاربها بالمجموعة الغوغاء هذه.

فالحرب الفاضلة ليست فاضلة للشعوب التي تتعرض للحرب، فأطلقت عليها الولايات المتحدة الفاضلة، لأنها قللت كمية الخسائر، في صفوف قوات الجيش الأمريكي، في مقابل ذلك، ارتفعت نسبة القتلى على الأرض، من الشعب في الأفغاني. فالولايات المتحدة تتكلم عن الأخلاق والمبادئ والقوانين، لكنها لا تلتزم في أي أخلاق أو قانون، فهي تسعى جاهدة لتحقيق ما تراه مناسبا لمصلحتها العليا، حتى لو كان ذلك يسبب ضحايا أبرياء، ذنبهم أن الولايات المتحدة تدخلت في شئونهم.

5-2-3-3. البترول

يعتبر النفط من الأمور الأساسية في غنى دول العالم، التي تسيطر عليه، لذك فهو إيجابي إذا استخدم في التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وتحديد موقع الدول السياسي والاقتصادي العالمي في منظومة العلاقات الدولية، أما الجانب السلبي للنفط فهو يجعل الدول النفطية، ومن يحيط بها عرضة لتهديد استقلالها، وهو مصدر جذب للتدخلات الدولية

[320] إبراهيم، أفغانستان التاريخ، 375.

والإقليمية، التي تسعى لوضع يدها على هذا عليه، وموضع تنافس وصراع بين الدول العظمى، مثل منطقة الشرق الأوسط، وبحر قزوين ذات الأهمية الكبيرة، في المجال النفطي الحديث، للولايات المتحدة على وجه الخصوص.[321]

تتراوح مساحة حوض بحر قزوين 400- 440 ألف كم مربع، وطوله من الشمال إلى الجنوب بين 1204 و1440 كم، وعرضه الوسطى 320 كم، وطول شواطئه 6525 كم، وعمقه الوسطى 325 م، تطل عليه مجموعة بلدان: من الشرق والجنوب إيران، والغرب روسيا وأذربيجان، والشمال كازخستان، وأوزبكستان، وقد اختلفت تقديرات الخبراء في كمية احتياط النفط والغاز الطبيعي فيه، لكن ما هو متوقع أن تبلغ احتياطيه من النفط قرابة 20 مليار طن، وما يزيد عن 8 تريليون متر مكعب من الغاز، كما تحتوي المنطقة من خلال أوزبكستان على النفط والغاز، وكذلك اليورانيوم والذهب، والفحم، وغيرها.[322]

بعد الحرب الباردة ضاقت بؤرة تركيز المسئوليين الأمريكيين، إلى البعد النفطي في منطقة آسيا الوسطى، فقد كانت تأمل شركة (يونوكال) النفطية الأمريكية، بإنشاء خط أنابيب عبر أفغانستان، ويمتد من وسط آسيا والمحيط الهندي كبديل عن الممر الإيراني، وبالتالي فكان بالإمكان إيجاد أي مجموعة، أو تنظيم أفغاني، يؤدي هذا الغرض وهي حركة طالبان.[323]

وقد رحبت شركات النفط الأمريكية بوصول طالبان للحكم في أفغانستان، واعتبر ذلك ما سيعود بالفائدة للطرفين، فدخلت شركة يونوكال أفغانستان قبل الغزو الأمريكي عام 2001

---

[321] محمد دياب، "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز،" مجلة شؤون الأوسط، مجلد 12، عدد 105 (شتاء 2002): 150.

[322] المرجع السابق، 151- 152.

[323] الممداني، المسلم الصالح، 214.

بسنوات، وقامت بمفاوضات مع طالبان بشأن تمديد أنبوب غاز عبر أفغانستان، يقوم بنقل الغاز الطبيعي من توركمستان إلى باكستان، مقابل تقديم مساعدات لطالبان لقاء الخدمات التي ستقدمها لانجاز المشروع، الذي سيكلف ملياري دولار، وكان الشريك في ذلك شركة دلتا للبترول السعودية التي كانت على اتصال مع طالبان.[324]

وذهب الساسة الأمريكان، للربط بين البترول الذي في باطن الأرض، بما ينسجم مع النظام العالمي الجديد الأمريكي، فيعمل مثلا بوش الأب في شركة (كارلايل)، التي تسمح بدخول رأسماليين جدد لها، وقام بأنشطة مختلفة في السعودية والكويت ضمن هذه الشركة، كما أن جيمس بيكر كان منهمكا في شبكته الخاصة، فيما يخص بترول بحر قزوين، فقدر مثلا بترول كازخستان خمسين مليار برميل، وهي كمية كبيرة لم تستغل في المنطقة.[325]

كما أن الرئيس بوش الابن، كان يعمل قبل توليه الإدارة في مجال التنقيب عن النفط في تكساس، وكان لشركات النفط، والسلاح الأثر الكبير في وصوله للرئاسة، كما تضمنت حكومته شخصيات نفطية، مثل ديك تشيني نائب الرئيس يترأس شركة (هاليبرنون) للطاقة عام 2000، الذي حقق أرباحا خيالية فيها، كما أن كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية كانت عضوا في شركة شيفرون تكساس، ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع كان شريكا للرئيس في شركة (إنرون) العملاقة للطاقة، ومع تسلمهم مناصبهم الإدارية في رئاسة بوش، إلا أنه بقي لديهم علاقة معقدة معها، وتقديم تسهيلات مهمة لهذه الشركات.[326]

---

[324] بولوف، ال سي.. آي.. إيه، 60.

[325] الحسيني، أمريكا اعتزاز، 113.

[326] خليل العناني، "اللوبي النفطي الأمريكي.. النفوذ وآليات التأثير،" مجلة السياسة الدولية، مجلد 41، عدد 164 (نيسان/ إبريل 2006): 44.

(الإستراتيجية الوطنية للطاقة)، وهي من أهم أعمال تشيني التي قدمها للرئيس بوش في آيار/ مايو عام 2001، وعرفت (بتقرير تشيني)، والذي يهدف إلى رسم السياسة النفطية للولايات المتحدة للعقدين المقبلين من بداية الألفية الثالثة، وقامت هذه الإستراتيجية على أمن الطاقة الذي لم يُعطى أهمية من قبل الإدارات السابقة، وأهمية دور النفط في صنع القرار الأمريكي، ومخاطر الاعتمادية النفطية الأمريكية على نفط الخارج.[327]

ويقدر مخزون النفط الأمريكي بنحو 2.9% من الإنتاج العالمي، كما تستهلك الولايات المتحدة ربع الإنتاج العالمي من النفط، وهو ما دفعها للاهتمام بمناطق النفط العالمية، وتعتبر منطقة الشرق الأوسط المصدر الأول لها من النفط، منذ منتصف القرن العشرين الماضي؛ كما تعمل الولايات المتحدة باستمرار في زيادة مصادر النفط لها، لتلبية احتياجاتها المستمرة منه، فتلعب مثلا المعلومات التي يصدرها معهد البترول الأمريكي حول حجم الاحتياطي الأمريكي من النفط، دورا في أسعار النفط حول العالم.[328]

كما أن السياسة النفطية كان لها دور في حرب أمريكا على العراق عام 2003، وفقا لرؤية بوش وتشيني، من أجل زيادة احتياطيات النفط، واكتمال مشروع القرن الأمريكي الذي بدأه بوش الأب في أواخر القرن الماضي.[329]

ويؤكد أحمد رشيد في كتابه (طالبان)، أن باكستان والولايات المتحدة أرادتا من طالبان إقامة نظام مستقر في أفغانستان، من أجل التفرغ لمشروع خط الأنابيب العائد لشركة أنوكال التي كانت طالبان مستعدة للقيام به مقابل إمدادها بالسلاح والمال اللازمين لقتال قوات التحالف

---

[327] المرجع السابق، 45.

[328] المرجع السابق، 46.

[329] المرجع السابق، 49.

الشمالي،[330] خاصة أن الولايات المتحدة تنظر بعين الريبة من الروس والتقدم الصيني الاقتصادي، الذي من الممكن أن يصل إلى مصادر البترول في منطقة آسيا الوسطى قبلها، خاصة أن مردود هذه المنطقة من النفط، سيوفر كمية ضخمة من البترول الذي تحتاجه الولايات المتحدة.[331]

ووضح الخبير في السياسة الخارجية الأمريكية مارجوري كوهين، أن الحرب ضد الإرهاب كانت مرتبطلة بالسياسة البترولية الأمريكية، وبين على لسان ديك تشيني أن مقدار قيمة البترول في منطقة بحر قزوين تصل لأربعة ترليون دولار، ويضيف: "ليس بوسعي تصور وقت ظهرت فيه إلى الوجود منطقة فجأة لتصبح ذات أهمية إستراتيجية مثلما حدث مع منطقة بحر قزوين."[332]

وفي عام 1995 اقترحت شركة أنوكال ومقرها في كالفورنيا، بناء خط أنابيب من تركنمستان ويمتد جنوبا عبر أفغانستان وباكستان إلى بحر العرب، الذي تم انتقاده من قبل (ياسوشي أكاشي) نائب السكرتير العام للأمم المتحدة للشئون الإنسانية عام 1997، وأعتبره تدخلا في شئون أفغانستان الداخلية.[333]

وفترة ما بعد التسعينيات، ظهر نوع من الحروب البترولية عرفت (بحرب الأنابيب) التي كانت دائرة بين أمريكا وروسيا، تقوم على اتخاد كل منها طريقة معينة، في خطوط أنابيب

---

[330] الحسيني، أمريكا اعتزاز، 114- 115.

[331] عبد الطالب، الغزو الأجنبي، 212.

[332] الحسيني، أمريكا اعتزاز، 120.

[333] المرجع السابق، 121.

البترول والنفط في منطقة بحر قزوين تحديدا، وقد وصفت السياسة الأمريكية هذه من قبل مسؤول في الأمن القومي الأمريكي عام 1997، قوله:

كانت سياسة الولايات المتحدة تدعو إلى تنمية سريعة لمصادر الطاقة في منطقة بحر قزوين... وقمنا بذلك بالتحديد لدعم استقلال تلك البلدان الغنية بالبترول، وبالأساس لكسر احتكار روسيا للسيطرة على نقل البترول عن تلك المناطق، وبصراحة من أجل ضمان أمن الغرب في مجال الطاقة عبر تنويع مصادرها. [334]

وعين بوش المستشار السابق لشركة أنوكال للبترول، زالماي خليل زاد مبعوثا للولايات المتحدة في أفغانستان، وقد اعتبر زاد الوسيط الذي يحاول وضع يد الولايات المتحدة على بترول قزوين، أكبر احتياطي نفط بعد منطقة الخليج العربي؛ وقد شارك زاد في المحادثات التي جرت عام 1997 بين شركة أنوكال وحركة طالبان، التي كانت تستهدف تطبيق اتفاقية عام 1995 لبناء خط أنابيب عبر الجزء الغربي من أفغانستان.[335]

كما دعا زاد إلى سياسة ودية مع طالبان، جاء في مقالة له في صفحة الرأي لجريدة واشنطن بوست التي رفض فيها صفة الإرهاب لطالبان، "إن طالبان لا تمارس الأصولية من النوع المعادي للولايات المتحدة، كالذي تمارسه إيران. ويتعين علينا أن نبدي استعدادا للاعتراف بالنظام الأفغاني وتقديم المساعدات الإنسانية له والدعوة الدولية لإعادة اعمار اقتصاده." [336]

---

[334] المرجع السابق، 121- 122.

[335] المرجع السابق، 125.

[336] المرجع السابق، 126- 127.

ومما يلفت للنظر أن زاد كان مبعوث الولايات المتحدة إلى أفغانستان في التسعينيات، وكان أيضا مبعوثها إلى العراق عام 2003، إضافة إلى عمله مستشارا في شركة أنوكال النفطية الأمريكية.[337]

ودفعت السياسة النفطية الأمريكية سياستها الخارجية، لاستخدام حرب غير مباشرة في بعض الأحيان، حتى تتفادى المواجهة المباشرة مع قوى كبرى نووية صاعدة، سواء الصين، أو إيران، أو روسيا العدو القديم، كما أنها قد تدخل في حروب مباشرة مثل أفغانستان والعراق، باستخدام حجج الإرهاب الأصولي الإسلامي ودول الشر، مقابل نشر قيمها الغربية وتسويقها في هذه الدول، وفقا للتوجهات النفطية التي تصبوا لها.[338]

فالقوة النفطية تسعى لها كل الدول، ولولا النفط ما ظهرت دول الخليج بالقوة المالية منذ منتصف القرن الماضي، والنفط هو ما شكل توجهات السياسية الأمريكية إزاء الكثير من الدول، وفي هذه المرحلة شكل العامل النفطي، لإدارة كل من كلينتون وبوش الابن، الأهمية في وضع سياساتها إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، المتمثلة في طالبان في عهد كلينتون، واستخدام قوات التحالف الشمالي أي أمراء الحرب القدامى ضد ابن لادن والقاعدة في إدارة الرئيس بوش، التي بقيت مستمرة حتى بعد انتهاء الحرب، وقدوم إدارة باراك أوباما، وكانت تضع الهدف النفطي نصب أعينها في أفغانستان أيضا.

---

[337] عمرو كمال حمودة، "النفط في السياسة الخارجية الأمريكية،" مجلة السياسة الدولية، مجلد 41، عدد 164 (نيسان/ إبريل): 52.

[338] المرجع السابق، 54.

5-2-3-4. الإعلام

ربط بوش ومستشاروه الحرب على الإرهاب بمفاهيم الأمة الأمريكية، حتى تبقى مشاعر الأمريكيين متماشية مع مجريات الحرب، التي ستجعل مشاعرهم تتماشى مع ما تقوم به السياسة الخارجية، فركزوا على السياسة الداخلية والرأي العام الأمريكي، الذي يعتبر المحرك الأساسي في السياسة الخارجية الأمريكية.[339]

لكن توجهات وسائل الإعلام الأمريكية لتبني الخط السياسي العام للحكومة الأمريكية في مجال السياسة الخارجية، دفع بها لتكون عاجزة عن نقل حقيقة ما يجري في الخارج، والحيلولة دون وصول الحقيقة للرأي العام الأمريكي، وما يؤدي لتشكيل اتجاهات خاطئة، لها تأثير على الكونغرس الأمريكي الذي يضع أهمية في قراراته لتوجهات الجمهور الأمريكي، مثل التضليل الذي سببه الإعلام للشعب الأمريكي حول حرب فيتنام وأهميتها، ونجاح الولايات المتحدة فيها، لكن فشل أمريكا في الحرب، أثبت للشعب الأمريكي الفبركة الإعلامية التي قام به الإعلام الحكومي الأمريكي، في تغطيته لأحداث الحرب.[340]

والنهج الإعلامي في السياسية الخارجية، تبنته هيلاري كلنتون عندما تحدثت في مذكرتها حول دور الإعلام في أثناء الحرب الباردة، وتوجهاتها نحو تبني سياسات، وإنشاء مؤسسات إعلامية فترة عملها كوزيرة خارجية للولايات المتحدة في إدارة أوباما.[341]

---

[339] بوث، عوالم متصادمة، 160.

[340] محمد عبد العزيز ربيع، صنع السياسة الخارجية الأمريكية والعرب (عمان: منشورات دار الكرمل- صامد، 1990)، 75-79.

[341] كلينتون، مذكرات هيلاري، 138.

ويغلب على تغطية الإعلام الأمريكي للأحداث في أنه يضعها في غير سياقها الصحيح، والحقائق غير مترابطة، وهو ما يلغي المهنية الضرورية لتكون المعلومات حقيقية وواقعية، وتغطية أحداث 11 أيلول/ سبتمبر كانت ضمن هذه السياسة، بحيث توضع في غير سياقها، فنشرت تقارير مفصلة عن ابن لادن وشبكته الإرهابية، وعوامل فشل أو نجاح الغزو على أفغانستان، وتم التعتيم على دور الولايات المتحدة كقوة إرهابية أولى في ذلك.[342]

ففي عام 1998 صدر تقرير لمنظمة العفو الدولية، بين بوضوح أن أمريكا مسؤولة عن الانتهاكات الكبيرة لحقوق الإنسان في أرجاء العالم، بما في ذلك تشجيعها ودعمها للتعذيب والإرهاب، واستخدام العنف من قبل الأفراد والحكومات والدول، ودعمها لحكومات فاسدة مثل السعودية والكويت، وسجلها الفظيع في تأييدها هجوم إسرائيل على الفلسطينيين، الذي يعتبر هذا جميعه خارج نطاق معرفة غالبية الشعب الأمريكي.[343] فترى مثلا الكثير من الغرب يضع مسمى دولة إسرائيل، على خريطة فلسطين، وقد لا يسمع أحد منهم باسم دولة فلسطين أو يعرف عنها، ويعود ذلك كله للتشويه الإعلامي الغربي، الذي يقلب الحقائق ويغيرها، وفقا لتوجهات سياسة الولايات المتحدة الخارجية.

ففي الثمانينيات لعب الإعلام الأمريكي دورا في تحسين صورة المجاهدين الأفغان ضد العدو السوفيتي، وأنها حركات تحرر ضد المعتدي الأجنبي، في مقابل ذلك نجد الإعلام في عام 2001، صورها بالإرهابية والتطرف، المتمثلة بالتنظيمات الجهادية الأفغانية القاعدة

---

[342] الحسيني، أمريكا اعتزاز، 50.

[343] المرجع السابق.

وطالبان، كذلك الحال بالنسبة لأمراء الحرب في مرحلة التسعينيات، فكان يظهرهم بالقتلى وقطاع الطرق وزارعي المخدرات والحشيش.

وتستعرض الدراسة هنا بعض من القراءات لمثقفين وكتّاب، حول أسباب تحول التنظيمات الأفغانية ضد الولايات المتحدة، والشكل العام للسياسة الخارجية الأمريكية في الفترة محل الدرسة.

5-3. إضاءات حول السياسة الأمريكية والتنظيمات الجهادية الأفغانية

يتحدث الكاتب الأمريكي مايكل شوير، في كتابه (الفوقية الإمبريالة الأمريكية لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب)، عن الفشل الكبير الذي وضع الأمريكان أنفسهم به، من خلال القيام بحملات عسكرية لا تؤدي إلا لمزيد من التطرف الإسلامي الدولي والعالمي، وإذا كانت قد ساعدت على إنتاجه في الثمانينيات، فهي تعمل الآن على تزايده وتنوعه وبشكل يتماشى مع ما تريده هذه الجماعات، الذي يؤكد على مقدار التبجح والغرور الأمريكي في إدارتهم للصراعات، وأضاف:

> وغاب عنهم النظر في تحذير هوبز الذي يقول إنه ليس هناك ما هو أكثر تدميرا للسلام من الغرور... وإذا افترضنا بمقياس أكبر أن السلام العالمي يتهدده غرور دولة ما، فلا بد أن السياسة الخارجية لتلك الدولة التي تسيطر عليها مجموعة من المغرورين الذين يريدون فرض قوانينهم على العالم بأسره وفقا لأهوائهم دون النظر

إلى الاعتبارات المحلية والحضارية الخاصة بكل مكان، ستؤدي إلى نشوب حرب خطيرة ضدها وكفاح يهدف للقضاء عليها.[344]

ويؤكد شوير أن أمريكا فشلت في احلال السلام بافغانستان عام 1992، وهو الغلط والفشل نفسه كررته عام 2001، وحاولوا فيه تشكيل هيئات ديمقراطية، وحقوق إنسان، وحقوق مرأة بثوب غربي، بما يتنافى والحضارة الأفغانية القبلية والسياسية، ولم تجد لهذه الأفكار سوى مجموعات قليلة غير مسلحة.[345]

وذهب الكاتب الأمريكي جون كيفان حول ما هية السياسة الواجب اتباعها إزاء التنظيمات، "يجب ألا تسعى أمريكا إلى تغيير نظامهم وإنما عليها ببساطة أن تعثر على الإرهابيين وتقتلهم،"[346] إضافة إلى ضرورة نظر الولايات المتحدة في أسباب التطرف والإرهاب الدائر ضدها، والذهاب في علاج هذه الأسباب، بدل تطوير الحرب الإرهابية ضدها كما تدعي، لأن علاج أسباب المرض هو ما يؤدي إلى إزالته.

كانت أهداف ابن لادن بحسب شوير من هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، إنهاء المساعدات الأمريكية لإسرائيل، والقضاء على الكيان الإسرائيلي بشكل كامل، وسحب القوات الأمريكية والأجنبية من السعودية والعراق وأفغانستان وغيرها من الدول الإسلامية، وإنهاء أمريكا قمعها للمسلمين في الصين وروسيا والهند، وعدم دعمها لأنظمة مرتدة عن الدين الإسلامي.[347] فإن إستراتيجيات الولايات المتحدة في سياستها الخارجية العسكرية والاقتصادية إزاء العالم

---

[344] شوير، الفوقية الإمبريالة، 20.

[345] المرجع السابق، 20.

[346] المرجع السابق، 55.

[347] المرجع السابق، 23.

الإسلامي، هو السبب والدافع لوجود تنظيمات متطرفة تريد تدميرها، فما تفضله من تخطيط لسياسات، وتطبقها بشكل يؤثر على العالم الإسلامي، هو الذي يثير مشاعرهم ويؤذيهم.[348] فالسياسة الأمريكية الانتقائية في تعاملها مع دول العالم، من خلال اختيار دول الخير من الشر، ومن تسيير في طريقة الحداثة من المتخلفة، إضافة إلى التمييز في تعاملاتها مع الدول وفقا لمصلحتها، كل ذلك يدفع الإرهاب والتطرف ضدها.

أما الكاتب وستاد فوضع اللوم على الحرب الأهلية الأفغانية التي دمرت البلد، وصعود طالبان من خلال المساعدة الباكستانية والسعودية – بالإضافة إلى الأمريكية– الحركة الأصولية الرجعية على حد تعبيره، ومساندتها لابن لادن وتنظيمه المتطرف.[349] وتناسى الكاتب رغم اعترافه بدور جهاز المخابرات الأمريكي في دعم التنظيمات الجهادية الأفغانية، إلى دور السياسة الأمريكية في دمار وخراب أفغانستان، خاصة أن الولايات المتحدة تركتها في وضع صعب بعد حرب السوفييت، إضافة إلى تصارع التنظيمات فيها على السلطة، وكل ذلك السبب المباشر به الولايات المتحدة الأمريكية.

كما ذهبت السياسة الخارجية الأمريكية في الثمانينيات والتسعينيات وإلى اليوم، في دعم حكومات دول إسلامية، مثل السعودية، والكويت، والإمارات، ومصر، والأردن، لا تتناسب مع قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تنادي بها، ومع الدين الإسلامي الأصولي، الذي يدعون له، مقابل ذلك فهي تعمل على فرض عقوبات على دول إسلامية مثل باكستان، والعراق، وأفغانستان، وسوريا، وتجبرهم على اتباع أوامرها، في حين لا تتعامل مع الدول

---

[348] المرجع السابق، 40.

[349] وستاد، الحرب الباردة، 699– 700.

غير الإسلامية مثل هذه التصرفات، فمثلا تفرض عقوبات على باكستان من أجل برنامجها النووي، في حين أنها تغض الطرف عن الهند وإسرائيل، كذلك ذهابها لحرب العراق عام 2003 من أجل مصالحها النفطية الرئيسية، ومحاولة السيطرة على مراكز النفط لكي تحصل على أقل الأسعار.[350]

فجاء التطرف الإسلامي أوائل التسعينيات كنتيجة للسياسات الأمريكية وأفعالها، التي تؤدي للقضاء على الأشياء التي يحبونها، وهدف المتطرفين الإسلاميين ليس القضاء على الديمقراطية الغربية اللبيرالية، وإنما منع الوسائل العسكرية الأمريكية من الاعتداء على الأشياء التي يفضلونها.[351]

واعتبر الكاتب أن الجهاد الأفغاني، لم يقدم التنظيم والتدريب والمهارات للمجاهدين فقط، لكنه قدم لهم هدفا متماسكا عن العدو الأول، وهو الولايات المتحدة، خاصة أن الإسلاميين الأصوليين قبل حرب أفغانستان، منقسمين قسمين، بين الموالين للولايات المتحدة، والمملكة السعودية، ودول الخليج، وباكستان وقبل الثورة إيران، أما القسم الثاني، من كان يراها عدوا مثل الاتحاد السوفيتي، وأنها من باعت القضية الفلسطينية، مثل الإخوان المسلمين في مصر، لكن حرب أفغانستان كانت توجه جديد في ظل الحشد الإسلامي الأصولي الذي قامت به الولايات المتحدة، والتي جمعت القسمين مع بعض ضد السوفيتي.[352] مع ذلك فلم تتوجه أيا من هذه التنظيمات الأصولية الإسلامية إلى هجمات مباشرة، ضد الولايات المتحدة، إلا بعد تدخلها المباشر والعسكري في دول العالم العربي والإسلامي.

---

[350] شوير، الفوقية الإمبريالة، 44- 45.

[351] المرجع السابق، 51.

[352] الممداني، المسلم الصالح، 184- 185.

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تضع نصب عينيها، ما تحتاجه الدول وشعوبها وليس حكوماتها، وتكون إستراتيجياتها وسياساتها تتانسب والدول التي تتدخل بها، وليس ما يتناسب ومصالحها القومية، فلن تصل إلى تكوين أعداء إرهابيا ضدها كما حصل في أفغانستان وغيرها من الدول، فالسياسة الانتقائية للولايات المتحدة، في التعامل مع القضايا الدولية، بما يتناسب وأهدافها القومية، يزيد من التطرف والإرهاب ضدها.

كما وضح الكاتبان (كين بوث وتيموثي ديون) في كتابهما (عوالم متصادمة: الإرهاب ومستقبل النظام العالمي) أن الولايات المتحدة ليست المكروهة، والدليل على ذلك وجود الكثير من المسلمين داخل أمريكا، ويفضلون أسلوب الحياة الأمريكية، لكن ما هو مكروه الطريقة التي تميل القوة العظمى الوحيدة في العالم، إلى استخدامها لتحقيق أهدافها سياستها الخارجية القاسية أحيانا، ومشروع العولمة الذي يحقق لها مكاسب مهمة، ودعمها للطغاة في الوقت الذي تتحدث فيه بلغة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وفي الطريقة التي تستخدم فيها وكلاء محليين للسيطرة على النظام العالمي، والهيمنة الأمريكية مهما كانت لطيفة، فإنها ستبقى تثير الخوف، لأنها متورطة أكثر من أي قوة أخرى في الإدارة اليومية لشئون العالم، وبالتالي ضرورة التميز بين دولة الولايات المتحدة ومجتمع الولايات المتحدة، لكي يتم وضع صفة الكراهية لها.[353]

ويضيف الكاتبان أن الصورة النمطية عن المسلم في الغرب، المفجر للقنابل والانتحاري والإرهابي، إلا أن المسلمين يعيشون حياة التسامح والنظام والسلوك الحميد في الغرب، ومع

---

[353] بوث، عوالم متصادمة، 11– 12.

أن العديد من المسلمين ينظرون باستياء إلى بعض تجاوزات الحياة الغربية، مثل انتشار الجريمة، والتفكك الأسري، والإباحية، إلا أن هذا يتماشى مع النظرة التي يشعر بها الغرب أنفسهم، وتصريحات ابن لادن تؤكد أنه ليس في حالة قتال مع الغرب، بقدر ما هي ضد سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وانهيار الأبراج عام 2001 فرصة للسياسيين والكتّاب والصحفيين والأكاديميين لطرح تفسيراتهم، التي تنطلق من قلقهم إزاء العولمة والفوضى، وخجلهم حيال موقفهم من إسرائيل، وما حل بإفريقيا بسبب أمريكا.[354]

كما كان بإمكان الولايات المتحدة حل المشكلة مع الإرهابيين في هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، عن طريق القانون الدولي، وهو الآلية الصحيحة لتحديد مسؤولية أو براءة المشتبه بهم في الهجمات، مع وجود معلومات منذ البداية عن ربط ابن لادن وتنظيمه في الهجمات، فهي معلومات لم تكن مثبتة بعد، لكي يتم التوجه بحرب شاملة ضد الإرهاب، وكان بالإمكان القيام بإلقاء القبض على المشتبه به وإدانتهم بدلا من حرب شاملة، والقيام بعمل بوليسي استخباراتي، وحتى لو كان المشتبه بهم ضمن إطار دولة أخرى، وباستخدام القانون الدولي يمكن إخضاع أي دولة له. [355]

فهي نظمت حربا شاملة على الإرهاب، ضد دولة ضعيفة أصلا، ومنهكة من الحروب السابقة، التي لم تخل يدها منها أيضا، فكان بالإمكان إعطاء الكثير من الحلول في القضية، غير الحرب العسكرية المباشرة، التي لا تتماشى ونظام العولمة، الذي وضعته حول العالم.

---

[354] المرجع السابق، 15.

[355] المرجع السابق، 23.

وتسير الولايات المتحدة في فلك ما تراه حكومات الدول النامية لشعوبها في بعض الأحيان، وهي الحكومات التي وضعتها بنفسها، هذا ما أكد عليه الكاتب الأمريكي اليهودي الأصل نعوم تشومسكي، في أن سبب الكراهية للغرب من قبل التنظيمات الإسلامية التي خرجت من أفغانستان، ما توصل له مجلس الأمن القومي في أن الولايات المتحدة تدعم حكومات فاسدة ووحشية، وتعطل الديمقراطية والتنمية في الدول الإسلامية، وتفعل ذلك بسبب انشغالها في حماية مصالحها البترولية في العالم، وهو ما عرضته صحيفة وول ستريت جورنال، عندما تم التحقيق في هجمات 11 أيلول/ سبتمبر، وجدت أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة هي السبب في هذه الهجمات، كذلك سياساتها إزاء الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي، والعراق وغيرها من القضايا.[356]

ووضح تشومسكي "يظل علينا أن نختار: إما أن نفهم "أسباب ما حدث،" أو أن نرفض ذلك؛ فنسهم في زيادة احتمالات أن يأتي ما هو أسوأ."[357]

ورغم وحشية 11 أيلول/ سبتمبر وبشاعته، إلا أنها لا ترقى إلى عدد الضحايا والأعمال الوحشية التي قامت بها الولايات المتحدة، فمثلا في التسعينيات قصف كلينتون السودان عام 1998 دون حجة واضحة يعتمدها، نتج عنها تدمير إمدادات السودان من الأدوية، وقتل فيها عشرات الآلاف من الضحايا، كما أنها منعت من إعطاء أرقام دقيقة لعدد القتلى الذين وقعوا في الهجوم، بعدم سماحها تحقيقات للأمم المتحدة قامت بتعطيلها دون أي مبرر.[358]

---

[356] تشومسكي، في تفسير، 79.

[357] المرجع السابق، 10.

[358] المرجع السابق، 9.

وكما جاء السوفييت على أفغانستان بالقتل والتهديد والجريمة، جاءت به الولايات المتحدة عام 2001 الذين لم ينسوا بعد جرح السوفيتي الغائر في أجسادهم وأرضهم، ومحاولتهم الفرار من الفقر، والبؤس دون جدوى، تحت وطأة القصف والتهديد الأمريكي قامت الولايات المتحدة بقطع امدادات الغذاء التي يعتمد عليها معظم الشعب الأفغاني، كما منعت باكستان من إرسال شحناتها الغذائية أيضا لهم.[359]

وحاول برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة وغيره من المنظمات استئناف شحنات الغذاء في أوائل شهر أكتوبر، لكن مع بداية القصف الجو في 7 تشربن الأول/ أكتوبر تم توقيفه بشكل كامل، ثم استؤنف بشكل بطيء جدا، وقد حذرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين من مواجهة أزمة إنسانية مع وجود 7.5 مليون نسمة يعانون من نقص الغذاء، ومهددون بالمجاعة التي وصلت إلى 50% بعد بدء الغزو، وهي النسبة التي توضح أن القصف لم يكن فقط على القاعدة وطالبان، بل كان يريد بناء حضارة غربية على أنقاض الشعب الأفغاني.[360]

والفرق بين الغزو السوفيتي عام 1979 والغزو الأمريكي عام 2001، أن السوفييت واجه جيشا من المجاهدين المنظمين والمدربين، ومسلحين بأحدث الأسلحة العسكرية الأمريكية، التي وقفت وراءها وكالة المخابرات المركزية ومساعدوها من الدول العربية والإسلامية والغربية، أما الولايات المتحدة فقد واجهت قوة من الغوغاء في بلد دمر فعليا بسب عشرين عاما من الحرب والترويع، التي تتحمل الولايات المتحدة الجزء الأكبر من المسؤولية عنها.

---

[359] المرجع السابق، 12.

[360] المرجع السابق.

كما استوعبت الولايات المتحدة دروس الفشل السوفيتي في أفغانستان، في أن القصف الجوي لن ينفع فقط للقضاء على ابن لادن وتنظيمه، أما القضاء على طالبان فلم تكن الفكرة موجودة، إلا بعد أن رفض تسليم ابن لادن للأمريكان، ففي أسابيع قليلة تم تفريغ المدن الأفغانية من السكان، وقضي على خطوط الكهرباء والمياه، وذكرت الأمم المتحدة أن أكثر من 70% من سكان قندهار وهرات فروا إلى الريف، وكان أغلبهم أطفالا ونساء، وإذا نجوا من القصف كان لهم الألغام السبب الثاني للموت.[361]

القادة الأمريكيون والمسؤولون الذين قاموا بتوقيع حرب أفغانستان عام 2001، لم يكونوا على اطلاع جيد حول وضع أفغانستان، ففي أثناء العملية السرية التي قادتها الولايات المتحدة في الثمانينيات، كوّن عدة مئات من المسؤوليين العسكريين، وضباط المخابرات المركزية والمحلليين والمدربيين والأطباء ومحللي الصور وخبراء القنابل، خبرات واسعة، وجمعوا معلومات متعمقة عن أفغانستان، كما تعرفوا على الشعب الأفغاني الذي دحر السوفييت، وكان الكونغرس يطلب باستمرار التقارير حول أوضاع الحرب الجارية فيها، وتضاريس وجغرافية أفغاستان كذلك، لكن تم القيام بحرب عام 2001 دون النظر إلى إرشيف أفغانستان(أو أنهم لا يريدون ذلك)، وفهم البلد التي تمكنت من دحر المستعمر السوفيتي، كذلك لم يتم سؤال رجال المخابرات المركزية، الذين اضطلعوا بأهم دور أثناء الحرب الأفغانية في الثمانينيات، فهم من كان عليه التمويل والتدريب والامداد العسكري الشامل، من

[361] المرجع السابق، 21.

الطعام والشراب أيضا، واتصال مباشر بالمجاهدين، فكانوا على دراية وعلم، بماهية التشكيلة والبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية العامة التي تقوم عليها أفغانستان.[362]

5-4. نتائج السياسة الأمريكية إزاء التنظيمات الأفغانية في التسعينيات

تعتبر السياسة الخارجية الأمريكية المستخدمة حول العالم الأساس الذي وضع عليه اللوم في ما يخص التوجه التطرفي للتنظيمات الإسلامية في العالم، فنتيجة للسياسة الانتقائية الأمريكية حول العالم، في اختيار دول الخير ودول الشر، وفقا لمصالحها القومية والأمنية، رغم أنها لم تعد تستطيع السيطرة على المصادر التي تقف ضد أمنها، في ظل السياسات اللبيرالية المعولمة التي أفرغها عالم ما بعد الحرب الباردة، فلا يمكنها أن تتحكم في مقدار الإرهاب حول العالم، ولا حتى الأمن المضاد له أيضا.

الكاتبان بوث وديون في حديثهما عن أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، أنها كانت نتاج نظام عالمي تكاثر عليه الغضب، وتمكن فيه قادة طغاة من اختيار شركاء انتحاريين لهم. فالتطرف في أوج موسمه، كان قبل وقوع الهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية بوقت طويل، فكان ذلك واضحا في النزعة القومية المفرطة في البلقان، وأصولية اليمين السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وذهنية الإبادة في رواندة، والعقائد الدينية المتطرفة لطالبان، وعدم التسامح في أجزاء من العالم الإسلامي، والعداء للسامية في أوروبا الشرقية وغيرها.[363]

---

[362] شوير، الفوقية الإمبريالة، 65- 68.

[363] بوث، عوالم متصادمة، 33.

كما أن اليد الأمريكية لم تخل من التقلبات حول العالم، سواء البلقان وتدخلها الإنساني المبطن، أو طالبان التي كانت ترى فيها حركة جيدة لمخططها النفطي في بحر قزوين، ومساندة الإرهاب الإسرائيلي في فلسطين، وغيرها الكثير الذي أهداها هجمات 11 أيلول/ سبتمبر.[364] فرغم اختلاف الطريقة بين رؤساء الولايات المتحدة في التعالم مع التنظيمات الجهادية الأفغانية في مختلف الفترات، لكن هذه السياسة تشابهت، في تحديدها العلاقة بينها وبين هذه التنظيمات، وهي مسألة المصلحة القومية الأمريكية في السياسة الخارجية الأمريكية.

وهي السياسة التي لم تضر بالتنظيمات الجهادية الأفغانية وحدها إنما بأفغانستان وشعبها، فيرى الكاتب وليم مالي أنه يجب ألا يغفل العالم عن أفغانستان التي عانت ويلات الحروب بالوكالة الأمريكية على مر العقود السابقة، فقد عانى الأفغان مرارة التخلي عنه، من قبل الولايات المتحدة في أوائل التسعينيات، في ظل حرب أهلية قاسية ومكشوفة للتطفل الباكستاني، وأحلام شركات النفط والغاز الأمريكي، فكانت 11 أيلول/ سبتمبر لحماقات الرئيس كلينتون وما سبقه من رؤساء أمريكا، وبالتالي يجب أن يكون هناك برنامج للوقوف إلى جانب أفغانستان، خاصة الوضع الداخلي، وضد الأطماع الخارجية الإقليمية والدولية.[365] وهو ما لا يتماشى والسياسية الخارجية الأمريكية، فهي كغيرها من دول العالم لديها من المصالح القومية الكثير في أرض أفغانستان، ولن يكون لديها أهمية في أن يستقر البلد وأهله، بعد سنوات طوال من الحرب المقيتة والمدمرة لمختلف مجالات حياتهم، فلو تم

---

[364] المرجع السابق.

[365] المرجع السابق، 248.

معالجة أثار حربها بالوكالة في أواخر الثمانينيات، وتركها البلد في خضم حرب أشرس وأقوى مما سبق، فلم تكن لتحصد التطرف والإرهاب العالمي.

وقد اعترفت هيلاري كلينتون حول الخطأ الكبير الذي ارتكبته الولايات المتحدة لخروجها السريع من أفغانستان عام 1989، وأكدت على ضرورة تحمل أمريكا المسؤولية عن ذلك، وسِجل الولايات المتحدة الصعب في منطقة آسيا الوسطى، خاصة الحرب الأخيرة التي قادها الرئيس بوش، والتي ضاعفت من ويلات الأفغان، فتحدثت في تعليقها على المؤتمر الذي عقد لها في باكستان في تشرين الثاني/ أكتوبر عام 2009،

> كنت مستعدة لتقبل وجهة نظر نزيهة عن سجل أميركا في المنطقة، وتحمل مسؤولية عواقب أفعالنا. على سبيل المثال، غادرت أميركا سريعا أفغانستان بعد انسحاب السوفيت عام 1989. وعلى الباكستانيين أيضا أن يتحملوا مسؤولياتهم ويحاسبوا قادتهم بالطريقة نفسها التي يمحصون فيها أفعالنا.[366]

ويبدو أن الولايات المتحدة، قد عرفت أخطاءها حول العالم، وأفغانستان خاصة، كما جاء على لسان هيلاري، إلا أنها لا تحاول فعل شيء حسن، دون أن تكون المصالح العليا الأمريكية في إطاره، فوضحت هيلاري مثلا، قيام الولايات المتحدة في منتصف عام 2010 بإقامة (مشروع طريق الحرير الجديد)، من خلال شبكة موسعة من الروابط التجارية والاتصالات، التي تجمع أفغانستان بجيرانها، ليعود ذلك بالسلام والأمن المشترك بينها، وهو ما كلف خلال أعوام الإنشاء 70 مليون دولار، ولتحسين الطريق بين أفغانستان وباكستان

---

[366] كلينتون، مذكرات هيلاري، 190.

بما في ذلك طريق خيبر. وأشارت إلى جانب ذلك، تم وضع مخطط لبناء خط الأنابيب الذي كان قائما في مرحلة التسعينيات، الذي سيعطي مليارات الدولارات من الغاز الطبيعي في آسيا الوسطى الغنية بموارد الطاقة المختلفة، والذي سيمر عبر أفغانستان إلى آسيا الجنوبية المتعطشة لامدادات الطاقة.[367]

وكان من إفرازت السياسة الأمريكية الخارجية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية، أن أوجد نوعا جديدا من التنظيمات الإسلامية، فإلى جانب التنظيمات الإسلامية المعتدلة والمتمثلة في الإخوان المسلمين، جاءت التنظيمات الإسلامية المتطرفة متمثلة بطالبان والقاعد، وما انشق عنها من تنظيمات أشد تطرفا منها. وهو ما استغله بعض الرؤساء من الدول العربية أمثال حسني مبارك في مصر، لحشد التأييد ضد جماعة الإخوان المسلمين.[368]

أهداف الولايات المتحدة المعلنة من حرب أفغانستان عام 2001، كانت إسقاط نظام طالبان، وتنظيم القاعدة، ضمن إستراتيجية (الحرب عن بعد) التي شكلت إستراتيجية حرب الخليج الثانية ويوغسلافيا وكوسوفو وغيرها، ثم اجتثاث الجماعات الإرهابية في العالم، وضرب الدول التي تدعمها في أفغانستان، والتخلص من الدول المارقة التي تطلق عليها الولايات المتحدة دول محور الشر، وأخيرا تغطية الأهداف غير المعلنة، التي تتطلع لها في آسيا الوسطى من النفط والغاز الموجود في بحر قزوين.[369] والقضاء على الإرهاب الذي لم تفلح الولايات المتحدة إلى اليوم بعمله، على الرغم من الدمار والخراب الذي لحق بمختلف دول

---

[367] المرجع السابق، 170.

[368] فواز جرجس، "تغيرات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلاميين،" مجلة المستقبل العربي، عدد 408 (شباط/ فبراير 2013): 70.

[369] هيثم الكيلاني، "على هامش الحرب الأمريكية على أفغانستان،" مجلة دراسات شرق أوسطية، مجلد 6، عدد 18 (شتاء 2001– 2002): 95– 96.

العالم بسبب حربها هذه، ودفعت بالكثير من الدول إلى هاوية الإرهاب الأكثر تطرفا وتشددا سواء في أفغانستان أساس الانطلاق الإرهابي، والعراق وليبيا واليمن وسوريا التي كانت لثورتها الأخيرة عام 2011، الدافع لتنوع وتعدد أشكال الإرهاب فيها.

لم ترغب إدارة الرئيس بوش في حرب عصابات في أفغانستان، لأنها تعلم النتائج المترتبة على هذا النوع الذي كان السبب في وصف أفغانستان (بمقبرة الامبراطوريات)، لذلك أراد إستراتيجية تمنع حدوث مثل هكذا حرب، وهذا الشعور ليس عند الأمريكان فقط، فتحدث في ذلك ابن لادن، عندما صرح بجر قدم الولايات المتحدة لحرب عصابات عقد الثمانينات.[370]

كما كان ضمن إستراتيجية الولايات المتحدة ضد التنظيمات الإسلامية الأصولية ما أطلق عليه مصطلح (قوس أو هلال الأزمات) في التسعينيات، وهو ما أصبح مصطلحا محوريا في العلاقات الدولية، ويعني ذلك ما أطلقه بعض المنظرين الأمريكان في وصف منطقة جغرافية معينة، تشكل حزاما أو منطقة متصلة بعضها ببعض، وتثير قلقا إستراتيجيا لدول معينة، وقد ربطت دول قوس الأزمات بمناطق ذات أغلبية مسلمة في كثير من الأحيان، التي تتمركز بها الجماعات السلفية الجهادية مثل تنظيم القاعدة في آسيا الوسطى.[371]

وقوس أو هلال الأزمات يتميز بوجود أربعة ملاذات آمنة للتنظيمات التطرفة، وهي الإبقاء على الأزمة مستمرة، أو تصديرها خاصة في ظل سيطرة تيار محتمل على خليج عدن أو مداخل آسيا الوسطى، بالإضافة إلى حالة الانتقال والانتقال العكسي من أوروبا إلى الصومال مثلا، والتهديد المتزايد للسلفيين الجهاديين ليس لدول هذا القوس فقط، وإنما

---

[370] أندريس، الفوز مع، 12- 13.

[371] مراد بطل الشيشاني، "القاعدة وقوس الأزمات.. من الصومال إلى باكستان،" مجلة السياسة الدولية، عدد 177 (تموز/ يوليو 2009): 122.

لمناطق بعيدة حول العالم.[372] وهذا جاء نتيجة للسياسة الأمريكية إزاء هذه التنظيمات، ففي حربها على الإرهاب لم تقم بالقضاء على الإرهاب، وإنما عملت على تشتيته وتوزيعه، وبالتالي زيادة انتشاره حول العالم، لذلك كانت النتيجة عكسية على سياسة الولايات المتحدة، فنتشر الإرهاب حول العالم وليس فقط في آسيا الوسطى، وتعددت فروعه وأشكاله وشدة التطرف.

[372] المرجع السابق، 125.

6. الخاتمة

هذه الدراسة عرض لتوجهات السياسة الخارجية الأمريكية إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية في مرحلتين زمنيتين، أختلفت فيهما شكل العلاقة فيما بينهما، إلا أن سياسية الولايات المتحدة بقيت نفسها. ففي الثمانينيات نتيجة لتلاقي المصالح بين المجاهدين الأفغان والسياسة الأمريكية في القضاء على الاتحاد السوفيتي الذي يشاركها الهيمنة على العالم ، في مقابل ذلك أغار على بلد مسلم وسيطر عليه، مما يستوجب عند المسلمين الجهاد العام، الأمر الذي لعبت على حبله الولايات المتحدة، فكان لا بد من مشاركتها من أجل القضاء عليه.

فهذه الحركات أو التنظيمات الجهادية لم تكن ترى في الولايات المتحدة الأمريكية المنقذ أو الصديق الدائم، لكن الوضع الأفغاني وضعف البلد كان يستوجب وجود دعم وقوة كبيرة تستطيع القضاء على الروس ودحرهم، خاصة أن سنوات الحرب طويلة، وكانت المساعدات الأمريكية قليلة في البداية، لكن مع قدوم ريغان ضاعف هذه المساعدات، لأنه كان يضع نصب عينيه الهدف الأساسي لهم من إعطاء هذه المساعدات هو تدمير السوفييت، خاصة أنه بدأت تظهر علامات ضعف الروس في منتصف الحرب، مما شجع ريغان على زيادة المعونات في الأسلحة والمعدات، لتكون عملية تصفية الاتحاد السوفيتي لا مجال للشك فيها. كانت مرحلة التسعينيات بداية لتحول في العلاقة بين التنظيمات الجهادية الأفغانية والولايات المتحدة، ومع انتهاء الحرب الأفغانية وخسارة الروس وانهيار الاتحاد السوفيتي شعر المجاهدون الأفغان المحليون بكراهية أمريكا، واعتبرت صديق المصلحة الآني، فهي لم

تنصفهم في اتفاق جنيف، كذلك خرجت من البلد بعد الحرب مباشرة تاركة البلد في دمار وخراب وفقر وفي بداية لحرب أهلية جديدة بين أمراء الحرب القدامى، أما المجهادون من العرب فلم يفضلوا العلاقة مع الولايات المتحدة يوما، لكن حرب أفغانستان فرضت عليهم القبول بصديق يعرف غدره، فنتيجة لتدخل الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية، التي جاءت بطلب من السعودية ، وهو ما لم يرض به المجاهدون، واعتبروه تدنيسا لحرمة مكة المكرمة، وبعد رفض السعودية عروضات ابن لادن لقتال العراق وعدم السماح بدخول الأجنبي على أرض الحرمين برز العداء الواضح للتنظيمات الجهادية الأفغانية للولايات المتحدة مع بداية التسعينيات، خاصة مع وقوع الكثير من التفجيرات ضد أهداف أمريكية في مختلف دول العالم، لكن مشروع الهيمنة العالمية مع سقوط الاتحاد السوفيتي، والنظام العالمي الأمريكي الجديد كان الشغل الشاغل للإدارات الأمريكية في عقد نهاية القرن العشرين، خاصة أنها كانت ترى أفغانستان في منتصف التسعينيات ممرا لنفط بحر قوزين، الذي كان واضحا من خلال التقارب بين حركة طالبان المسيطرة على الأرض آنذاك والولايات المتحدة الأمريكية.

مع قدوم بوش الابن للحكم لم يكن لديه أهمية في الشئون الخارجية عامة والتنظيمات الجهادية الأفغانية خاصة، رغم وقوع هجمات السفينة كول في اليمن عام 2000، فكان موضوع السيطرة الأمريكية على العالم الهدف الأسمى لسياسته الخارجية. لكن أحداث 11 أيلول/ سبتمبر قلبت المعادلة للرئيس بوش ومستشاريه، وأصبحت عملية التدخل في دول العالم ليس فقط من خلال الديمقراطية وحقوق الإنسان، بل إعادة سياسة الاستعمار القديم

والمباشر من جديد، فقام بحرب مباشرة على أفغانستان في عام 2001 والعراق عام 2003، دون أهداف أو أسباب حقيقية تدعو إلى ذلك.

فأحداث أيلول/ سبتمبر لم تكن إلا حصاد سياستها التدخلية حول العالم، وسياستها الخارجية التي لا تقوم إلا على المصلحة الأمركية، دون النظر لعواقب مثل هذه السياسات. فدعمت المجاهدين في الثمانينيات بكل الوسائل العسكرية، ثم تركت البلد تحت خط الفقر والدمار والحروب الأهلية من جديد ومكشوفة للخارج، ثم عادت ودعمت طالبان في محاولة منها لتحقيق أهداف اقتصادية، وهي السياسة نفسها في عام 2001، فدعمت من جديد أمراء الحرب الأفغان للقضاء على صديق الأمس، وهو ما يجعلها في عداء دائما مع الكثير من الدول والتنظيمات والحركات كذلك.

وهذه الدراسة ليست إلا طرحا قديما لواقع جديد نعيشه إلى يومنا هذا، فالولايات المتحدة في سياستها الخارجية هي نفسها قديما وحديثا فيما يخص سياستها التدخلية حول العالم، والحالة السورية خير مثال يمكن طرحه حديثا في دراسة كهذه، فالسياسة الخارجية الأمريكية هي من تصنع الإرهاب والتطرف العالمي، من خلال سياساتها الانتقائية والمصلحية حول العالم.

أثبتت الدراسة صحة الفرضية الأساسية لها، في أن سياسة الولايات المتحدة إزاء التنظيمات الجهادية الأفغانية منذ عام 1979 حتى عام 2001 دفعت نحو صناعة ظاهرة التطرف العالمي وتطويره، وعدم قيامها بوضع إستراتيجية لمعالجة أثار حربها بالوكالة في الثمانينيات دفع نحو تجهيز البيئة المناسبة للإرهاب العالمي، خاصة أن صفة الإرهاب تكون في كل

عمل لا يتوافق والقانون الدولي، وهو الذي تخترقه الولايات المتحدة في الكثير من القضايا الدولية، وتعتبر أفغانستان خير شاهد على ذلك.

المصادر والمراجع

الكتب والمؤلفات

1. أبو خليل، أسعد. الحرب الأمريكية الجديدة ضد "الإرهاب" من قسّم العالم إلى فسطاطين؟. بيروت: دار الأدب للنشر والتوزيع، 2003.
2. أندريس، ريتشارد، وكريج ويلز، وتوماس جريفت. الفوز مع الحلفاء: القيمة الإستراتيجية للنموذج الأفغاني. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2007.
3. بريجينسكي، زبغنيو، مترجم: عمر الأيوبي. الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم. بيروت: دار الكتاب العربي، 2004.
4. بوث، كين، وتيم ديون، مترجم: صلاح عبد الحق. عوالم متصادمة الإرهاب ومستقبل النظام العالمي. أبو ظبي: مركز الإمارات للراسات والبحوث الاستراتيجية، 2005.
5. بولوف، أندرياس فون، مترجم: عصام الخضراء، وسفيان الخالدي. ال سي.. آي.. إيه.. و11 أيلول 2001 والإرهاب العالمي دور أجهزة الاسخبارات. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، 2005.
6. بيكر، جيمس أديسون، مترجم: مجدي شرش. مذكرات جيمس بيكر. القاهرة: مكتبة مدبولى، 1999.
7. تانر، ستيفن، مترجم: نادية إبراهيم. أفغانسان التاريخ العسكري منذ عصر الاسكندر الأكبر حتى سقوط طالبان. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2010.

8. تشومسكي، نعوم، مترجم: سامي الكعكي. الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم. بيروت: دار الكتاب العربي، 2004.

9. تشومسكي، نعوم، مترجم، لبنى محفوظ. في تفسير مذهب بوش. القاهرة: المجلس القومي للترجمة، 2005.

10. تشومسكي، نعوم، مترجم: سامي الكعكي. الدول الفاشلة وإساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية. بيروت: دار الكتاب العربي، 2007.

11. جرجس، فواز، مترجم، غسان غصن. أمريكا الإسلام السياسي صراع الحضارات أم صراع المصالح؟. بيروت: دار النهار للنشر، 1998.

12. جرجس، فواز، مترجم: محمد شفيق شيا. القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012.

13. الجزائري، سعيد. ملف الثمانينات عن حرب المخابرات. دمشق: دار دمشق للنشر والتوزيع، 1989.

14. جمال الدين، محمد السعيد. أفغانستان بين نوازع السيطرة وإرادة الكفاح. أبو ظبي: مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003.

15. الحسيني، مازن، مترجم. أمريكا اعتزاز بالأثام وتبجيل للكذب. القاهرة: رواق للنشر، 2006.

16. حقي، إحسان. أفغانستان نشأتها وكفاحها. دمشق: دار الفكر، 2004.

17. ديني، بروستر، مترجم: عبد الرحمن بدران. نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1991.

18. ربيع، محمد عبد العزيز. صنع السياسة الخارجية الأمريكية والعرب. عمان: منشورات دار الكرمل- صامد، 1990.

19. ريزن، جيمس، مترجم: سامي الكعكي. حالة حرب التاريخ السرّي للسي آي إيه وإدارة جورج بوش. بيروت: دار الكتاب العربي، 2006.

20. زيتون، وضاح. المعجم السياسي : أول معجم شامل بكافة المصطلحات السياسية المتداولة في العالم و تعريفاتها. عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2006.

21. سليم، محمد السيد. تحليل السياسة الخارجية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998.

22. شاكر، محمد. أفغانستان. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1974.

23. شاه، ناصر الدين. أفغانستان والغزو الشيوعي. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 1995.

24. شحادة، مروان، تحولات الخطاب السلفي: الحركات الجهادية- حالة دراسة (1990-2007). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010.

25. شوير، ماكيل، مترجم: سمية عبد ربه. الفوقية الإمبريالة الأمريكية لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب. بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005.

26. شرف الدين، نبيل. بن لادن طالبان.. الأفغان العرب والأممية الأصولية. القاهرة: مكتبة مدبولى، 2001.

27. صالح، أحمد فايز. دور المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية. بيروت: باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، 2011.

28. صالح، حنا. أفغانستان الثورة. بيروت: دار الفارابي، 1980.

29. الطويل، كميل. القاعدة وأخواتها قصة الجهاديين العرب. بيروت: دار الساقي، 2007.

30. عامر، عصام. الأصولية والعنف والإرهاب. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

31. عبد الطالب، إبراهيم. الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الأخيرة. عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2010.

32. عزام، عبدالله. عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر. عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، 1987.

33. كريلينست، رونالد، مترجم: أحمد التيجاني. مكافحة الإرهاب. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2011.

34. كلينتون، هيلاري، مترجم: ميراي يونس. مذكرات هيلاري كلينتون خيارات صعبة. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015.

35. كول، ستيف، مترجم: فؤاد زعيتر. حروب الأشباح السجل الخفي للسي. آي. إيه، لأفغانستان، ولابن لادن. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2008.

36. كيبل، جيل، مترجم: نبيل سعيد. جهاد– انتشار وانحسار الإسلام السياسي. القاهرة: دار العالم الثالث، 2005.

37. كيسنجر، هنري، مترجم: عاطف أحمد عمران. هنري كيسنجر مذكّرات، الجزء الأول. عّمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2005.

38. كيسنجر، هنري، مترجم: عاطف أحمد عمران. هنري كيسنجر مذكّرات، الجزء الثاني. عّمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2005.

39. ماجنوس، رالف، صليب بطرس، وروفائيل مسيحة. مشكلة أفغانستان قضايا. خيارات. سياسات.. القاهرة: مكتبة الوعي العربي، 1985.

40. مقلد، إسماعيل صبري. العلاقات السياسة الدولية دراسة في الأصول والنظريات. الكويت: منشوارت ذات السلاسل، 1993.

41. ممداني، محمود، مترجم: فخري لبيب. المسلم الصالح.. والمسلم الطالح أمريكا وصناعة الحرب الباردة وجذور الإرهاب. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009.

42. النعيمي، أحمد. السياسة الخارجية. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2008.

43. وستاد، أود آرن. مترجم: مي مقلد. الحرب الباردة الكونية (القاهرة: المركز القومي للنشر، 2014).

المجلات والصحف

1. أبو سنة، طارق. " أفغانستان من الجهاد إلى الحرب الأهلية." مجلة السياسة الدولية، عدد 124 (نيسان/ إبريل 1996): 179- 181.
2. أحمد، حسن الحاج علي. "حرب أفغانستان: التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي." مجلة المستقبل العربي، مج. 24، عدد 276 (اشباط 2002): 12- 30.
3. البرصان، أحمد سليم. "أزمة العلاقات الباكستانية الأمريكية والحرب بالوكالة." مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 60 (صيف 2012): 61- 83.
4. جرجس، فواز. "تغيرات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلاميين." مجلة المستقبل العربي، عدد 408 (شباط/ فبراير 2013): 70- 81.
5. حمودة، عمرو كمال. "النفط في السياسة الخارجية الأمريكية." مجلة السياسة الدولية، مجلد 41، عدد 164 (نيسان/ إبريل): 50- 55.
6. دياب، محمد. "الصراع على الثروات في آسيا الوسطى والقوقاز." مجلة شؤون الأوسط، مجلد 12، عدد 105 (شتاء 2002): 150- 168.
7. شاهين، أحمد. "أحداث أفغانستان وانحسار الغرب عن آسيا." مجلة شؤون فلسطينية، عدد 99 (شباط 1980):144- 174.
8. شغلين، بادي، " الصراع الأمريكي- الروسي وتطوراته في المرحلة الراهن والمستقبل." مجلة المناضل، عدد 30 (تموز- آب 2001): 6- 25.
9. شقير، شفيق. "الأزمة الأفغانية ." مجلة شؤون الأوسط، عدد 105 (شتاء 2002): 180- 196.

10. الشيشاني، مراد بطل. "القاعدة وقوس الأزمات.. من الصومال إلى باكستان." مجلة السياسة الدولية، عدد 177 (تموز/ يوليو 2009): 122- 125.

11. العاني، رافيد أحمد أمين. "الدور السعودي في حرب الخليج الثانية عام 1991." مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد 14، عدد 5 (آيار/ مايو 2007): 419- 436.

12. عبد العزيز، سوزى محمد رشاد. "الفواعل من غير الدول: الأنماط وطبيعة التأثير دراسة نظرية." مجلة الديمقراطية، عدد 60 (2015): 25- 39.

13. علي، حسين سامي شير. "مهدي السلفية التكفيرية وحركة جهيمان العتيبي." مجلة الانتظار، عدد 5 (ربيع 1427/ 2005):10- 21.

14. الكيلاني، هيثم. " على هامش الحرب الأمريكية على أفغانستان." مجلة دراسات شرق أوسطية، مجلد 6، عدد 18 (شتاء 2001- 2002): 87- 101.

15. كروم، سامر. تحرير، الدولة الإسلامية "داعش" الدولة الإسلامية "وإعادة ترسيم حدود الشرق الأوسط." خلدية: دار الوراق للنشر، 2015.

16. الكيلاني، هيثم. .. من أفغانستان إلى فلسطين." مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 21 (خريف 2002): 129- 152.

17. المشّاط، عبد المنعم. "تحولات السياسة الخارجية الأمريكية وتأثيرها في العلاقات الدولية." السياسة الدولية، عدد 200، مج50 (أبريل 2015): 94- 97.

18. الميمي، نردين. "الإعلام وصنع السياسة الخارجية الأمريكية "الحرة أنموذجا." مجلة تسامح، عدد 31 (كانون أول 2010): 83- 100.

19. ميشرا، بانكاج، بثينة الناصري. ""أفغانستان" الدولة الفاشلة." مجلة الكتب وجهات نظر، مجلد 7، عدد 80 (أيلول/ سبتمبر 2007): 24- 28.

20. الهلباوي، كمال. "أفغانستان: محاولة للفهم." مجلة قراءات سياسية، عدد 1 (شتاء 1993): 131- 146.

تقارير ووثائق ووكالات

1. مكميلان، جوزيف. "العراق وجيرانه المملكة العربية السعودية والعراق النفط والدين وتناحر طويل مستمر." تقرير معهد السلام الأمريكي رقم 157 (كانون الثاني/ يناير 2006):1- 20.

2. نوفوستي، وكالة أنباء. الحقيقية عن أفغانستان. وثائق. حقائق. شهادات. موسكو: إصدار وكالة أنباء نوفوستي، 1980.

3. وثائق وكر الجواسيس 29، من سلسلة. تدخلات أميركا في البلدان الإسلامية: أفغانستان، الجزء الأول. بيروت: منشورات الوكالة العالمية، 1992.

4. وثائق وكر الجواسيس 30، من سلسلة. تدخلات أميركا في البلدان الإسلامية أفغانستان، الجزء الثاني. بيروت: منشورات الوكالة العالمية، 1992.

رسائل ماجستير

1. أحمد، نهلة محجوب. "حرب الخليج الثانية والعلاقات العراقية. الأمريكية." رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم (كانون الأول/ ديسمبر 2003).
2. عودة، فلة عربي. "قضية كشمير بين المواقف الإقليمية والتأثيرات الداخلية." رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (2011).

المصادر الإنجليزية

1. Alterman, Jon B. "The Age of Proxy Wars," CSIS Middle East Notes and comment." 17 May 2013.
2. Cassel, Sarah. "A Proxy War or A Struggle for National Liberation: The Ideological Motivations and a Human Rights Considerations of the United States- Contra Alliance." SIT Digital Collections, 2012, 4.
3. Lobell, Steven E., Norrin M. Ripsman, and Jeffrey W. Taliaferro. Neoclassical realism, the state, and foreign policy. London: Cambridge University.
4. Dandan, Salem B. "On Proxy War." Danish Political Science, Association Annual Meeting, 25- 26 October, University of Copenhagen.
5. Gaist, Thomas. "US- Russian Proxy War in Syria intensifies." World Socialist Web site, 12 October 2015.
6. Kofman, Michael. "How to start A Proxy War with Russia." Wilson Center, 5 February 2015.
7. Mehta, Navya. "Preventing Proxy Wars in the Middel East. " Disarmament and International Security Committee (DISEC- UNGA 1), 20-23 October 2016.
8. Mumford, Andrew. "Proxy Warfare and the future of conflict." The Rusi Journal, 28 apr 2013, 40- 46.
9. Reuveny, Rafael and Aseem Praksh. "The Afghanistan war and the breakdown of the Soviet union." International studies Association, 6-8 November 1998, 693.
10. Council, National Intelligence. "Nonstate Actors: Impact on International Relations and Implications for the United States." This report was prepared under the

auspices of the National Intelligence Officer for Economics and Global Issues, 23 August 2007.

11. Rose, Gideon. Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy. London: Cambridge University Press, 2010.